توفيق الفتّاح العليم

في

تيسير خُطب رحموني سليم

الجزء الثّالث

السّيرة النّبويّة

(أزواج الرسول ﷺ-أولاد الرسول ﷺ- أهل بيت الرسول ﷺ)

جمعه

الشّيخ الفقيه الحاج سليم بن الطّاهر رحموني

إمام أستاذ خطيب ومُدَرِّس بمسجد التّجانيّة بمدينة بسكرة

-الجزائر-

الـسيـرة الـنّبـويّـة

أزواج الرسول ﷺ

01- نُزهة المُحبّين وراحة المشتاقين في رياض بعض فضائل وخصائص أُمّ المؤمنين سيّدتنا ومولاتنا خديجة زوج رسول ربّ العالمين سيّدنا ومولانا محمد الصّادق الأمين صلّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أهل الصلاح والدين صلاة نكون بها في محبّتهم من أهل الرسوخ والتمكين

الحمد لله الواحد القهّار، يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشرف مَنْ شاء مِنَ الأخيار، شرّف رسوله سيّدَنا ومولانا محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلَّم على كلّ البشر. وجعل عِتْرته خير العِتَر، وأُسرته خير الأُسَر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حَرَمٍ، وبسقت في كَرَمٍ، لها فروع طِوال، وثَمَرٌ لا يُنال،

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أئِمّتَهُمْ * أوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأرْضِ قِيلَ هُمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ * فِي كُلِّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ

يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالبَلْوَى بِحُبِّهِمُ * وَيُسْتَزَادُ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ * كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ

فسبحانه من إله جعل ذِكْرَ أوليائه نُزهةً لذوي البصائر والإستبصار. وسَرْدَ فضائلهم ومناقبهم يُحْيِي مَوَاتَ القلوب ويشوّقها إلى حضرة المواهب والأسرار. والعضَّ بالنواجذ على محبّتهم يُثْمِر في القلوب محبّة سيّد المرسلين الأخيار. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ما تعاقب الليل والنهار. ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)).

وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له، الحليم الستّار، عالِمُ الجَهْرِ والإِسْرارِ، جعَلَ في أخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، منهنّ أمّهات المؤمنين زوجات نبيّنا المختار. صلّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأزواجه الأطهار. خصوصا سيّدتنا ومولاتنا خديجة. التي تشرّفت بعشرته وصحبته. وفازت بخدمته. وشهدت يوم بعثته. وقامت بتأييده في دعوته. ومؤازرته ونصرته.

لقد رضي الرحمان عنهم فإنّهمْ * هُمُ الأوّلون السابقون من الصدرِ

هُمُ خيرُ مَنْ يُرجى لرفع ملمّةٍ * وهمْ خير من يُدعى وهم خير من قرِ

إذا وردوا حوض النبيِّ محمدٍ * سَقَوْا أولياءَ الله من ذلك النهر

فمن ذا يداني فخرهمْ بافتخاره * وفخرهمْ يعلو على ذروة الفخر

فأسأل ربي رؤيةً لوجوههمْ * لدى جنّةِ الفردوس في الحُلَلِ الخُضْرِ

وأشهدُ أنَّ سيّدنا محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. أفضل هذه الأمّة جهاداً وفداءً، وأعظمها قدوة واطصفاءً، إختار له ربّه من الأصحاب أفضلهم صفاءً ووفاءً، ومن الزوجات أطهرهنّ طهراً ونقاءً، فكنّ له في الدنيا والأخرى، وحُرِّمْنَ على غيره من الورى. فهنّ أمّهات المؤمنين، وحليلات رسولِ ربِّ العالمين،

اللهُ أَوْلاَهُ مِنْ إِكْرَامِهِ كَرَمًا * وَدَارُهُ لإِحْتِرَامٍ أَصْبَحَتْ حَرَمًا

وَمَنْ يُصَلِّ عَلَيْهِ فَازَ بَلْ غَنِمَا * وَمَنْ يلُوذُ بِهِ هَيْهَاتَ أنْ يُظَمِ

صَلُّوا عَلَى المُصطَفَى يَا سَادَةَ الأُمَمِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى آله وأزواجه. ينابيع إحسانه وبرّه. وصحابته الملحوظين بعين عنايته ونصره. صلاة تحفظنا بها من نكبات الدهر وشرّه. وتنجينا بها من سطوة كل ظالم وقهره. وتحمينا بها من حيلة كل محتال وغدره. وتكفينا بها شرَّ كلِّ مَن رامنا بسوء وتَردّ كَيده في نحْره. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين .

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. المحبّون لأمّ المؤمنين. سيّدتنا ومولاتنا خديجة. زوج رسول ربّ العالمين. سيّدنا ومولانا محمد الصّادق الأمين. صلّى الله عليه وآله وسلَّم في كلّ وقت وحين. يقول إمام المادحين سيّدنا ومولانا الإمام البوصيري رحمه الله تعالى ورضي عنه. في قصيدته الهمزية:

وإذا سَخّر الإله أُناسًا * لسعيدٍ فإنّهم سعداءُ

أي أنّ الله تعالى إذا وفّق أُناسا وسخّرهم لخدمة سعيد ومحبّته. والقيام بشأنه ومؤونته. ومؤازرته ونصرته. فإنّهم بسبب ذلك سعداء. فالشريف في ذاته يُفيض

بالشّرف على مَن حوله. والكريم في معدنه يَسري كرمه في المحيطين به، لأنّ بركة ذلك السعيد ويُمنه وبِرّه. تنسحب عليهم حتّى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة. لأنّ المرء مع مَن أحبّ. وإن لم يعمل بعمله. كما صحّ ذلك في الحديث الشريف. فكثير من سلالة سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام غَدَوْا أنبياء. كما قال تعالى في سورة العنكبوت: ((وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)). وأصحاب سيّدنا عيسى عليه السلام صاروا حواريّين. قال تعالى في سورة آل عمران: ((فَلَمّا أَحَسّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِيَ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ)). ورفاق سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وآله وسلَّم شَرُفوا بالصّحبة. قال تعالى في سورة الفتح مادحا إياهم: ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)). ونسْله صلى الله عليه وآله وسلَّم وذريّته استحقّوا وَصْف الشّرف والسّيادة، فلقرابتهم من الحبيب المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلَّم. ذَكرهم الله تعالى في كتابه. وشرّفهم بقوله في سورة الشورى: ((قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المودّة فِي الْقُرْبى)). وأمّا أزواجه صلى الله عليه وآله وسلَّم فأمّهات للمؤمنين. خَير نِساءٍ عِشنَ في أفضلِ القرون. وتربَّين في أَجلِّ البيوتِ بيتِ النّبوّة، أعلَى الله مَكانتَهنّ، وأجَلَّ قَدرَهنّ، ونزَل القرآن بالثّناءِ عَليهنّ، قال عزّ وجلّ في سورة الأحزاب: ((يَا نِسَاءَ النَّبِيءِ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ)). زَوجاتٌ مبارَكات، ونِساء عظيمَات. منّ الله عليهنّ بهذا الفضل. وفرض هذه الأمومة وقرّرها على جميع المومنين. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)). وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه:((النبيء أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أَبٌ لهم)). وقال مجاهد: كل نبيّ أبو أُمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم أبوهم في الدّين، وأزواجه أمّهاتهم، فى تحريم نكاحهنّ. ووجوب تعظيمهنّ،

أيّها المسلمون. المحبّون لأمّ المؤمنين. سيّدتنا ومولاتنا خديجة. زوج رسول ربّ العالمين. سيّدنا ومولانا محمد الصّادق الأمين. صلّى الله عليه وآله وسلَّم في كلّ وقت وحين. ومن هؤلاء الزوجات الطاهرات. أمّهات المؤمنين. السَّيِّدَةُ المُحَجَّبَةُ،

الطَّاهِرَةُ المطهَّرة، ذات الشرف الظاهر. والمال الوافر. والحسب الفاخر. عُرفت بمكة المكرّمة بالطاهرة. وبسيّدة نساء قريش. إنّها أُولَى أمّهات المؤمنين. وزوج رسولنا الأمين. صلى الله عليه وآله وسلَّم. إنّها سيّدتنا ومولاتنا خديجة بنت خويلد. رضي الله عنها وأرضاها. ونفعنا ببركاتها ورِضاها. وُلدت رضي الله عنها قبل ولادته صلى الله عليه وآله وسلَّم بنحو خمس عشرة سنة. فنشأت في بيت طاهر طيِّب الأعراق. على أكمل السِّيَر المحمودة. وأحسن الأخلاق. فكانت رضي الله عنها متكامِلة حُسناً وعقلاً وجمالاً وفضلاً. حازمة رشيدة في جميع أمورها. حسنة التدبير والتّصرّف في جميع شئونها. ذات فراسة قوية. وهمّة عالية. لها نظرٌ ثاقب. ومعرفة دقيقة بالعواقب. أغناها الله تعالى بسِعة النِّعَم. وكثرة الخَدَم والحَشَم. ومنَّ عليها ذو الجلال. بكثرة الأموال. فكانت تستأجر الرجال. ليتاجروا في ذلك مضاربة بالحلال. مقابل أجر لهم من المال .

اللهم أُنشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لديها. اللهم صلِّ وسلِّم على زوجها الأمين. سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيّها المسلمون. المحبّون لسيّدتنا ومولاتنا خديجة. عليها سلام الله. ولمّا أراد الله تعالى لهذه السيّدة الطاهرة. أن تجمع بين شرف الدنيا وعِزّ الآخرة, وقد وصلت إليها أخبار سيّد المرسلين. وأخذت تتعرّف عليها بتدبّر وتفكّر ويقين. فرأت أنه المُجمَع على فضْله المبين. وأنه المشهود له بأنه التقي النقي الأمين. وأنه الصادق المصدَّق. والكريم الذي لا يُلحَق ولا يُسبَق. فأرسلت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم تستأجره أن يخرج لها في تجارتها إلى الشام. على أن تدفع له أجر رجلين. حين سمعت بصدقه وأمانته، وكان يومها صلى الله عليه وآله وسلَّم في الخامسة والعشرين من عمره. روى ابن سعد وابن السّكن وأبو نعيم عن نفيسة بنت مُنيّة قالت: قالت له خديجة: ((إنّه دعاني إلى البعث إليك. ما بلغني من صِدق حديثك، وعِظَم أمانتك. وكرم أخلاقك، وسأُعطيك ضِعف ما أُعطي رجلا آخَر من قومك)). ففعل رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلَّم. ثم لقي عمّه أبا طالب فذكر له ذلك. فقال: إنّ هذا لرِزق ساقه الله إليك. ولكن لو كُشف الغيب لأبي طالب. واطّلع على ما هيّأته الأقدار الإلاهية للسيّدة خديجة بهذه الإجارة. من سعادة الدنيا والآخرة، لقال لابن أخيه: هذا رِزق ساقه الله لخديجة! وصَدق الإمام البوصيري حيث قال في همزيّته:

وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاساً * لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

اللهم أُنشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لديها. اللهم صلِّ وسلِّم على زوجها الأمين. سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيّها المسلمون. المحبّون لسيّدتنا ومولاتنا خديجة. عليها سلام الله. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مع غلامها ميسرة، وقالت السيّدة خديجة رضي الله عنها لميسرة: لا تعص له أمرا. ولا تخالف له رأيا. ومن حين سَيْره أظلّته الغمامة. فلمّا قدم الشام. نزل في سوق بُصرى في ظلّ شجرة قريبة من صَومعة راهب يقال له نسطورا. فاطّلع الراهب إلى ميسرة. وكان يعرفه. فقال: يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ. إلاّ نبيّ. ثم قال له: أفي عَينَيه حُمرة؟ قال ميسرة: نعم. فقال الراهب: هو هو، وهو آخِر الأنبياء، ويا ليت أنّي أُدركه حين يؤمر بالخروج. وأوصاه أن لا تفارقه. ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سوق بُصرى. فباع سلعته التي خرج بها واشترى، فكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة. فقال الرجل: إحلف باللاّت والعُزّى. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم: ((ما حلفتُ بهما قطّ))، فقال الرجل: القول قولك، ثم قال الرجل لميسرة وقد خلا به: يا ميسرة هذا نبيّ هذه الأمّة، والذي نفسي بيده إنّه لهو. تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم، فوعى ميسرة ذلك. ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم باع وربح ربحا لم يربحه أحد من أهل القافلة. حتى قال له ميسرة: اتّجرنا لخديجة سنين. ما رأيتُ ربحا مثل هذا!!.

اللهم أُنشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لديها. اللهم صلِّ وسلِّم على زوجها الأمين. سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيّها المسلمون. المحبّون لأمّ المؤمنين. سيّدتنا ومولاتنا خديجة. زوج رسول ربّ العالمين. سيّدنا ومولانا محمد الصّادق الأمين. صلّى الله عليه وآله وسلَّم في كلّ وقت وحين. ولمّا رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة. رأته السيّدة خديجة رضي الله عنها مقبِلا وهي بين نسوة في عُليّة. وملكان على رأسه الشريف من وهج الشمس قد أظلّاه. وأخبرها ميسرة بأنّه رأى ذلك في السفر كلّه. وبما قال له الراهب. وأودعه لديه من الوصية. وهذا كله إعتناء الله تعالى بالسيّدة خديجة رضي الله

عنها. حيث أطلعها سبحانه على هذه المعجزات. وعرّفها بهذه الخوارق للعادات. حتى اهتدت لمعرفة رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. ومحبّته والتصديق برسالته. فكان ذلك تعرّفا من الله إليها. فكانت رضي الله عنها ممّن تعرّف الله إليهم بنوره. ولا يستوي من تعرّف الله إليه بنوره. مع من تعرّف إلى الله بعقله. قال تعالى في سورة النور: ((نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)). قال ابن إسحاق: فلمّا رأت خديجة أنّ تجارتها قد ربحت. أضعفت له ما سمّت له. وبعد مجيئه صلى الله عليه وآله وسلَّم من الشام بشهرين. خطبته لنفسها لتنال به السعادة الأبدية. وتشمّ من الإيمان به طِيب ريّاه. وَكَانَ عُمُرُها رضي الله عنها يَوْمَئِذٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم إبنُ خمسٍ وعشرينَ سَنَةً، وقد أشار إلى ما تقدّم. الإمام البوصيري رحمه الله في همزيته بقوله:

وَرَأَتْهُ خَدِيجَةٌ وَالتُّقَى وَالـ*ـــزُّ هْـــدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ

وَأَتَاهَا أَنَّ الْغَمَامَةَ وَالسَّرْ * حَ أَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ

وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعْدَ رَسُولِ اللـ*ـــهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ

فَدَعَتْهُ إِلَى الزَوَاجِ وَمَا أَحْـ*ـــسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الأَذْكِيَاءُ

فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم أعمامه بما دعته إليه هذه البرّة التقيّة. فرغبوا فيها. لفضل ودين. وجمال ومال. وحسب ونسب. كلّ من القوم يهواه. وكانت رضي الله عنها قَدْ تَزَوَّجَتْ قَبْلَهُ صلى الله عليه وآله وسلَّم بِرَجُلَيْنِ، روى الطبراني عن الزبير بن بكّار قال: كانت خديجة رضي الله عنها قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عند عتيق بن عائذ المخزومى، فولدت له جارية إسمها هند، ثم خلف عليها أبو هالة، هند بن زُرارة التميمي، فولدت له هندا وهالة، فهما أخوا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم. وكان هند فصيحا بليغا وصّافا، وقد روى حديثاً مشهوراً في صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم. وكان يقول: أنا أكرم الناس أبا وأمّا وأخا وأختا، أبي رسول الله. لأنّه زوج أمّه، وأمّي خديجة، وأخي القاسم، وأختي فاطمة، عليها الرحمة والإكرام. قُتل هند هذا مع سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه يوم واقعة الجمل .

اللهم أُنشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لديها. اللهم صلِّ وسلِّم على زوجها الأمين. سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيّها المسلمون. المحبّون لسيّدتنا ومولاتنا خديجة. عليها سلام الله. وقد اختصّ الله هذه الجوهرة المصونة. والدُّرّة المكنونة. بمزايا عديدة. وخصال حميدة. رضي الله عنها. منها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم. لَمْ يَتَزَوَّجِ امْرَأَةً قَبْلَها، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عليها قطُّ، ولا تسرَّى. إلى أنْ قَضَتْ نحبَها، بعد أن رأى خالص بِرّها. ودفنها بمكة ونزل هو بنفسه في قبرها. وقد عاشرته أربعاً وعشرين سنة أحسن عشرة. فحَزِنَ لِفَقْدِها حُزنًا شديدًا. معَ كاملِ الصَّبرِ والتَّسليمِ للهِ ربِّ العالمينَ .

ومن خصائصها الشريفة. ومناقبها المنيفة. رضي الله عنها. أنّ كل أولاده صلى الله عليه وآله وسلَّم منها. إلاّ سيّدنا إبراهيم فمن مارية القبطية. التي أهداها له مقوقس مصر. روى ابن سعد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أكبر ولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم القاسم. وبه كان يُكنّى. ثم زينب ثم عبد الله. ويقال له: الطيّب والطاهر. لأنه وُلد في الإسلام. ثم أمّ كلثوم. ثم فاطمة الزهراء. ثم رقيّة. فمات القاسم، وهو أوّل ميّت من ولده صلى الله عليه وآله وسلَّم بمكة. ثم مات عبد الله، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع نسله. فهو أبتر. فأنزل الله عزّ وجلّ: ((إنَّا أعطيناك الكوثرَ فَصَلِّ لربِّك وانْحَرْ إنَّ شَانِئَكَ هو الأبْتَرُ)). فهؤلاء جملة أولاده منها. عليهم السلام أجمعين، وحشرنا الله في زمرتهم مع أبيهم رسول رب العالمين, صلّى الله عليه وآله وسلَّم في كلّ وقت وحين .

ومن مواقفها مع زوجها المشكورة. إذ لا تُذكر قصة الوحي والبعثة إلا وهي معها مذكورة. حيث كانتْ رَضِيَ اللهُ عنها رابِطَةَ الجأشِ، عاقِلَةً مَصُونَةً، ثَبَّتَتْ جَأْشَ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا فَاجَأَهُ الوحيُ أوّلَ مرةٍ في غارِ حِراءَ، فرَجَعَ إليها يَرْجُفُ فؤادُهُ، يقولُ لَها: ((زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)). فقالتْ لَهُ في ثقة ويقين: ((كَلا وَاللَّهِ. لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)).

ومن خصائصها رضي الله عنها التي نالت بها أعلى مراتب الشرف والكمال. أنّها أوّل من آمن بالحبيب صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال. فصدّقته وآزرته

وثبّتته. وخفّف الله بسبب إيمانها عن نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كل همّ. وفرّج عنه ما أصابه في الدعوة من تعب ونكد وغمّ، وقد حَفِظَ لَهَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هذه الخِدْمَةَ الجليلةَ، فكانَ يَذْكُرُها بِها بعدَ موتِها، وبينَ معاشَرِ أزواجِهِ، يغارُ عليها. ويُبَالِغُ في تعظيمِها ويُثْنِي عليها، أخرج البُخَارِيُّ في صحيحه عن السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: ((مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاء، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ)). وروى الطبراني بإسناد جيّد. عن السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: ((كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا ذكر خديجة رضي الله عنها لم يكد يسأم من ثناء عليها. واستغفار لها. فذكرها ذات يوم. فاحتملتني الغيرة، فقلت: لقد عوّضك الله من كبيرة، قالت: فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم غضب غضبا شديدا، وسقطتُ في جلدي، فقلتُ: اللهم إن ذهب غيظ رسولك، لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت، قالت: فلمّا رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما لقيت، قال: كيف قلتِ؟ واللهِ، لقد آمنتْ بي إذ كفر الناس، وواستني، إذ رفضني الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، ورُزقتْ من الولد إذ حرمتموه، فغدا وراح عليّ بها شهرا)). وهكذا. فإنَّ الجزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، ((وهَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ)). فَإِنَّهَا رَضِيَ اللهُ عنهَا لَمَّا قَامَتْ بِخِدْمَتِهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم. أَحْسَنَ قيام. بل آمَنَتْ بهِ وآزرته. فأَحْسَنَ إليها النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعدَ مَوْتِها. وهو الزوج الوفيّ. بِدَوَامِ ذِكْرِها. والإستِغْفَارِ لَها. والثَّنَاءِ علَيها،

ومن خصائصها عليها السلام، والرحمة والإكرام. أنّها من أفضل نساء أهل الجنّة. روى الإمام أحمد، وأبو يعلي، والطبراني برجال الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط. فقال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)).

ومن فضائلها عليها سلام الله. أنّ ربَّ العِزّة أرسل لها مع جبريل السلام. وبشّرها ببيت في الجنّة دار السلام. روى النسائي والحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ خَدِيجَةُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُقْرِئُ خَدِيجَةَ السَّلاَمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلاَمُ، وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)). وفِي الصَّحيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي. وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ)). وكانَ ذلك في حَيَاتِها رَضِيَ اللهُ عنها. قال السهيلي رحمه الله في كتابه (الرَّوض الأُنُف شرح سيرة ابن هشام): وإنّما بشّرها ببيت في الجنّة من قصب. لأنّها حازت قصب السبق فى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب، لأنّها لم ترفع صوتها على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم تتعبه يوما من الدهر، فلم تصخب عليه يوما، ولا آذته أبدا .

اللهم أُنشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لديها. اللهم صلِّ وسلِّم على زوجها الأمين. سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيّها المسلمون. المحبّون لأمّ المؤمنين. سيّدتنا ومولاتنا خديجة. زوج رسول ربّ العالمين. سيّدنا ومولانا محمد الصّادق الأمين. صلّى الله عليه وآله وسلَّم في كلّ وقت وحين. والحاصل أنّ فضائلها رضي الله عنها لا تُعدّ. ومناقبها لا تُحدّ. وما عسى أن يقال فيمن وصفها سيّد ولد عدنان. صلى الله عليه وآله وسلَّم. ورفع شأنها بين النساء على كل شأن. وذَكر فضلها وشرفها الثابت بالتحقيق. وشكر لها مواقفها معه في الإيمان والتصديق فيحق للتاريخ أن يحني رأسه أمام جلالها. ويُتوّج صحائفها بكريم فعالها. ولمّا تمّت لها رضي الله عنها الكمالات الباهرة. وامتدّت أنوارها وآياتها المتكاثرة. تُوفّيت سلام الله عليها في اليوم الحادي عشر من رمضان. قبل هجرة سيّد ولد عدنان. عليه وآله الصلاة والسلام. بثلاث سنوات على الأصحّ من الأقوال. ولم يصل عليها النبيّ عليه وآله الصلاة والسلام. لأنّ الصلاة لم تُشرع على الميّت في ذلك العام. ونزل صلى الله عليه وآله وسلَّم في قبرها. وسوّى عليها التراب وأحسن نُزُلَها. وهي فضيلة لها دون غيرها من أمّهات

المؤمنين. رضي الله عنهنّ أجمعين. وكان لها من العمر خمس وستّون سنة. ودُفنت بمكة المكرّمة. بمقبرة الحَجُون. المعروفة الآن بالمِعلاة.

اللهم أُنشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لديها. اللهم صلِّ وسلِّم على زوجها الأمين. سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فَرَضِيَ اللهُ عنها وأَرْضَاهَا. وَأكرَمَ مَثْوَاها. ونفعنا ببركاتها. ورزقنا زيارتها. وَحَشَرَنَا معَهَا تحتَ لِوَاءِ حَبِيبِهِ سيّدنا ومولانا محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم. نسأل الله تعالى داعين قائلين اللهم إنّا:

نَتَوَسَّلْ بالحُبَابَه * وَالبَتُولِ المُسْتَطَابَه

وَالنَّبِي ثُمَّ الصَّحَابَه * فَعَسَى الدَّعْوَه مُجَابَه

رَبِّ بالزَّهرَا الحَنُونِ * وَأَبِيهَا وَالبَنُونِ

وَبأُمٍّ فِي الحُجُونِ * جُدْ عَلَينَا بِالإِجَابَه

رَبَّنَا نَسْأَلْكَ نَظْرَه * تَنْتَفِي عَنَّا المَضَرَّه

وَتُعجِّلْ بِالمَسَرَّه * لاَ تُرَى فِينَا كَآبَه

أَرِنَا وَجْهَ الرَّسُولِ * وَخَدِيجَه وَالبَتُولِ

وَبَنِي الزَّهرَا الفُحُولِ * رَبِّي عَجِّلْ بِالإِجَابَه

إنَّ للذِّكْرَى أَريجٌ * جَمْعُنَا جَمْعٌ بَهيجُ

سَطَعَتْ فيه خَديجُ * فَانْتَفَتْ عَنَّا الكَآبَه

وَصَلاَةُ اللهِ تَغْشَى * مَنْ زَكَى أَصْلاً وَمَنْشَا

هُوَ أَتْقَى هُوَ أَخْشَى * شَرَّفَ اللهُ جَنَابَه

وعلى الآل جميعا * وكذا كلّ الصحابة

اللهم كما مننتَ على السيّدة خديجة رضي الله عنها بتمام التصديق والإيمان. بنبيّك سيّدنا ومولانا محمد. صلى الله عليه وآله وسلَّم فمُنّ علينا بذلك يا قديم الإحسان.

وكما تفضّلتَ عليها بتعظيم حرمته. وحِفظ عهده وذِمّته. ونصْر حزبه ودعوته. ومتابعة سبيله وسنّته. وتأييد كلمته وحُجّته. فتفضّل علينا بذلك. واكتب لنا من ذلك الحظ الأَوْفر. والنصيب الأكبر. ووفّقنا للإستمساك بسنّته. ولزوم مِلّته. حتى نموت عليها. واحشرنا في زمرته. وتحت لوائه. واجعلنا من رفقائه. وأوردنا حوضه. واسقنا بكأسه. وانفعنا بمحبّته. وتب علينا. واحفظنا من جميع البلاء والبلوى. والفتن ما ظهر منها وما بطن. واغفر لنا ولوالدينا. ولمشائخنا ومعلّمينا. ولأهل الحقوق عينا. ولجميع المؤمنين والمؤمنات. والمسلمين والمسلمات. الأحياء منهم والأموات. وصلى الله على سيّدنا ومولانا محمد. وعلى آله وصحْبه وسلَّم تسليماً. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى المرسلين وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. اهـ

02- النزهة البهيجة في رياض سيرة الرسول والإستمتاع بقصّة زواجه من السيّدة خديجة الطاهرة أمّ البتول

الحمد لله محلِّي محاسِن السنّة المحمّدية بدرر أخبارها. ومجلِّي ميامِن السيرة النبويّة عن غرر آثارها. ومؤيِّد مَن اقتبس مِن نور هدايته مِن مشكاة أنوارها. ومسهِّل طريق الجنّة لِمَن اتّبع مستقيم صراطها. واهتدى بضياء منارها. ومذلِّل سبيل الهداية لِمَن اقتفى سرائر سيرها وسير أسرارها. فسبحانه مِن إله جعل اللهج بذكر نبيّه الصادق الأمين. يهيّج الأحوال الربانية. ويرقّي إلى المراتب العليّة. والمقامات الملكوتية. والإستغراق في محبّته يستجلب الفتوحات القدوسية. والأسرار اللدنية. والإستمساك بسنّته والإقتداء بسيرته يورِّث الفوائد العلمية العملية. ويمنح الكشوفات العيانية. والتوسّل بجاهه يفتح الأغلاق ويسهّل المقاصد الدنيوية والأخروية.

شُغِفْتُ بِمَدْحِ الهَاشِمِيِّ المُفَضَّلِ * مِن الله محْرُوس مِن العيْبِ والنَّقْصِ

صَدُوقٌ فَلَمْ يَنْطِقْ مَدَى الدَّهْرِ عَنْ هَوَى * كَذلِكَ قالَ الله فِي مُحْكَمِ النَّصِّ

صُنُوفُ صِفَاتِ الرُّسْلِ حِيزتْ لأحْمَدِ * وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يُجْمَعَ الفَضْلُ فِي شَخْصِ

صُدُوراً طَبَعْنَاهَا عَلَيْهِ مَحَبَّةً * فَجَاءَتْ كَنَقْشٍ لِلْخَوَاتِمِ فِي الفَصِّ

تَزَايَدَ شَوْقِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدِ * وَأَرْوَاحُنَا مِن شَوْقِ أَحْمَدَ في رَقْصِ

مُنَائِي رَجَائِي أَن أُقَبِّلَ قَبْرَهُ * وَقَبْرَ أَبِي بَكرٍ وَقَبْرَ أَبِي حَفْصِ

صلاتُك ربِّي والسلامُ على النبي * ما رنّح غُصْن في الحدائقِ بالرقْصِ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له. أبْرَزَ لنا من مَكنون عِلمِه الرَّحمة المُهداة. سيّدنا محمّداً رسولَ الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، صَلاَةً تُعَرِّفُنَا بِهَا إِيَّاهُ. فهو المثل الأعلى الذي جعله اللهُ قدوة للعالم أجمع فيما يحبّه ويرضاه، بعثه كاملا مُكمَّلا في جميع مراحلِ حياته. وفي سلوكه ومعامَلاته. هادياً إلى طريقِه القويمِ الذي ارْتضاه. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله الممجّد. ونبيّه الصادق الوعد. وصفيّه الأمين. الوفيّ العهد. وحبيبه الحامد المحمود. نِعْمَ العَبْد .

اللهُ أَوْلاَهُ مِنْ إِكْرَامِهِ كَرَما * وَدَارُهُ لِإحْتِرَام أَصْبَحَتْ حَرَما

وَمَنْ يُصَلِّ عَلَيْهِ فَازَ بَلْ غَنِمَا * وَمَنْ يلُوذُ بِهِ هَيْهَاتَ أَنْ يَظَمِ

صَلُّوا عَلَى المُصطَفَى يَا سَادَةَ الأُمَمِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد المصطفى المختار. وعلى آله السادة الأطهار. وصحابته الأجلّة الأبرار. صلاة نستجلب بها رضى مولانا الحليم الغفّار. ونكسى بها بين المحبّين حلّة مرقومة بمواهب المعارف المحمدية ولطائف الأسرار. موشّاة بحقائق العوارف الأحمدية وشوارق الأنوار. نفتخر بمحاسنها النبوية في محافل الصلحاء الأخيار. ونجرّ ذيل التيه بكمال عنايتها المصطفوية في هذه الدار وفي تلك الدار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)). وذلك أنّ حياة نبيّنا. سيّدنا ومولانا محمّد. صلى الله عليه وسلم. مثال أعلى لأولئك الرسل الكرام. عليهم الصلاة والسلام. ومثال أسمى لمَن أراد أن يعيش سعيدا كريما في نفسه. وأسرته وبيئته. ومثال صادق في القول والعمل. في السِّلْم والْحَرْب. في الْمَنْشَط والْمَكْرَه. وفي كلّ جزئيّة من جزئيّات هذه الحياة. فنشأ صلى الله عليه وسلم وعناية الله تعالى تحوطه منذ صغره حسّا ومعنى. أخرج ابن سعد وابن عساكر

وابن إسحاق والبيهقي عن داود بن الحصين قال: قالوا: شبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه. ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعايبها. لِمَا يريد به من كرامته ورسالته. حتى بلغ أنْ كان رجلا أفضلَ قومه مروءة. وأحسَنَهم خُلُقا. وأكرَمَهم حسبا. وأحسَنَهم جوارا. وأعظَمَهم حلما. وأصدَقَهم حديثا. وأعظَمَهم أمانة. وأبعَدَهم من الفحش والأخلاق التي تدنّس الرجال. تنزّها وتكرّما. ما رُئِيَ ملاحِيا ولا ممارِيا أحدا. حتى ما إسمه في قومه إلا الأمين. لِمَا جمع الله فيه من الأمور الصالحة. أيّها المسلمون. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشأته. يستعفّ بالعمل عن سؤال الناس. لم يكن عالةً على أحد، فلقد تربّى على الرجولة منذ نعومة أظفاره. فكان يعمل ويكافح في حياته. فقد رعى الغنم لأهل مكّة على قراريط. أي على دراهم قليلة، وهو حَدَث صغير. وعندما شبّ إشتغل بالتجارة. فكان يتاجر بسوق مكة. وبالأسواق القريبة منها. كسوق عكاظ ومجنّة وذي المجاز. فاستطاع خلال فترةٍ قصيرةٍ أن يتعلّم فنون التجارة. ويعرف مداخلها، فشارك السائب بن أبي السائب. فكان صلى الله عليه وسلم نعم الشريك لا يداري ولا يماري. وكان صادقا أمينا. بل خير أمين ومؤتَمَن. صلى الله عليه وسلم. حتى أصبح من التجّار المعروفين. وانتشر خبره بين الناس، أخرج أبو داوود وأبو يعلى وابن مَنْدَهْ في معرفة الصحابة والخرائطي في مكارم الأخلاق. عن عبد الله بن أبى الحمساء قال: بايعت النبيّ صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث. وبقيّت له بقيّة. فوعدته أن آتيه بها في مكانه. فنسيت، ثم تذكّرت بعد ثلاثة أيام، فجئت فإذا هو في مكانه؛ فقال: ((يا فتى لقد شققت عليّ. أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك)). لقد كان لهذه النشأة العصامية. وهذا التعامل الصادق. كان له أثره في نفوس الناس. حتى لقّبوه بالصادق الأمين. ومن ثَمَّ كان الكثير من تجّار مكة يَعرضون عليه العمل لهم في تجاراتهم. مقابل أجر أكبر من أقرانه. حتى سمعت به سيّدة من سيّدات قريش. ذات شرف ظاهر. ومال وافر. وحسب فاخر. عُرفت بمكة المكرّمة بالطاهرة. وبسيّدة نساء قريش. إنّها أولى أمّهات المؤمنين. وزوج رسولنا الأمين. صلى الله عليه وسلم. إنّها السيّدة خديجة بنت خويلد. رضي الله عنها وأرضاها. ونفعنا ببركاتها. كانت من أكبر تجّار مكة. تستأجر الرجال ليتاجروا بمالها في أسواق الشام والحبشة. مقابل أجر لهم. فأرسلت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تستأجره أن يخرج لها في تجارة إلى الشام. على أن تدفع له أجر رجلين. حين سمعت بصدقه وأمانته، وكان يومها صلى الله عليه وسلم في الخامسة والعشرين من عمره. روى

ابن سعد وابن السّكن وأبو نعيم عن نفيسة بنت مُنيّة قالت: قالت له خديجة: ((إنّه دعاني إلى البعث إليك. ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك. وكرم أخلاقك، وسأعطيك ضعف ما أعطي رجلا آخر من قومك)). ففعل رسول الله، صلى الله عليه وسلم. ثم لقي عمّه أبا طالب فذكر له ذلك. فقال: إنّ هذا لرزق ساقه الله إليك. ولكن لو كُشف الغيب لأبي طالب. واطّلع على ما هيّأته الأقدار الإلاهية للسيّدة خديجة بهذه الإجارة. من سعادة الدنيا والدين، لقال لابن أخيه: هذا رزق ساقه الله لخديجة! وصدق الإمام البوصيري حيث قال في همزيّته:

وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاساً * لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

أيّها المسلمون. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة، وقالت خديجة لميسرة: لاتعص له أمرا. ولا تخالف له رأيا. ومن حين سيره أظلّته الغمامة. فلمّا قدم الشام. نزل في سوق بصرى في ظلّ شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا. فاطّلع الراهب إلى ميسرة. وكان يعرفه. فقال: يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ. إلاّ نبي. ثم قال له: أفي عينيه حمرة؟ قال ميسرة: نعم. لا تفارقه. فقال الراهب: هو هو، وهو آخر الأنبياء، ويا ليت أنّي أدركه حين يؤمر بالخروج. . ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى، فكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة. فقال الرجل: إحلف باللات والعزّى. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم:((ما حلفت بهما قطّ))، فقال الرجل: القول قولك، ثم قال الرجل لميسرة وقد خلا به: يا ميسرة هذا نبي هذه الأمّة، والذي نفسي بيده إنّه لهو. تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم، فوعى ميسرة ذلك. ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم باع وربح ربحا لم يربحه أحد من أهل القافلة. حتى قال له ميسرة: اتّجرنا لخديجة سنين. ما رأيت ربحا مثل هذا!. أيّها المسلمون. ولمّا رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة. رأته خديجة مقبلا وهي بين نسوة في عليّة. وملكان على رأسه الشريف من وهج الشمس قد أظلّاه. وأخبرها ميسرة بأنّه رأى ذلك في السفر كلّه. وبما قال له الراهب. وأودعه لديه من الوصية. وهذا كله إعتناء الله تعالى بالسيّدة خديجة رضي الله عنها. حيث أطلعها سبحانه على هذه المعجزات. وعرّفها بهذه الخوارق للعادات. حتى اهتدت لمعرفة رسول الله. صلى الله عليه وسلم. ومحبّته والتصديق

برسالته. فكان ذلك تعرّفا من الله إليها. فكانت رضي الله عنها ممّن تعرّف الله إليهم بنوره. ولا يستوي من تعرّف الله إليه بنوره. مع من تعرّف إلى الله بعقله. قال تعالى في سورة النور: ((نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)). قال ابن إسحاق: فلمّا رأت خديجة أنّ تجارتها قد ربحت. أضعفت له ما سمّت له. وبعد مجيئه صلى الله عليه وسلم من الشام بشهرين. خطبته لنفسها لتنال به السعادة الأبدية. وتشمّ من الإيمان به طيب ريّاه. وَكَانَ عُمُرُها رضي الله عنها يَوْمَئِذٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وهو صلى الله عليه وسلم إبنُ خمسٍ وعشرينَ سَنَةً، وقد أشار إلى ما تقدّم. الإمام البوصيري رحمه الله في همزيته بقوله:

وَرَأَتْهُ خَدِيجَةٌ وَالتُّقَى وَالزُّهْـ*ـدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ

وَأَتَاهَا أَنَّ الْغَمَامَةَ وَالسَّرْ * حَ أَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ

وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعْدَ رَسُولِ * اللهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ

فَدَعَتْهُ إِلَى الزَوَاجِ وَمَا أَحْـــسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الأَذْكِيَاءُ

فأخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أعمامه بما دعته إليه هذه البرّة التقيّة. فرغبوا فيها. لفضل ودين. وجمال ومال. وحسب ونسب. كلّ من القوم يهواه. وكانت رضي الله عنها قَدْ تَزَوَّجَتْ قَبْلَهُ صلى الله عليه وسلم بِرَجُلَيْنِ، روى الطبراني عن الزبير بن بكار قال: كانت خديجة رضي الله عنها قبل رسول الله صلى عليه وسلم.عند عتيق بن عائذ المخزومى، فولدت له جارية إسمها هند، ثم خلف عليها أبو هالة، هند بن زرارة التميمي، فولدت له هندا وهالة، فهما أخوا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان هند فصيحا بليغا وصّافا، وكان يقول: أنا أكرم الناس أبا وأمّا وأخا وأختا، أبي رسول الله لأنّه زوج أمّه، وأمّي خديجة، وأخي القاسم، وأختي فاطمة، قتل هند هذا مع سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه يوم واقعة الجمل. ومن خصائصها الشريفة. ومناقبها المنيفة. رضي الله عنها. أنّ كل أولاده صلى الله عليه وسلم منها. إلاّ سيّدنا إبراهيم فمن مارية القبطية. التي أهداها له مقوقس مصر. روى ابن سعد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أكبر ولد الرسول صلى الله عليه وسلم القاسم. وبه كان يكنّى. ثم زينب ثم عبد الله. ويقال له: الطيّب والطاهر. ثم أمّ كلثوم. ثم فاطمة الزهراء. ثم رقيّة. فمات القاسم، وهو أوّل ميّت من

ولده صلى الله عليه وسلم بمكة. ثم مات عبد الله، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع نسله. فهو أبتر. فأنزل الله عزّ وجلّ: ((إنَّا أعطيناك الكوثرَ فَصَلِّ لربّك وانْحَرْ إنَّ شَانِئَكَ هو الأَبْتَرُ)). ومِنْ كرامَةِ أمّ المؤمنين السيّدة خديجة رضي الله عنها على النبيّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. أنّهُ لَمْ يَتَزَوَّجِ امْرَأَةً قَبْلَها، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عليها قطُّ، ولا تسرَّى. إلى أنْ قَضَتْ نحبَها، فحَزِنَ لِفَقْدِها حُزنًا شديدًا. معَ كاملِ الصَّبرِ والتَّسليمِ للهِ ربِّ العالمينَ. وكانتْ رَضِيَ اللهُ عنها رابِطَةَ الجأشِ، عاقِلَةً مَصُونَةً، ثَبَّتَتْ جَأْشَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَمَّا فَاجَأَهُ الوحيُ أوّلَ مرةٍ في غارِ حِرَاءَ، فرَجَعَ إليها يَرْجُفُ فؤادُهُ، يقولُ لَها: ((زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)). فقالتْ لَهُ في ثقة ويقين: كَلا وَاللَّهِ. لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. ومن خصائصها رضي الله عنها التي نالت بها أعلى مراتب الشرف والكمال. أنّها أوّل من آمن بالحبيب صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال. فصدّقته وآزرته وثبّتته. وخفّف الله بسبب إيمانها عن نبيّه صلى الله عليه وسلم كل همّ. وفرّج عنه ما أصابه في الدعوة من تعب ونكد وغمّ، وقد حَفِظَ لَهَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هذه الخِدْمَةَ الجليلةَ، فكانَ يَذْكُرُها بِها بعدَ موتِها، وبينَ معاشَرِ أزواجِهِ، يغارُ عليها. ويُبَالِغُ في تعظيمِها ويُثْنِي عليها، أخرج البُخَارِيُّ في صحيحه عن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاء، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إلاَّ خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: ((إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ)). وروى الطبراني بإسناد جيّد. عن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة رضي الله عنها لم يكد يسأم من ثناء عليها. واستغفار لها. فذكرها ذات يوم. فاحتملتني الغيرة، فقلت: لقد عوّضك الله من كبيرة، قالت: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب غضبا شديدا، وسقطتّ في جلدي، فقلت: اللهم إن ذهب غيظ رسولك، لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت، قالت: فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقيت، قال: ((كيف قلت والله، لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وواستني، إذ رفضني الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، ورزقت من الولد إذ حرمتموه))، فغدا وراح عليّ بها شهرا. وهكذا. فإنَّ الجزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، ((وهَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا

الإِحْسَانُ)). فَإِنَّهَا رَضِيَ اللهُ عنهَا لَمَّا قَامَتْ بخِدْمَتِهِ صلى الله عليه وسلم. أَحْسَنَ قيام. بل آمَنَتْ بهِ وآزرته. فأَحْسَنَ إليها النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَ مَوْتِهَا. وهو الزوج الوفيّ. بِدَوَامِ ذِكْرِها. والإستِغْفَارِ لَها. والثَّنَاءِ علَيها، ومن خصائصها رَضِيَ اللهُ عنها. أنّها من أفضل نساء أهل الجنّة. روى الإمام أحمد، وأبو يعلي، والطبراني برجال الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط. فقال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)). وفِي الصَّحيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي. وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ)). وكانَ ذلك في حَيَاتِها رَضِيَ اللهُ عنها. قال السهيلي رحمه الله في كتابه (الروض الأُنُف شرح سيرة ابن هشام): وإنّما بشّرها ببيت في الجنّة من قصب. لأنّها حازت قصب السبق فى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب، لأنّها لم ترفع صوتها على النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولم تتعبه يوما من الدهر، فلم تصخب عليه يوما، ولا آذته أبدا. وروى النسائي والحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ خَدِيجَةُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُقْرِئُ خَدِيجَةَ السَّلاَمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلاَمُ، وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)). وفي اليوم الحادي عشر من رمضان. قبل هجرة سيّد ولد عدنان. صلى الله عليه وسلم. بثلاث سنين. توفّيت مولاتنا السيّدة خديجة أمّ المؤمنين. رضي الله عنها. ونزل النبيّ صلى الله عليه وسلم في قبرها. وسوّى عليها التراب وأحسن نزلها، وهي فضيلة لها دون غيرها من أمّهات المؤمنين. رضي الله عنهنّ أجمعين. وكان لها من العمر خمس وستّون سنة. ودفنت بمكة المكرّمة. بمقبرة المعلاة. المعروفة بالحُجُون. ولم يكن يومئذ شرعت الصلاة على الجنائز. فَرَضِيَ اللهُ عنها وأَرْضَاهَا. وَأكرَمَ مَثْوَاها. ونفعنا ببركاتها. ورزقنا زيارتها. وَحَشَرَنَا معَهَا تحتَ لِوَاءِ حَبِيبِه سيّدنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. نسأل الله تعالى داعين قائلين اللهم إنّا:

نَتَوَسَّلْ بالحُبَابَه * وَالبَتُولِ المُسْتَطَابَه

وَالنَّبِي ثُمَّ الصَّحَابَه * فَعَسَى الدَّعْوَه مُجَابَه

رَبِّ بالزَّهرَا الحَنُونِ * وَأَبِيهَا وَالبَنُونِ

وَبأُمِّ فِي الحُجُونِ * جُدْ عَلَينَا بِالإِجَابَه

رَبَّنَا نَسْأَلُكَ نَظْرَه * تَنْتَفِي عَنَّا المَضَرَّه

وَتُعجِّلْ بِالمَسَرَّه * لاَ تُرَى فِينَا كَآبَه

أَرِنَا وَجْهَ الرَّسُولِ * وَخَدِيجَه وَالبَتُولِ

وَبَنِي الزَّهرَا الفُحُولِ * رَبِّي عَجِّلْ بِالإِجَابَه

إنَّ للذّكْرَى أَرِيجٌ * جَمْعُنَا جَمْعٌ بَهيجُ

سَطَعَتْ فيه خَديجُ * فَانْتَفَتْ عَنَّا الكَآبَه

وَصَلاَةُ اللهِ تَغْشَى * مَنْ زَكَى أَصْلاً وَمَنْشَا

هُوَ أَتْقَى هُوَ أَخْشَى * شَرَّفَ اللهُ جَنَابَه

وعلى الآل جميعا * وكذا كلّ الصحابة

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ.وَسَلَامٌ عَلَى المرسلين وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. اهـ

03- مذاكرة المحبّين الصّادقين عن فَضْل السيّدة عائشة أمّ المؤمنين وعلوّ مكانتها في نَشْر علوم الدّين

الحمد لله الواحد القهّار، يخلق ما يشاء ويختار. يصطفي للشرف مَنْ شاء مِنَ الأخيار، وجعَلَ في أَخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، فسبحانه من إله فضَّلَ بعضَ خلقِه على بعضٍ بالإنعامِ والإفضالِ، وجعلَ بيتَ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم خيرَ بيتٍ وأهلَه خيرَ آلٍ. وعِتْرته خير العِتَر، وأسرته خير الأُسَر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حَرَمٍ، وبسقت في كَرَمٍ، لها فروع طِوال، وثَمَرٌ لا يُنال.

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ * أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ قِيلَ هُمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ * فِي كُلِّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ

يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالبَلْوَى بِحُبِّهِمُ * وَيُسْتَزَادُ بِهِ الإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ * كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له، أكرم أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وخصوصا منهنّ السيّدة عائشة؛ إذ نالت من قلب الحبيب المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلَّم العلم النافع. والحب الخالص. ورُوحَ البشاشة، فجَيَّشَتْ الشعور والإحساس عَبْر القرون من أجل الإستقاء من بحر علومها في نفوس المؤمنين الجيَّاشة، ومن أجل استفتاء فقهها لضبط المشاكل الواقعة الطائشة، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله.

محمّد المحمود أحمد حامدُ * ومَن مثله في الناس لله حامدُ

حبيب إلى كل الوجود محبَّب * له فوق ساق العرش دامت محامد

أجلّ الورى أصلا وبيتا ومنصبا * ومَن كرسول الله في الناس ماجد

به يرتقي أهل المراتب في العلا * وتسموا لهم عند الإله مقاعد

ألا يا رسول الله إنّيَ شائق * إليك وقلبي أزعجته المواجد

لدى ذِكرك الأحلى أميل صبابة * كما مال طير بالغضا متواجد

تعطّف على عبدٍ ببابك واقف * لعَمرك لا تلويه عنك الشدائد

فمِن فضلك افتلني وجد لي بفَلتة * ليعضد في الدارين منّيَ ساعد

عليك صلاة الله والآل كلّهم * وصحبك مَن عنهم أتتنا القواعد

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَى سيّدِنَا محمّدٍ. الخاتم لنبوّة النّبيّين. ورسالة المرسَلين. وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين. وصحابته القائمين بشريعته على سَنَنِ الإيضاح والتبيين. صلاة تسلك بها بنا طريق الأئمّة المهتدين. وتنوّر بها بصائرنا بنور الإستقامة والفتح المبين. ونكون بها من عبادك المُوَفَّقِين المُؤَيَّدين. الداعين إلى

طاعتك المرشِدين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)). فَكَانَ صلّى الله عليه وآله وسلَّم بِحَقٍّ نِعْمَةً عَظِيمَةً. وَمِنَّةً كَرِيمَةً، على عباد الله المؤمنين. بَلْ هُوَ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ حيث صار لهم أَبًا. وأزواجه أمّهاتٍ لهم. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)). وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ)). وقال مجاهد: كل نبيّ أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أبوهم في الدّين، وأزواجه أمّهاتهم، فى تحريم نكاحهنّ. ووجوب تعظيمهنّ، مِنَّةٌ من الله تعالى عليهنّ بهذا الفضل. حيث فرض هذه الأمومة وقرّرها على جميع المومنين. أيّها المسلمون. ومن هؤلاء الزوجات الطاهرات. أمّهات المؤمنين. الطّاهرة المطهَّرة، المبرَّأة من فوق سبع سماوات، زوج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وريحانته وحبيبته. إنّها أمّنا. وأمّ المؤمنين جميعًا. الصّدّيقة بنت الصدّيق، السيّدة عائشة بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق، رضي الله عنها وعن أبيها. ففي مثل هذا الشّهر. وهو شهر شوّال. من السّنة الأولى من هجرة النبيّ عليه الصلاة والسلام. كان اختيار الله تعالى للسيّدة عائشة رضي الله عنها. أن تكون زوجة في الدنيا والآخرة. لحبيبه ومصطفاه. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ففي صحيح مسلم عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنّهَا قَالَتْ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلاَثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ)). وروى الترمذي وحسّنه وابن عساكر عنها رضي الله عنها قالت: ((جاء بي جبريل لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم في خرقة حرير خضراء، فقال: هذه زوجتك في الدنيا والاخرة)). وفي صحيح مسلم وغيره عن عُرْوَة بن الزبير رضي الله عنه عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ: ((تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي. قَالَ عُرْوَة: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ)). أي: أن تُزَوِّجَ نساء عائلتها في شوال؛ ولهذا كان الزواج في شوال مستحبا عند العلماء؛ وخاصة علماء المالكية والسافعية. قال الإمام

النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب التّزويج والتّزوّج والدّخول في شوّال. أيّها المسلمون. فكم لها رَضِيَ اللهُ عَنْها من الفضائل. فبأيّها نبدأ؟ وكم لها من المنازل العظيمة. فكيف نصفها؟ تلك الصّدّيقة بنت الصّدّيق. رضي الله عنهما. ولدت في مكة. وتزوّج بها النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وهي صغيرة، فعاشت معه تسع سنوات. قضت معه الأيامَ بحلاوتها وطلاوتها. في السراء والضراء، تبادله المودّة والرحمة، وتوفّر له الراحة والطمأنينة والسكينة؛ قال الذهبي: (لم يتزوّج النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم بِكرا غيرها، ولا أَحَبَّ امرأة مثل حبها). لقد كان لأمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها منزلة خاصّة في قلب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وكان يُظْهِر ذلك الحبّ ولا يُخْفيه. روى الشيخان في صحِيحَيْهِما أنّ سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه. سأل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((أيّ النّاس أحبّ إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة. قال: فَمِنَ الرّجال؟ قال: أبوها)). وكان خبر حبّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم لها أمراً مستفيضاً، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرَّوْن بهداياهم للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم يوم عائشة من بين نسائه، تقرّباً إلى مرضاته، فقد روى البخاري ومسلم عن هِشَام عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ((كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ. قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم. قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي. فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي. فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ. فَقَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا)). ولمّا فَرَضَ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأُمَّهَاتِ المؤمنين عشرة آلاف، زاد عائشةَ ألفَيْن، وقال: إنّها حبيبةُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. أيّها المسلمون. لقد كانت أمّنا السيّدة عائشة رضي الله عنها إمرأة مباركة. ما وقعت في ضيق أو حَرَجٍ إلاّ جعل الله بسبب ذلك فَرَجًا ومخرجا للمسلمين. فقد كانت سببا في مشروعيّة التّيمّم. فعنها رضي الله عنها قالت: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ. حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي. فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم عَلَى الْتِمَاسِهِ. وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ. فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ. وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ. فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم وَالنَّاسَ. وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ. وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي. فَلَا يَمْنَعُنِي مِنْ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم عَلَى فَخِذِي. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا. فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ. قَالَتْ: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فوجدنا الْعِقْدَ تَحْتَهُ. فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: واللهِ يا بنيَّة، لقد علمتُ أنّكِ مباركة، ماذا جعل الله للمسلمين في حَبْسك إيّاهم من البركة واليُسر)). أيّها المسلمون. ولعظيم شرفها ومكانتها رضي الله عنها. لم يشأ الله تعالى أن يترك حبيبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم تنال منها ألسنة المنافقين. التي رمتها بالإفك والبهتان، بل برّأها من فوق سبع سماوات. وأنزل فيها عشر آيات كريمات في سورة النور، وَحْيًا يتلى على مرّ الدّهور، وتعاقب العصور، يخلّد ذكراها العطرة. ويزكّيها بتزكية الربّ الكريم، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)). بل لم يقتصر الإعتراف بشرفها ومكانتها على الإنس فقط؛ بل اعترفت بها الملائكة؛ فهذا قائد الملائكة جبريل عليه السلام؛ فيما روى البخاري ومسلم أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال لها ذات يوم: ((يا عائِش؛ هذا جبريل يُقْرِئُكِ السلام)). أيّها المسلمون. كانت أمّنا عائشة رضي الله عنها طالبة عِلم؛ قد وهبها الله تعالى عقلا راجحا، وذكاء وقّادا، وفطنة يقظة، وسرعة فَهم. وقوّة حافظة؛ قال الإمام المؤرِّخ المفسِّر ابن كثير: (لم يكن في الأُمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها)؛ كانت تسأل بإلحاح النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وهو معلّمها المربّي ، وتراقب أحواله في العادات وفي العبادات عن كثب، فتسَجِّل ما فهمت، وتساجل فيما لم تفهم حتى تفهم، فتحفظ وتحافظ وتستوعب نصوص الوحيين من القرآن والسنّة نظريا وتطبيقيا، وكان لها مصحف خاص يُسمّى: (مصحف عائشة). تسجّل فيه تفسيراتها وتأويلاتها؛ هكذا كانت مثالا نموذجيا للزوجة الوفية، ولطالبة العلم الملِّحة؛ حتى تُوفي النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وهو راضٍ عنها، فتخرّجت من

مدرسة النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وهي بنت ثمان عشرة سنة، أيّها المسلمون. من فضائلها رضي الله عنها يقول عنها النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم. كما في صحيح البخاري. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)). ولعلّ إحدى هذه الفضائل، التي امتازت بها أُمُّنَا. على سائر نساء المؤمنين. من السابقين واللاحقين، أنّها رضي الله عنها روت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عِلْمًا جَمًّا، وحفظت من حديثه عددًا كثيرًا، حتَّى غَدَتْ مِنْ حُفَّاظِ السُّنَّةِ والحديث. الذين حَفِظَ اللهُ تعالى بهم الدين، وليس بعدَ هذا الشَّرَف مِنْ شَرَف. فقد سجّلت نفسها ضِمن السبعة الأوائل المكثرين من رواية الحديث النبوي، وهي منهم في المرتبة الرابعة: في المقدّمة أبو هريرة (5374 حديثا)، ثم عبد الله بن عمر (2630 حديثا)، ثم أنس بن مالك (2286 حديثا)، ثم أمّ المؤمنين عائشة (2210 حديثا)، ثم عبد الله بن عباس (1660 حديثا)، ثم جابر بن عبد الله (1540 حديثا)، ثم أبو سعيد الخدري (1170 حديثا)؛ وجمعهم من قال:

وَالْمُكْثِرُونَ فِي رِوَايَةِ الأَثَرْ * أَبُو هُرَيْرَةَ يَلِيهِ ابْنُ عُمَرْ

فَأَنَسٌ فَزَوْجَةُ النَّبِيِّ * وَجَابِـر وَالْحَبْرُ كَالْخُدْرِيِّ

قال الحافظُ الذهبيُّ في سِيَر أعلام النبلاء: مُسْنَدُ عائشةَ يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث. وروى الترمذي في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: ((مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)). وقال عُرْوَةُ بن الزبير: (ما رأيتُ أحدًا من النّاس أعلمَ بالقرآن ولا بفريضةٍ ولا بحلالٍ وحرامٍ ولا بشِعْرٍ ولا بحديثِ العرب ولا النَّسَبِ مِن عائشةَ رضي الله عنها). قال عنها سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه: (لو كانت امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة)، وهذا أحد طلبتها الإمام التابعي مسروق بن الأجدع الكوفي وقد سئل: (هل كانت تُحْسِن عائشة الفرائض أيْ عِلم الميراث؟ فقال: لقد رأيتُ أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم يسألونها عن الفرائض)؛ فساق الجواب بالدليل؛ فإذا كان الصحابة يسألونها عن علم الميراث. فإنّ ذلك يدلّ على أنّها أفقه منهم فيه. أيّها المسلمون. فأمّنا عائشة رضي الله عنها أستاذة التعليم الأعلى في الإسلام؛ فإذا كان الأستاذ

اليوم يعتزّ بكونه أستاذ التعليم العالي في المدارسة فقط؛ فإنّ السيّدة عائشة رضي الله عنها هي أستاذة التربية قبل التعليم، وأستاذة التعليم الأعلى في المدارسة والممارسة معا، أستاذة الأجيال في خير الأجيال بخير القرون؛ لقد عاشت بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم تقريبا تسعا وأربعين سنة، تنشر العلم النافع. والحديث الصحيح؛ فكانت مرجع الصحابة والتابعين في أمّهات المهمّات، توجِّه إلى الصواب. وتصحِّح الأخطاء، يسألونها في الأمور الخاصّة فيأخذون بفتواها، ويستشيرونها في الأمور العامّة فيعملون بمشورتها. لقد أتقنت رضي الله عنها العلوم الشرعية واللغوية. والأدبية والطبية. حسب مستوى الطب في وقتها؛ قال عنها ابن أختها عروة بن الزبير: (ما رأيتُ أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها)، وقال فيها عالم الأندلس ابن عبد البر: (إنّ عائشة كانت وحيدة بعصرها في ثلاثة علوم: علم الفقه، وعلم الطب، وعلم الشعر)، وقال الإمام المحدّث الذهبي: عنها: (أفقه نساء الأمّة على الإطلاق)، (ولا أعلم في أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم؛ بل ولا في النساء مطلقا امرأة أعلم منها). أيّها المسلمون. وقد بلغت رضي الله عنها الغاية في الكرم والجود والإيثار، فقد رضيت بأن تُدفن في البقيع. جوار زوجات النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وآثرت سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يُدفن في حجرتها جوار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه. ولمّا مرض النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم مَرَضَ موته وثقل. ما أحبّ أن يكون إلاّ في بيت عائشة، فقد روى البخاري عَنْها رضي الله عنها قَالَتْ: ((إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ -يَشُكُّ عُمَرُ- فِيهَا مَاءٌ. فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ)). فأيّ امرأة أجلّ، وأيّ نفس أعظم، وأيّ روح أزكى، من روح تستند إليها روح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وتكون آخِر العهد بها في الدنيا، ألا ما أعظمك يا أمّنا الحبيبة! وما أجلّ قدرك! وما أزكى روحك! أيّها المسلمون. إنّ لأمّنا السيّدة عائشة رضي الله عنها

من المناقب ما يقصر البيان عن ذِكره، وإنّ معرفة فضائلها. وتقديرها حقّ قدرها. والدفاع عن عِرْضها، دِينٌ ندين الله عزّ وجلّ به، فمحبّتها دِين وإيمان، وبغضها نفاق وطغيان، كيف لا وهي أمّ المؤمنين، وعِرْض رسول ربّ العالمين، عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان في السنة الثامنة والخمسين للهجرة النبوية. توفّيت أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها. وعمرها سبع وستّون سنة. وصلّى عليها الصّحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه. ودُفنت في البقيع، بجوار أمّهات المؤمنين. زوجات الرسول الأمين. وآل بيته الطيّبين الطاهرين. فرضي اللَّه عنها وأرضاها. ورفع منزلتها، وحشرنا في زمرتها، مع الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وآله وسلَّم. ورحم الله الشيخ يوسف النبهاني إذ يقول في قصيدته (طَيْبة الغرّاء في مدح سيّد الأنبياء). متوسِّلا بأمّنا عائشة رضي الله عنها:

وَبِرُوحِي فَخْرُ النّساءِ على الإطـ*ـلاق ذاتُ الفضائل الحمراءُ

بنتُ صدّيقِكَ الأحبُّ من الكـ*ـلِّ إليك الصدّيقةُ العذراءُ

أَعلمُ العالِمات في النّاس عنـ*ـها قَد روى شَطْرَ ديننا العلماءُ

ذاتُ فَضْلٍ لو كان يُقْسَمُ في * كـلِّ نِساءِ الورى فَضَلْنَ النساءُ

مَنْ أراكَ الرحمنُ صورَتَها قبـ*ــلُ حَوَتْها الحريرةُ الخضراءُ

بينَ سَحْرٍ لها ونَحْرٍ وفاةٌ * لكَ كانَت يا نِعْمَ هذا الوفاءُ

سَهَّلَ الموتُ رؤيةَ الْيَدِ في الجنَّـ*ــةِ مِنها وَهْيَ اليدُ البيضاءُ

رضيَ اللَّه عَن أَبيها وعنها * وَرضيتُم فَلتَسْخَطِ الثُّقَلاءُ

وقال عنها أبو عمران موسى بن محمد المعروف بالواعظ أحد شعراء الأندلس في قصيدته المشهورة في ست وخمسين بيتا في مناقبها، وهو يدافع عنها ضد طغاة الشيعة الفاطميين في القرن السادس الهجري، وأعيدها اليوم ضد غلاة الشيعة الصفويين في القرن الرابع عشر الهجري؛ قال على لسانها:

ما شَأنُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ وَشَأنِي * هُدِيَ المُحِبُّ لها وضلَّ الشَّانِي

إنِّي أَقُولُ مُبَيِّناً عَـنْ فَضْلِها * ومُتَرْجِماً عَنْ قَوْلِها بِلِسَانِي

يا مُبْغِضي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّـدٍ * فالبَيْتُ بَيْتِي والمَكانُ مَكانِي

إنِّي خُصِّصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ * بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعانِي

وَسَبَقْتُهُنَّ إلى الفَضائِـــلِ كُلِّـها * فالسَّبْقُ سَبْقِي والعِنَـــانُ عِنَانِي

مَرِضَ النَّبِيُّ وَمَاتَ بَيْنَ تَرَائِبِـي * اليومُ يومي والزمانُ زمانـــــي

زَوْجِـي رسولُ الله لم أرَ غيرَه * اللهُ زَوَّجَنِي به وحَبَانِي

وَأَتَاهُ جِبْرِيلُ الأَمِيـنُ بِصُورَتِـي * فَأَحَبَّـــنِي المُخْتَـــارُ حِينَ رَآنِي

وتَكَلَّمَ اللهُ العَظِيمُ بِحُجَّـتِي * وَبَرَاءَتِي في مُحْكَمِ القُـرآنِ

وسَمِعْتُ وَحْيَ اللهِ عِنْـدَ مُحَمَّدٍ * مِن جِبْرَئِيلَ ونُورُهُ يَغْشانِي

أَوْحَى إلَيْهِ وَكُنْتُ تَحْـتَ ثِيابِهِ * فَحَنا عليَّ بِثَوْبِهِ خَبَّاني

مَنْ ذا يُفَاخِرُني ويَنْكِرُ صُحْبَتِي * ومُحَمَّـدٌ في حِجْـرِهِ رَبَّـاني

إنِّي لَطَيِّبَـةٌ خُلِقْـتُ لِطَيِّبٍ * ونِسَاءُ أَحْمَـدَ أَطْيَـبُ النِّسْوَانِ

إنِّي لأُمُّ المُؤْمِنِينَ فَمَنْ أَبَـى * حُبِّي فَسَوْفَ يَبُوءُ بالخُسْـرَانِ

اللهُ حَبَّبَـنِي لِقَلْـبِ نَبِيِّهِ * وإلى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيـمِ هَدَانِي

واللهُ يُكْرِمُ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتِي * ويُهِينُ رَبِّي مَنْ أَرَادَ هَـوَانِي

فاحذروا أيّها الأحباب. واعلموا أنّ من تعظيمكم لهذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم. أن تعظّموا الشأن في أهل بيته وفي أزواجه. وأن تعظّموا القدر في أصحابه. رضوان الله على الجميع. نسأل الله تعالى أن يجمعنا بالصّدّيقة وأبيها في جنّات ونهر، في مقعد صِدْق عند مليك مقتدِر، وأن يجعل حبّنا لها ولأبيها من أفضل الأعمال التي تقرّبنا إلى الله تعالى زُلفى، فالمرء مع مَن أحبّ يوم لا ينفع مال ولا جاه، اللهمّ فإن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لنبيّك وصحابته وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حِصْنهم الحصين وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبَّل والثواب

الجزيل. اللهمّ إنّا نسألك أن ترزقنا الأدب معك ومع رسولك صلّى الله عليه وسلّم. ومع أهل بيته وأزواجه. ومع أصحابه الكرام. بل وأن ترزقنا الأدب أيضا مع إخواننا من المسلمين جميعا. بفضلك وكرمك يا رحيم يا رحمان. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

04- تعطير المحافل بذكر بعض ما للسيّدة عائشة رضي الله عنها من الفضائل

الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشّرف من شاء من الأخيار، خصّ حبيبه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم بكمال الشّرف والتّعظيم والإحترام. ورفع قدر من انتمى إليه بصحبة أو نسب أو قرابة من ذوي الأرحام. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. فضَّلَ بعضَ خلقِه على بعضٍ بالإنعامِ والإفضالِ، وجعلَ بيتَ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم خيرَ بيتٍ وأهلَه خيرَ آلٍ،

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أئِمّتَهُمْ * أوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأرْضِ قِيلَ هُمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ * فِي كُلِّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ

يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالبَلْوَى بِحُبِّهِمُ * وَيُسْتَزَادُ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

هُمُ الغُيُوثُ إذَا مَا أزْمَةٌ أزَمَتْ * وَالأُسْدُ أُسْدُ الشَّرَى وَالبَأْسُ مُحْتَدِمُ

وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله.

محمّد المحمود أحمد حامد * ومَن مثله في الناس لله حامد

حبيب إلى كل الوجود محبَّب * له فوق ساق العرش دامت محامد

أجلّ الورى أصلا وبيتا ومنصبا * ومَن كرسول الله في الناس ماجد

به يرتقي أهل المراتب في العلا * وتسموا لهم عند الإله مقاعد

ألا يا رسول الله إنّي شائق * إليك وقلبي أزعجته المواجد

لدى ذكرك الأحلى أميل صبابة * كما مال طير بالغضا متواجد

تعطّف على عبد ببابك واقف * لعَمرك لا تلويه عنك الشدائد

فمِن فضلك افتلني وجد لي بفَلتة * ليعضد في الدارين منّي ساعد

عليك صلاة الله والآل كلّهم * وصحبك مَن عنهم أتتنا القواعد

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَى سيّدِنَا محمّدٍ. وعلى آله وأزواجه. ينابيع إحسانه وبرّه. وصحابته الملحوظين بعين عنايته ونصره. صلاة تحفظنا بها من نكبات الدهر وشرّه. وتنجينا بها من سطوة كل ظالم وقهره. وتحمينا بها من حيلة كل محتال وغدره. وتكفينا بها شرّ كل مَن رامنا بسوء وتردّ كيده في نحره. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الإمام البصيري رحمه الله تعالى:

وإذا سخّر الإله أناسا * لسعيد فإنّهم سعداء

أي أنّ الله تعالى إذا وفّق أناسا وسخّرهم لخدمة سعيد ومحبّته. والقيام بشأنه ومؤونته. فإنّهم بسبب ذلك سعداء. فالشريف في ذاته يفيض بالشّرف على مَن حوله. والكريم في معدنه يسري كرمه في المحيطين به، لأنّ بركة ذلك السعيد ويمنه وبرّه. تنسحب عليهم حتّى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة. لأنّ المرء مع مَن أحبّ. وإن لم يعمل بعمله. كما صحّ ذلك في الحديث الشريف. فكثير من سلالة سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام غدوا أنبياء. كما قال تعالى في سورة العنكبوت: ((وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)). وأصحاب سيّدنا عيسى عليه السلام صاروا حواريّين. قال تعالى في سورة آل عمران: ((فَلَمّا أَحَسّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِيَ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ)). ورفاق سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم شرفوا بالصّحبة. قال تعالى في سورة الفتح مادحا لهم: ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)). ونسله صلى الله عليه وسلم وذريّته استحقّوا وصف الشّرف والسّيادة، فلقرابتهم من الحبيب المصطفى. صلى الله عليه وسلم. ذكرهم الله في كتابه. وشرّفهم بقوله في سورة الشورى: ((قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المودّة فِي الْقُرْبى)). وأمّا أزواجه صلى الله عليه وسلم

فأمّهات للمؤمنين. منّ الله عليهنّ بهذا الفضل. وفرض هذه الأمومة وقرّرها على جميع المومنين. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)). وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ((النبيء أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم)). وقال مجاهد: كل نبيّ أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم أبوهم في الدّين، وأزواجه أمّهاتهم، فى تحريم نكاحهنّ. ووجوب تعظيمهنّ، ومن هؤلاء الزوجات الطاهرات. أمّهات المؤمنين. الطّاهرة المطهّرة، المبرّأة من فوق سبع سماوات، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وريحانته وحبيبته. إنّها أمّنا. وأمّ المؤمنين جميعًا. الصّدّيقة بنت الصّدّيق، السيّدة عائشة بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق، رضي الله عنها وعن أبيها. ففي مثل هذا الشّهر. وهو شهر شوّال. من السّنة الأولى من هجرة النبيّ عليه الصلاة والسلام. كان اختيار الله تعالى للسيّدة عائشة رضي الله عنها. أن تكون زوجة في الدنيا والآخرة. لحبيبه ومصطفاه. صلّى الله عليه وسلّم. ففي صحيح مسلم عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنّها قَالَتْ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ)). وفي صحيح مسلم وغيره عن عُرْوَة بن الزبير رضي الله عنه عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي. قَالَ عُرْوَة: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ. قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب التّزويج والتّزوّج والدّخول في شوّال. تلك الصّدّيقة الغالية على رسولنا الحبيب، صلّى الله عليه وسلّم. والتي كان يناديها من شغفه بها. ويدلّلها فيقول: (يا عائش)، و(يا موفّقة). رواه الترمذي. بل كان من فرط محبّة النبيّ صلى الله عليه وسلم لها ولأبيها رضي الله عنهما. كان إذا غارت زوجاته منها قال صلى الله عليه وسلم: (إنّها بنت أبي بكر) رواه البخاري، لقد بلغت رضي الله عنها مبلغ الروح من جسد النبيّ صلى الله عليه وسلم. حتى إنّه ليعلم ما في خاطرها، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ((قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى! قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ:

أَجَلْ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ)). رواه البخاري. وكان خبر حبّه صلى الله عليه وسلم لها أمراً مستفيضاً، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرّون بهداياهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم يوم عائشة من بين نسائه، تقرّباً إلى مرضاته، فقد روى البخاري ومسلم عن هِشَام عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ((كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ. قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي. فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي. فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ. فَقَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا)). وكانت رضي الله عنها إمرأة مباركة، فقد كانت سببا للتّيسير على المسلمين والتخفيف عنهم، ومن ذلك قصّة مشروعيّة التيمّم، قالت رضي الله عنها: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْتِمَاسِهِ وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالُوا أَلَا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ فَقَالَ حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي فَلَا يَمْنَعُنِي مِنْ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَخِذِي فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا. فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ. قَالَتْ: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فوجدنا الْعِقْدَ تَحْتَهُ. فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: والله يا بنيَّة، لقد علمت أنّك مباركة، ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك إيّاهم من البركة واليسر)). ولقد كانت رضي الله عنها من أعلم الصحابة، وأعلم نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: ((مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)).. رواه الترمذي. وقد بلغت رضي الله عنها الغاية في الكرم الجود والإيثار، فقد رضيت بأن تدفن في البقيع. جوار زوجات النبيّ صلّى الله

عليه وسلّم. وآثرت سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يدفن في حجرتها جوار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. ولما مرض النبيّ صلى الله عليه وسلم مَرَضَ موته. وثقل ما أحبّ أن يكون إلاّ في بيت عائشة، فعَنْها رضي الله عنها قَالَتْ: ((إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ -يَشُكُّ عُمَرُ- فِيهَا مَاءٌ. فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ)). رواه البخاري. فأيّ امرأة أجلّ، وأيّ نفس أعظم، وأيّ روح أزكى، من روح تستند إليها روح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتكون آخر العهد بها في الدنيا، ألا ما أعظمك يا أمّنا الحبيبة! وما أجلّ قدرك! وما أزكى روحك! ولعظيم شرفها ومكانتها رضي الله عنها. لم يشأ الله تعالى أن يترك حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنال منها ألسنة المنافقين. التي رمتها بالإفك والبهتان، بل برّأها من فوق سبع سماوات. وأنزل فيها عشر آيات كريمات في سورة النور، وحيا يتلى على مرّ الدّهور، وتعاقب العصور، يخلّد ذكراها العطرة. ويزكّيها بتزكية الربّ الكريم، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)). وفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان في السنة الثامنة والخمسين للهجرة النبوية. توفّيت أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها. وعمرها سبع وستّون سنة. وصلّى عليها الصّحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه. ودفنت في البقيع، فرضي اللّه عنها وأرضاها. ورفع منزلتها، وحشرنا في زمرتها، مع الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. إنّ لأمّنا السيّدة عائشة رضي الله عنها من المناقب ما يقصر البيان عن ذكره، وإنّ معرفة فضائلها. وتقديرها حقّ قدرها. والدفاع عن عرضها، دين ندين الله عزّ وجلّ به، فمحبّتها دين وإيمان، وبغضها نفاق وطغيان، كيف لا وهي أمّ المؤمنين، وعرض رسول ربّ العالمين، عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، فاللهَ نسأل أن يجمعنا بالصدّيقة وأبيها في جنّات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر،

وأن يجعل حبّنا لها ولأبيها من أفضل الأعمال التي تقرّبنا إلى الله، فالمرء مع مَن أحبّ يوم لا ينفع مال ولا جاه، اللهمّ فإن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لصحابة نبيّك وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حصنهم الحصين وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبّل والثواب الجزيل. آمين. والحمد لله ربّ العالمين.اهـ

05- أفضل القول بتبيين النّقول لأهل العقول في فضائل وخصائص السيّدة عائشة زوج الرسول

الحمد لله ذي المنّ والإحسان، والقدرة والسلطان، الذي أنشأ الخلق بربوبيّته، وجنّسهم بمشيئته، واصطفى منهم طائفة أصفياء، وجعلهم بررة أتقياء، فهُمْ خاصّة عباده، وغَرْسُ بلاده، يصرف عنهم البلايا، ويخصّهم بالخيرات والعطايا، فهم القائمون بإظهار دينه، والمتمسّكون بسنّة نبيه، نحمده سبحانه وتعالى أنْ أسبغ علينا نِعَمَه، وأفاض لدينا مِنَنَه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، فشرح صدره. ووضع وِزْره. ورفع ذكره. وجعل خير القرون قَرْنَهُ الذي به قَرَنَه. وأنزل إلينا كتابه الذي فصّل آياتِه. فأحكمه وأتقنه، وجعلنا من أتباع شرعه. فعلّمنا فُرُوضَهُ وسُنَنَه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له، الواحد القهّار، يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشرف مَنْ شاء مِنَ الأخيار، شرّف رسوله سيِّدَنا محمّدا صلّى الله عليه وسلم على كلّ البشر. وجعل عِتْرته خير العِتَر، وأسرته خير الأُسَر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حَرَمٍ، وبسقت في كَرَمٍ، لها فروع طِوال، وثَمَرٌ لا يُنال،

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ * أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ قِيلَ هُمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ * فِي كُلِّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ

يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالبَلْوَى بِحُبِّهِمُ * وَيُسْتَزَادُ بِهِ الإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ * كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ

وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. إصطفاه الله تعالى على العالمين، واختار له من الأصحاب أفضلهم، ومن الزوجات أطهرهنّ،

فكنّ له في الدنيا والآخرة، وحُرِّمن على غيره. فهنّ أمّهات المؤمنين، وحليلات رسول رب العالمين،

بمحمّد يا سامعين تشرّفوا * وبجاهه فتوسّلوا واستعطِفوا

يا مرتجين لفضله ونواله * صلّوا على هذا الحبيب وآله

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. الخاتم لنبوّة النّبيّين. ورسالة المرسَلين. وعلى بضعته الزهراء النبوية. سيّدة نساء العالمين. وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين. وصحابته القائمين بشريعته على سَنَنِ الإيضاح والتبيين. صلاة تسلك بنا بها طريق الأئمّة المهتدين. وتنوِّر بها بصائرنا بنور الإستقامة والفتح المبين. ونكون بها من عبادك المُوَفَّقِين المُؤَيَّدين. الداعين إلى طاعتك المرشِدين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله عزّ وجلّ في سورة القصص: ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ)). والإختيار هو الإجتباء والإصطفاء. الدّالّ على ربوبيّته سبحانه ووحدانيّته. وكمال عِلْمه وحِكْمته. فالله جلّت قدرته. وتعالت عظمته. فاوت بين خلقه في المناصب. وجعلهم طبقاتٍ متباينة المراتب. ليتميّز الشقيّ من السعيد. والمقرَّب من البعيد. ومن تمام اختياره سبحانه وتعالى. إصطفاءه للأَنبِيَاء وَالرُّسُل. فبعثهم مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَكَانَ أَعْظَمَ الأَنْبِيَاءِ قَدْراً. وَأَبْلَغَهُمْ أَثَراً. وَأَعَمَّهُمْ فَضْلاً. نَبِيُّنَا المصطفى صلى الله عليه وسلم. الذِي خَتَمَ اللهُ بِهِ النَّبِيِّينَ، وهدى به الناس أجمعين. قال تعالى في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)). فَكَانَ بِحَقٍّ نِعْمَةً عَظِيمَةً. وَمِنَّةً كَرِيمَةً، على عباد الله المؤمنين. بَلْ هُوَ صلى الله عليه وسلم أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ حيث صار لهم أَبًا. وأزواجه أمّهاتٍ لهم. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)). وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ)). وقال مجاهد: كل نبيّ أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم أبوهم في الدّين، وأزواجه أمّهاتهم، فى تحريم نكاحهنّ. ووجوب تعظيمهنّ، مِنَّةٌ من الله تعالى عليهنّ بهذا الفضل. حيث فرض هذه الأمومة وقرّرها على جميع المومنين. ومن هؤلاء الزوجات الطاهرات. أمّهات المؤمنين. الطّاهرة المطهّرة،

المبرّأة من فوق سبع سماوات، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وريحانته وحبيبته. إنّها أمّنا. وأمّ المؤمنين جميعًا. الصّدّيقة بنت الصّدّيق، السيّدة عائشة بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق، رضي الله عنها وعن أبيها. ففي مثل هذا الشّهر. وهو شهر شوّال. من السّنة الأولى من هجرة النبيّ عليه الصلاة والسلام. كان اختيار الله تعالى للسيّدة عائشة رضي الله عنها. أن تكون زوجة في الدنيا والآخرة. لحبيبه ومصطفاه. صلّى الله عليه وسلّم. ففي صحيح مسلم عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلاَثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ)). وروى الترمذي وحسّنه وابن عساكر عنها رضي الله عنها قالت: ((جاء بي جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خرقة حرير خضراء، فقال: هذه زوجتك في الدنيا والاخرة)). وفي صحيح مسلم وغيره عن عُرْوَة بن الزبير رضي الله عنه عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي. قَالَ عُرْوَةُ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ. وقصدت السيّدة عائشة رضي الله عنها بهذا الكلام ردّ ما كانت الجاهلية عليه. من تشاؤمهم بشهر شوَّال، فكانوا لا يتزوّجون فيه. زعمًا منهم أنَّ الزَّواج فيه لا يفلح، وسبب تشاؤمهم ما في اسم شوَّال من الإشالة. وهي الرَّفع والقلّة. يقال: شال الميزان، إذا ارتفعت إحدى كفّتيه لخفّتها، وشالت النَّاقة إذا رفعت ذنبها، أو قَلَّ لبنها. كما في تهذيب اللغة، ولسان العرب. وقد حارب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأقواله وأفعاله. التَّشاؤم بشوَّال وبغيره. فتزوّج بأمّ المؤمنين عائشة. ليبيّن بطريقةٍ عمليَّةٍ بطلان ما يعتقده الجاهليون في شهر شوّال. ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب التّزويج والتّزوّج والدّخول في شوّال. فكم لها رَضِيَ اللهُ عَنْها من الفضائل. فبأيّها نبدأ؟ وكم لها من المنازل العظيمة. فكيف نصفها؟ يقول عنها صلّى الله عليه وسلّم. كما في صحيح البخاري. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)). ولعلّ إحدى هذه الفضائل، التي امتازت بها أُمُّنَا. على سائر نساء المؤمنين. من السابقين واللاحقين، أنّها رضي الله

عنها روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عِلْمًا جَمًّا، وحفظت من حديثه عددًا كثيرًا، حتَّى غَدَتْ مِنْ حُفَّاظِ السُّنَّةِ والحديث. الذين حَفِظَ اللهُ تعالى بهم الدين، وليس بعدَ هذا الشَّرَف مِنْ شَرَف. قال الحافظُ الذهبيُّ في سِيَر أعلام النبلاء: مُسْنَدُ عائشةَ يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث. وروى الترمذي في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: ((مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)). وقال عُرْوَةُ بن الزبير: ما رأيتُ أحدًا من النّاس أعلمَ بالقرآن ولا بفريضةٍ ولا بحلالٍ وحرامٍ ولا بشِعْرٍ ولا بحديثِ العرب ولا النَّسَبِ مِن عائشةَ رضي الله عنها. لقد كان لأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها منزلة خاصّة في قلب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وكان يُظْهِر ذلك الحبّ ولا يُخْفيه. روى الشيخان في صحِيحَيْهِما أنّ عمرو بن العاص رضي الله عنه. سأل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((أيّ النّاس أحبّ إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة. قال: فَمِنَ الرّجال؟ قال: أبوها)). وكان خبر حبّه صلى الله عليه وسلم لها أمراً مستفيضاً، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرَّوْن بهداياهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم يوم عائشة من بين نسائه، تقرّباً إلى مرضاته، فقد روى البخاري ومسلم عن هِشَام عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ((كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ. قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي. فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي. فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ. فَقَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا)). ولمّا فَرَضَ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأُمَّهَاتِ المؤمنين عشرة آلاف، عشرة آلاف، زاد عائشةَ ألفَيْن، وقال: إنَّها حبيبةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد كانت أمّنا عائشة رضي الله عنها إمرأة مباركة. ما وقعت في ضيق وحَرَجٍ إلاّ جعل الله بسبب ذلك فَرَجًا ومخرجا للمسلمين. فقد كانت سببا في مشروعيّة التّيمّم. فعنها رضي الله عنها أنّها استعارت من أسماء أختها قلادة، فهلكت أي ضاعت. فأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ناساً من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصّلاة. فصلّوا بغير وضوء، فلمّا أتوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التّيمّم، فقال أُسَيْد بن حُضَيْر: جزاكِ الله خيراً، فوالله ما نزل بك أَمْرٌ قطّ.

إلاّ جعل الله لكِ منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة. ومن خصائصها رضي الله عنها أنّها قالت لنساء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فُضِّلْتُ عليكنّ بعَشْرٍ ولا فَخْر. كنتُ أحبَّ نسائه إليه. وكان أبي أحبَّ رجاله إليه، وابتكرني ولم يبتكر غيري، وتزوّجني لسبع، وبنى بي لتسع، ونزل عذري من السّماء. واستأذن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نساءه في مرضه، فقال إنّه ليشقّ عليّ الإختلاف بينكنّ. فائذنّ لي أن أكون عند بعضكنّ. فقالت أمّ سلمة: قد عرفنا مَنْ تريد. عائشة. أذنّا لك، وكان آخر زاده من الدّنيا ريقي، أُتِيَ بسواك، فقال أنكثيه ياعائشة. فنكثته. وقُبِضَ بين حِجْري ونَحْري، ودُفِنَ في بيتي. فأيّ امرأة أجلّ، وأيّ نفس أعظم، وأيّ روح أزكى، من روح تستند إليها روح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتكون آخر العهد بها في الدنيا، ألا ما أعظمك يا أمّنا الحبيبة! وما أجلّ قدرك! وما أزكى روحك! ولعظيم شرفها ومكانتها رضي الله عنها. لم يشأ الله تعالى أن يترك حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنال منها ألسنة المنافقين. التي رمتها بالإفك والبهتان، بل برّأها من فوق سبع سماوات. وأنزل فيها عشر آيات كريمات في سورة النور، وَحْيًا يتلى على مرّ الدّهور، وتعاقب العصور، يخلّد ذكراها العطرة. ويزكّيها بتزكية الربّ الكريم، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)). أيّها المسلمون. إنّ لأمّنا السيّدة عائشة رضي الله عنها من المناقب ما يقصر البيان عن ذكره، وإنّ معرفة فضائلها. وتقديرها حقّ قدرها. والدفاع عن عِرْضها، دِينٌ ندين الله عزّ وجلّ به، فمحبّتها دين وإيمان، وبغضها نفاق وطغيان، كيف لا وهي أمّ المؤمنين، وعِرْض رسول ربّ العالمين، عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان في السنة الثامنة والخمسين للهجرة النبوية. توفّيت أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها. وعمرها سبع وستّون سنة. وصلّى عليها الصّحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه. ودفنت في البقيع، بجوار أمّهات المؤمنين. زوجات الرسول الأمين. وآل بيته الطيّبين الطاهرين. فرضي اللّه عنها وأرضاها. ورفع منزلتها، وحشرنا في زمرتها، مع الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وسلم. ورحم الله الشيخ يوسف النبهاني إذ يقول في قصيدته (طَيْبة الغرّاء في مدح سيّد الأنبياء). متوسّلا بأمّنا عائشة رضي الله عنها:

وَبِرُوحِي فَخْرُ النّساءِ على الإطـ*ـلاق ذاتُ الفضائل الحمراءُ

بنتُ صدّيقِكَ الأحبُّ من الكـ*ـلِّ إليك الصدّيقةُ العذراءُ

أَعلمُ العالِمات في النّاس عنها * قَد روى شَطْرَ ديننا العلماءُ

ذاتُ فَضْلٍ لو كان يُقْسَمُ في كـ*ـلِّ نِساءِ الورى فَضَلْنَ النساءُ

مَنْ أراكَ الرحمنُ صورَتَها قبـ*ــلُ حَوَتْها الحريرةُ الخضراءُ

بينَ سَحْرٍ لها ونَحْرٍ وفاةٌ * لكَ كانَت يا نِعْمَ هذا الوفاءُ

سَهَّلَ الموتُ رؤيةَ الْيَدِ في الجنَّــ*ـةِ مِنها وَهْيَ اليدُ البيضاءُ

رضيَ اللَّه عَن أَبيها وعنها * وَرضيتُم فَلتَسْخَطِ الثُّقَلاءُ

نسأل الله تعالى أن يجمعنا بالصّدّيقة وأبيها في جنّات ونهر، في مقعد صِدْق عند مليك مقتدِر، وأن يجعل حبّنا لها ولأبيها من أفضل الأعمال التي تقرّبنا إلى الله، فالمرء مع مَن أحبّ يوم لا ينفع مال ولا جاه، اللهمّ فإن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لنبيّك وصحابته وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حِصْنهم الحصين وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبَّل والثواب الجزيل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

06- السيّدة عائشة رضي الله عنها

الحمدُ للهِ الكبيرِ المُتَعالِ، الموصوفِ بأوصافِ الجَمالِ، والمنعوتِ بنعوتِ الجلالِ، فضَّلَ بعضَ خلقِهِ على بعضٍ بالإنعامِ والإفضالِ، وجعلَ بيتَ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم خيرَ بيتٍ وآلٍ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له. عالِمُ الجَهْرِ والإسْرارِ، جعَلَ في أخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، وأشهدُ أنَّ سيّدنا محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ. المُصْطفَى المختارُ، صلَّى اللهُ وسلَّمَ وبارك عليهِ. وعلَى آلهِ وأزواجِهِ الأطهارِ، وأصحابِهِ السَّادَةِ الأبْرارِ، وعَلَى أتْباعِهِ إلى يومِ القَرارِ. **أمَّا بعدُ:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الله سبحانه وتعالى إمتنّ على أناس من عباده، فاختصّهم بالفضل والرّفعة وعلوّ الشّأن، وأجرى على أيديهم من الفضائل ما لا يستطيع وصفه واصف، ولا حصره متتبّع. ومن هؤلاء النّفر الكرام. الذين اصطفاهم الله

سبحانه بالتّكرمة والتّعظيم، الطّاهرة المطهّرة، والصّدّيقة بنت الصّدّيق، المبرّأة من فوق سبع سماوات، أمّ المؤمنين. السيّدة عائشة بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق، رضي الله عنها وعن أبيها. فراش رسول الله وعفّته، وريحانته وحبيبته. ففي مثل هذا الشّهر. وهو شهر شوّال. من السّنة الأولى من هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. كان اختيار الله تعالى للسيّدة عائشة رضي الله عنها. أن تكون زوجة في الدنيا والآخرة. لحبيبه ومصطفاه. صلّى الله عليه وسلّم. فيا لها من كرامة عظيمة. لأمّنا عائشة رضي الله عنها. ففي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُريتك في المنام ثلاث ليال, جاء بك الملك في سرقة من حرير. فيقول هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه. فأقول إن يك هذا من عند الله يُمضه. وفي صحيح الترمذي عنها أنّها قالت أنّ جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. وفي صحيح مسلم وغيره عن عُرْوَة بن الزبير رضي الله عنه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ: تَزَوَّجَنِى رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم فِى شَوَّالٍ. وَبَنَى بِى فِى شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي. قَالَ عُرْوَة: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِى شَوَّالٍ. قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب التّزويج والتّزوّج والدّخول في شوّال. فكم لها رَضِيَ اللهُ عَنْها من الفضائل. فبأيّها نبدأ؟ وكم لها من المنازل العظيمة. فكيف نصفها؟ يقول عنها صلّى الله عليه وسلّم. كما في البخاري: فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام. فكانت لها رضي الله عنها منزلة خاصّة في قلب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وكان يُظهر ذلك الحبّ. ولا يخفيه. حتّى إنّ عمرو بن العاص رضي الله عنه. سأل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. أيّ النّاس أحبّ إليك يا رسول الله؟ قال عائشة. قال فمن الرّجال؟ قال أبوها. متّفق عليه. وفي صحيح مسلم عن أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت كنت أشرب وأنا حائض، ثمّ أناوله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فيضع فاه على موضع فيَّ (فمها) فيشرب، وأتعرّق العرق (تمصّ العظم) وأنا حائض، ثمّ أناوله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيضع فاه على موضع فيَّ، وكان صلّى الله عليه وسلّم يداعبها، فعنها قالت والله لقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بالحراب، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم من بين أذنه وعاتقه، ثمّ يقوم

من أجلي حتّى أكون أنا التي أنصرف. رواه الإمام أحمد، وعنها رضي الله عنها أنّها كانت مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في سفر، وهي جارية، فقال لأصحابه تقدّموا، فتقدّموا، ثمّ قال لها تعالي أسابقك. رواه الإمام أحمد. وكانت أمّنا عائشة رضي الله عنها إمرأة مباركة. ما وقعت في ضيق وحرج إلاّ جعل الله بسبب ذلك فرجا ومخرجا للمسلمين. فمن بركتها رضي الله عنها أنّها كانت السّبب في نزول بعض آيات القرآن الكريم، ومن ذلك آية التّيمّم، فعنها رضي الله عنها أنّها استعارت من أسماء أختها قلادة، فهلكت أي ضاعت. فأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ناساً من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصّلاة فصلّوا بغير وضوء، فلمّا أتوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التّيمّم، فقال أسيد بن حضير: جزاكِ الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر قطّ. إلاّ جعل الله لكِ منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة. متّفق عليه . ففضائلها كثيرة رضي الله عنها. قالت لنساء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فضّلت عليكنّ بعشر ولا فخر. كنت أحبّ نسائه إليه. وكان أبي أحبّ رجاله إليه، وابتكرني ولم يبتكر غيري، وتزوّجني لسبع، وبنى بي لتسع، ونزل عذري من السّماء. واستأذن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نساءه في مرضه، فقال إنّه ليشقّ عليّ الإختلاف بينكنّ. فائذنّ لي أن أكون عند بعضكنّ. فقالت أمّ سلمة قد عرفنا من تريد. عائشة. أذنّا لك، وكان آخر زاده من الدّنيا ريقي، أتي بسواك، فقال أنكثيه ياعائشة. فنكثته. وقبض بين حجري ونحري، ودفن في بيتي. ومن خصائصها رضي الله عنها أنّ الله عزّ وجلّ لمّا أنزل آية التّخيير بدأ بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخيّر أزواجه. قالت فبدأ بي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال إنّي ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تستعجلي حتّى تستأمري أبويك وقد علم أنّ أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت ثمّ قال إنّ الله تعالى قال{يا أيّها النّبيء قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتّعكنّ وأسرحكنّ سراحا جميلا، وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإنّ الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجرا عظيما}. فقلت له أفي هذا أستأمر أبويّ. فإنّي أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وفعل أزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما فعلت. وكانت رضي الله عنها مُوقّرةً من الصحابة رضي الله عنهم. يعرفون لها قدرها وعلمها ومنزلتها بين النّاس. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل علينا أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم حديثٌ قطّ، فسألنا عائشة،

إلاّ وجدنا عندها منه علما. وأمّا عن إيثارها لغيرها. فقد ضربت رضي الله عنها الرّقم القياسي في الإيثار. فقد رضيت بأن تدفن في البقيع. جوار زوجات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وآثرت سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يدفن في حجرتها جوار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه. وفى ليلة الثلاثاء 17 من رمضان في السنة 57 من الهجرة توفيّت أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها. وهي في سنّ السّادسة والستّين من عمرها، ودفنت في البقيع، وصلّى عليها الصّحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه. وسارت خلفها الجموع باكية عليها. في ليلة مظلمة حزينة، فرضي اللَّه عنها وأرضاها. أيّها المسلمون إنّنا إذ نتكلّم عن السيّدة عائشة رضي الله عنها. يدفعنا لذلك عظيم حقّها علينا، الذي جعله الله لها، وأوجبه على كلّ مسلم. وسمّاها أمّ المؤمنين، قال تعالى:{وأزواجه أمّهاتهم}. وبرّأها من فوق سبع سماوات. ممّا رماها به المنافقون. وورثتهم إلى عصرنا الحالي، الذين يرمونها بالفاحشة{كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً}، شلّ الله ألسنتهم، وجازاهم بسوء صنيعهم. خزيا ووبالا. ولو شاء ربّنا لأطلع رسوله على براءتها واكتفى. ولكنّه سبحانه أخفى هذا الأمر. ليسجّل براءتها في القرآن. في عشر آيات من سورة النّور. وحيا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة. حتّى لا يتكلّم متكلّم. وحتّى لا يخوض خائض مع الخائضين. ورحم الله ابن بهيج الأندلسي حيث قال في قصيدة له. على لسان الصديقة بنت الصدّيق رضي الله عنها.

يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ * فالبَيْتُ بَيْتِي والمَكانُ مَكانِي

فاحذروا أيّها الأحباب واعلموا أنّ من تعظيمكم لهذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم. أن تعظّموا الشأن في أهل بيته وفي أزواجه. وأن تعظّموا القدر في أصحابه. رضوان الله على الجميع. اللهمّ إنّا نسألك أن ترزقنا الأدب معك ومع رسولك صلّى الله عليه وسلّم. ومع أهل بيته وأزواجه. ومع أصحابه الكرام. بل وأن ترزقنا الأدب أيضا مع إخواننا من المسلمين جميعا. فلا ننظر لأحد بعين الغضّ أو الإستهزاء أوالإحتقار. اللهمّ ألّف بين قلوبنا. ووحّد في مرضاتك بين صفوفنا. واجمعنا اللهمّ على كلمة سواء. هي كلمة السّلام والوئام والوفاق. وجنّبنا سبيل العوج والخلاف والشقاق. آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

07- تعريف المحبّين بسيرة أُمِّ المؤمنين السيّدة زَيْنب بنت خُزَيْمَة الملقَّبة بأمّ المساكين

الحمدُ للهِ الكبيرِ المُتَعالِ، الموصوفِ بأوصافِ الجَمالِ، والمنعوتِ بنعوتِ الجلالِ، فضَّلَ بعضَ خلقِه على بعضٍ بالإنعامِ والإفضالِ، شرّف رسوله سيِّدَنا محمّدا صلّى الله عليه وسلم على كلّ البشر. وجعل عِتْرته خير العِتَر، وأسرته خير الأُسَر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حَرَمٍ، وبسقت في كَرَمٍ، لها فروع طِوال، وثَمَرٌ لا يُنال، فسبحانه من إله عالِمُ الجَهْرِ والإسْرارِ، جعَلَ في أَخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، خصوصا أمّهات المؤمنين زوجات نبيّنا المختار. صلى الله وسلم وبارك عليه ما تعاقب الليل والنهار. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشّرف من شاء من الأخيار، خصّ حبيبه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم بكمال الشّرف والتّعظيم والإحترام. ورفع قدر من انتمى إليه بصحبة أو نسب أو قرابة من ذوي الأرحام. وأشهدُ أنَّ سيّدنا محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. إصطفاه الله تعالى على الخلق أجمعين. واختار له من الأصحاب أفضلهم، ومن الزوجات أطهرهنّ، فهنّ أمّهات المؤمنين، وحليلات رسولِ ربِّ العالمين،

صلّى عليه وسلَّم الرحمانُ * ما هبّ النسيمُ فماس غُصْنَ البانِ

وعلى ذويه وصَحْبه ونسائه * والتابعين لهم على الإحسانِ

صلّوا عليه وسلِّموا وتطلَّبوا * في حِفْظ ملّته رضَا الرحمانِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ الأوّاب. وعلى ما له من الآل والأزواج والأصحاب. صلاة تفتح لنا بها الأبواب. ونكون بها ممّن دُعِيَ إلى طاعة مولاه فأجاب. وفني في جمال الذات المحمدية وغاب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من أجلّ النعم التي أنعم الله تعالى بها علينا أن جعلنا من أمّة خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فَنِعمَ النبيّ الذي شرّفنا الله تعالى بالإنتساب إليه، نبيٌّ جعله الله تعالى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كيف لا؟ وهو بالمؤمنين رءوف رحيم، نبيّ جعل الله تعالى أزواجه أمّهاتٍ للمؤمنين، ونعمتِ الأمّهات اللواتي تشرّفنا بأمومتهنّ، قال تعالى في سورة الأحزاب: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)). وفى

قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ((النبيء أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبٌ لهم)). وقال مجاهد: كل نبيّ أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم أبوهم في الدّين، وأزواجه أمّهاتهم، فى تحريم نكاحهنّ. ووجوب تعظيمهنّ، مِنَّةٌ من الله تعالى عليهنّ بهذا الفضل. حيث فرض هذه الأمومة وقرّرها على جميع المومنين. اختارهنّ الله سبحانه لحبيبه ورسوله سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم زوجاتٍ مقرَّبات، تَرَبَّيْن في بيت النبوّة، تَقَرُّ به أعينُهنّ فيه، وتقرُّ عينَيْه صلى الله عليه وسلم بهنّ في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ((تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ، ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا))، لقد ارتضاهنّ الله تبارك وتعالى لحبيبه وخليله ونبيّه سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يأذن له وهو أكرم الخلق عليه، وأحبّهم إليه سبحانه أن يتزوّج غيرَهنّ، أو أن يستبدِلَهنّ بأزواجٍ ولو أعجبه حُسنُهنّ، إلا ما ملكت يمينُه. قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ((لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا)). وزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي دخل بهنّ إحدى عشرة امرأة. ستّ منهنّ قريشيّات. وهنّ: أمّهاتُنا وسيّداتنا خديجة بنتُ خويلد. وسودة بنتُ زمعة، وعائشة بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق، وحفصة بنت سيّدنا عمر بن الخطاب، وأمّ سلمة هند بنت أبي أميّة، وأمّ حبيبة رملة بنت سيّدنا أبي سفيان، وأربع عربيّات. وهنّ: جويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وميمونة بنت الحارث من بني هلال، وزينب بنت خزيمة أمّ المساكين، وزينب بنت جحش، وواحدة إسرائيليّة وهي سيّدتنا صفية بنت حيي بن أخطب. من ذريّة سيّدنا هارون بن عمران أخي سيّدنا موسى كليم الله عليهما السلام. أيّها المسلمون. ما أجمل أن نتعرّف على شخصيّات أمّهات المؤمنين والصحابيات الجليلات، وأن نقتفي أثرهنّ، فإنّهنّ رضوان الله عليهنّ القدوة الصالحة، والنور الذي شَعَّ من بيت النبوّة، نتوسّم من خلال ذلك تصحيح المسير، لتحقيق الهدف الكبير الذي ينبغي على كل مؤمن ومؤمنة أن يسعى جادًّا إليه. ألا وهو استقامة السلوك على المنهج الرباني الذي جاء به رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وسنتعرّف في هذه الخطبة عن أُمٍّ من أمّهات المؤمنين. كثير منّا لا يكاد يعرف عنها شيئا، وهذا لا يليق بنا، وكيف يليق ذلك وهي أُمٌّ لنا بصريح القرآن قال تعالى: ((النَّبِيءُ أَوْلَىٰ

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)). إنّها سيّدة تقيّة كريمة. مرّت مرور الكرام. لمعت في سماء البيت النبوي الشريف كالشهاب. ثم غابت سريعا دون أن تترك الكثير من الأخبار. جمعت بين أُمومتَيْن. فكانت أُمّ المؤمنين. وأمّ المساكين. التي في مثل هذا الشهر كانت وفاتها أعني في شهر ربيع الثاني سنة أربع للهجرة. إنّها أمّ المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية. رضي الله عنها وأرضاها. ذات النسب الأصيل والمنزلة العظيمة، وأمّها هي هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة الحِمْيَرية وأمُّ أخواتها، التي قيل عنها: لا تُعْلَم امرأة من العرب كانت أشرف أصهارًا من هند بنت عوف، لأنّ بناتها تزوجن بخير الرجال على الإطلاق. فقد تزوّجت ابنتها السيدة زينب بنت خزيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم بعد وفاتها تزوّج أختها لأُمِّها ميمونة بنت الحارث. وأيضا تزوّجت ابنتها السيدة أمّ الفضل لُبابة الكبرى من العباس بن عبد المطلب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضا من بناتها السيدة أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها وهي زوج جعر بن أبي طالب. الشهيد الطيّار. ومن بعده تزوّجت من أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وتزوّجت بعد أبي بكر من علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأيضا إبنتها السيدة سَلْمى بنت عُمَيْس التي تزوّجت من سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن بناتها أيضا السيدة لُبابة الصغرى وهي والدة خالد بن الوليد. سيف الله المسلول رضي الله عنه. إنّها بحق أكرم عجوزٍ في الأرض أصهارا. أيّها المسلمون. كانت السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها تُلقّب في الجاهلية بأمّ المساكين. لِمَا عُرِفَت به من الجود والإنفاق والكرم، فكان لا يأتيها درهم ولا دينار إلا أنفقته على الفقراء والمساكين. حتى لُقِّبت بأمّ المساكين. ولا يكاد إسمها رضي الله عنها يُذْكَر في أيّ كتاب إلا مقرونا بلقبها الكريم: أمّ المساكين. كانت رضي الله عنها واحدة من زوجات الشهداء اللواتي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على مَدِّ يدِ العَوْن لهنّ. ومَسْحِ آلام الترمّل وفَقْد الزوج عنهنّ. كانت رضي الله عنها قبل زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عند الطُّفَيْل بن الحارث بن عبد المطلب فطلّقها فتزوّجها أخوه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فقُتِل عنها يوم بَدْر شهيدا. فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فجعلت أمرها إليه. فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأشهد وأصدقها أربعمائة درهم. وكان تزويجه إيّاها في شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة. وبني لها

حجرة بجوار أمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ، وهكذا أصبحت سيّدتنا زينب أمّاً للمؤمنين وزوجة لسيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. كانت السيدة عائشة وحفصة أسبق من السيدة زينب في دخول البيت النبوي الطاهر، ولكنّها لم تشعر بالغِيرة نحوهنّ، ولم تشغل بالها بالغيرة والمنافسة الدنيوية، فكانت تحب الخير، تحيا في عالم من الحنان والعطف، فكانت تشعر بسعادة كبيرة في العطف على المساكين والإحسان إليهم، فكانت تجعل وقتها كله عبادة لله، فأقامت عند النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر. لم تتمّ العام. فليس الشأن بطول العُمر. وإنّما الشأن بحُسن العمل. وليست العبرة بمَن سبق. وإنّما العبرة بمن صدق. ورُبّ عبْدٍ يُعمَّر عُمرًا طويلا. لكنّه أشقى الناس في الدنيا والآخرة. ورُبّ عبدٍ يُنعِم الله عليه بلحظة من لحظات فضله. ومن لحظات الخير الذي يُجريه إليه ربّنا عزّ وجلّ فيسعد بها في الدنيا والآخرة سعادة لا مثيل لها. أيّها المسلمون. فبعد أشهر قلائل من زواجها مَرِضت مرضا شديدا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودها ويواسيها ويخفّف عنها. إذ عُرِف عنه برّه بأهله ورِفْقه بهنّ. وهو القائل عن الرفق بالنساء: ((رفقا بالقوارير)). وقد ظلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعاها حتى اختارها الله تعالى إلى جواره. فتوفيت وهي شابّة في الثلاثين من عمرها. وكانت الزوجة الوحيدة من أمّهات المؤمنين التي تموت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السيدة خديجة رضي الله عنها. وقد أكرمها الله بكرامة خاصّة لم تشاركها فيها أيّة زوجة من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم فقد صلّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه. وقد دُفِنت في مدافن البقيع في المدينة المنورة في شهر ربيع الثاني سنة أربع للهجرة، فكانت أوّل مَن دُفِن فيه مِن أمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ جميعًا. أيّها المسلمون. إنّ حب أمّهات المؤمنين في الله تعالى قُربة من أَوْثق عُرى الإيمان التي نتقرّب بها إلى الله تعالى، فاعملوا على ترسيخها في قلوبكم. ولا يتمّ حبّهنّ رضي الله عنهنّ إلاّ بمعرفة سيرتهنّ، والإقتداء بهنّ، والدفاع عنهنّ، والذّبّ عن أعراضهنّ ونحو ذلك. فَرَضِيَ اللهُ عن أمّهات المؤمنين وأَرْضَاهنّ. وَأكرَمَ مَثْوَاهنّ. ونفعنا ببركاتهنّ. ورزقنا زيارتهنّ. وَحَشَرَنَا معَهَنّ تحتَ لِوَاءِ حَبِيبِه سيّدنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جنّات ونهر، في مقعد صِدْق عند مليك مقتدِر، اللهم انفعنا يا مولانا بمحبتهنّ، وانظِمْنا في سِلْك وِدادهنّ. ولا تخالِف بنا عن نهجهم القويم وسنّتهنّ. اللهمّ إن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لصحابة نبيّك وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن

دخل في حصنهم الحصين وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبَّل والثواب الجزيل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

08- حُسن المذاكرة في قصص مؤثّرة من حياة أمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة المرأة العاقلة الصابرة

الحمد لله الكريم الفتّاح، المؤلِّف بين القلوب والأرواح، وفَّق من شاء من عباده للصواب، وربط بينهم بالمصاهرة والأنساب، وجعل بين الزوجين مودّة ورحمة وهو الكريم الوهّاب. فسبحانه من إله. الحكيم الذي أتقن ما خلَقَه وأجاد. وخَصّ مَنْ شاء بما شاء وأراد. أرسل رسوله سيّدَنا ومولانا محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلى كافّة النّاس بشيرا ونذيرا. وداعيّا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، واختصّ زوجاته بالتكريم تشريفا لهنّ وتوقيرا، فقال في مَعْرَض الثّناء عليهنّ كما في سورة الأحزاب. تنبيها للأُمّة وتذكيرا: ((النَّبِيءُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ. وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا . كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورً)). فهنّ أمّهات المؤمنين، وحليلات رسولِ ربِّ العالمين، ومنهنّ السيّدة أمّ سلمة؛ فنِعمتَ الأمومة، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. الواحد القهّار، عالِمُ الجَهْرِ والإسْرارِ، جعَلَ في أخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، خصوصا أمّهات المؤمنين زوجات نبيّنا المختار. صلّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأزواجه الأطهار. ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). وأشهدُ أنَّ سيّدنا محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. أفضل هذه الأمّة جهاداً وفداءً، وأعظمها قدوة واطصفاءً، إختار له ربّه من الأصحاب أفضلهم صفاءً ووفاءً، ومن الزوجات أطهرهنّ طهراً ونقاءً، فكنّ له في الدنيا والأخرى، وحُرِّمْنَ على غيره من الورى. وشرّفهنّ الله بما يُتلى عليهنّ من القرآن والحِكمة في بيوتهنّ. فقال سبحانه في سورة الأحزاب مخاطبا إياهنّ: ((وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلى في بُيوتكنّ من آياتِ اللهِ والحِكمة، إنّ الله كان لطيفا خبيرا)).

صلّى عليه وسلَّم الرحمانُ * ما هبّ النسيمُ فماس غُصْنَ البانِ

وعلى ذويه وصَحْبه ونسائه * والتابعين لهم على الإحسانِ

صلّوا عليه وسلِّموا وتطلَّبوا * في حِفْظ ملّته رضَا الرحمانِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ الأوّاب. وعلى ما له من الآل والأزواج والأصحاب. صلاة تفتح لنا بها من الخير الأبواب. ونكون بها ممّن دُعِيَ إلى طاعة مولاه فأجاب. وفني في جمال الذات المحمدية وغاب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من أجلّ النِّعم التي أنعم الله تعالى بها علينا أن جعلنا من أمّة خاتم الأنبياء والمرسلين. سيّدنا ومولانا محمد رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فَنِعْمَ النبي الذي شرّفنا الله تعالى بالإنتساب إليه، نبيٌّ جعله الله تعالى أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، كيف لا وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، نبيّ جعل الله تعالى أزواجه أمّهاتٍ للمؤمنين، ونِعمتِ الأمّهات اللواتي تشرّفنا بأمومتهنّ، اختارهنّ سبحانه لحبيبه ورسوله. سيّدنا ومولانا محمد. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. زوجاتٍ مقرّبات، تَرَبَّيْن في بيت النبوّة، تقرّ به أعينُهنّ فيه، وتقرُّ عينيه صلّى الله عليه وآله وسلَّم بهنّ في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ((تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء. وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ، ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلّـُهُنَّ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا))، لقد ارتضاهنّ الله تبارك وتعالى لحبيبه وخليله نبيّنا سيّدنا ومولانا محمد. صلّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يأذن له وهو أكرم الخلق عليه، وأحبّهم إليه سبحانه أن يتزوّج غيرَهنّ، أو أن يستبدِلـهنّ بأزواجٍ ولو أعجبه حُسنُهنّ، إلا ما ملكت يمينُه. قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ((لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِن بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ. وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا)). أيّها المسلمون. ما أجمل أن نتعرّف على شخصيات أمّهات المؤمنين. والصحابيات الجليلات، وأن نقتفي أثرهنّ، فإنّ هنّ رضوان الله عليهنّ القدوة الصالحة، والنور الذي شعّ من بيت النبوّة، نتوسّم من خلال ذلك تصحيح المسير، لتحقيق الهدف الكبير. الذي ينبغي على كل مؤمن ومؤمنة أن يسعى جادًا إليه. ألا وهو استقامة السلوك على المنهج الرباني الذي جاء به رسولنا سيّدنا ومولانا محمد. صلّى الله عليه وآله وسلَّم، أيّها المسلمون. الكثير اليوم ممّن يتبنّى الدفاع عن

النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم لا يعرف أسماء زوجاته؛ رضي الله عنهنّ. ولا يعرف تفاصيل حياتهنّ؛ وزوجاته صلّى الله عليه وآله وسلَّم أمّهات المؤمنين؛ عجيب كيف لا يعرف المؤمن حياة أمّه؟ ولا حتى إسمها؟ فإليكم اليوم التعريف بأمّ من أمّهات المؤمنين. كثير منّا لا يكاد يعرف عنها شيئا، وهذا لا يليق بنا، و كيف يليق ذلك وهي أمّ لنا بصريح القرآن الكريم. قال تعالى: ((النَّبِيءُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)). إنّها السَّيِّدَةُ المُحَجَّبَةُ، الطَّاهِرَةُ، أُمُّ سَلَمَةَ: هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ. القُرشيّة المخزُوميّة. التي في مثل هذا الشّهر. أعني شهر شوّال. من السّنة الرابعة للهجرة. تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فعَنْ عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أَبِي إِلَى أَبِي قَطَنٍ فِي المُحَرَّمِ سنَةَ أَرْبَعٍ، فَغَابَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ فِي صَفَرٍ، وَجُرْحُهُ الَّذِي أَصَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ مُنْتَقِضٌ؛ فَمَاتَ مِنْهُ، لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ، وَحَلَّتْ أُمِّي فِي شَوَّالٍ، وَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم. أيّها المسلمون. هذه نبذة عن مناقبِ أمِّنا السيّدة أمِّ سلمة رضي الله عنها. كان أبوها من أجواد قريش. ولكرمه وجوده كان يسمّى بزاد الرَّكْب. وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَشْرَفِهِنَّ نَسَبًا، تَزَوَّجَت السيّدة أمُّ سلمة قَبْلَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم من ابن عمِّها أَبِي سَلَمَةَ: عبدِ الله بنِ عبدِ الأسَدِ المَخْزُوْمِيِّ القُرشيّ البَدْرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْه. وهو ابن عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وأَخوه مِنَ الرَّضَاعَةِ؛ وولدت معه ولدا اسمه سلمة. ولهذا تُكنّى أمّ سلمة. كما يُكنّى زوجها أبو سلمة، أسلمت مع زوجها في بداية الإسلام بمكة، وزوجها يُعدّ من كبار الصحابة الأوائل رضي الله عنه. ولمّا عانت هي وزوجها من مضايقات المشركين من عائلتَيْهما بسبب إسلامهما هاجرا إلى الحبشة، فكانا من أوائل من هاجر إليها مع عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم؛ فبقيا في الحبشة فترة. حتى ظنّا أنّ المشاكل في مكة قد هدأت. فرجعا قبل هجرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة المنوّرة؛ لكنهما وجدا كفار مكة على حالتهم السابقة من العداوة والشر؛ بل من سيّء إلى أسوأ. وخصوصا بعد أن بدأ الإسلام ينتشر في المدينة المنورة. وقعت في حياتها رضي الله عنها قصص مؤثّرة. تحمل إلينا فوائد كثيرة. نكتفي منها بثلاث. أيّها المسلمون. أمّا القصة الأُولى. فقصة هجرتها رضي الله عنها. أرادت أن تهاجر مع زوجها إلى المدينة فرارا بدينها ومعهما ابنهما الأوّل سلمة، فوقعت لها قصة تستجيش العاطفة، فتحوّلها إلى

عاصفة من الإحساس بالألم، لتتفجّر بكاء ودموعا، قصة لا زالت تُسْكَب لمأساتها دموع المؤمنين والمؤمنات وبيننا وبينها أربعة عشر قرنا، ولا يستطيع أحد تقديم هذه القصة أحسن منها رضي الله عنها؛ فلنستمع إليها وهي تتحدّث عن تفاصيل معاناتها في هجرتها إلى المدينة؛ تقول رضي الله عنها: ((لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ. رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلَامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالُوا: لَا وَاَللَّهِ، لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا. قَالَتْ: فَتَجَاذَبُوا بَنِي سَلِمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إلَى الْمَدِينَةِ)). أيّها المسلمون. فكان أبو سلمة أوّل من هاجر إلى المدينة، هنا تبدأ معاناة الفراق. قالت رضي الله عنها: ((فَفُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطُحِ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي، حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ، فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا! قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِي بِزَوْجِكَ إنْ شِئْتِ. قَالَتْ: وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي)). أيّها المسلمون. هنا تبدأ معاناة السفر من مكة إلى المدينة. مسافة قاربت 500 كليو متر مشيا على الأقدام. وتستغرق على الأقل أسبوعا في الصحراء. دون زاد ولا ماء، ورغم ذلك ارتحلت، ولكن الله تعالى يبعث لمن يُضحّي من أجل دينه العَوْن والمساعدة من حيث لا يحتسب؛ فلنستمع إليها رضي الله عنها تتمّ قصتها. قَالَتْ: ((فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ: وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَتَبَلَّغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيَّ زَوْجِي، حَتَّى إذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ. وكان يومها مشركا كافرا. فَقَالَ لِي: إلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: أَوَمَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاَللَّهِ، إلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا. قَالَ: وَاَللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ، أيْ: لن أترككِ تسافرين وحدك. فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقَ مَعِي يهوى بى، فو الله مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطُّ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي،

ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتَّى إذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنِّي إلَى شَجَرَةٍ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرَّوَاحُ، قَامَ إلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ، فَقَادَهُ، حَتَّى يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءِ، قَالَ: زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا. فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إلَى مَكَّةَ. فَكَانَتْ تَقُولُ: وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ)). وهنا انتهى كلامها رضي الله عنها. أيّها المسلمون. ولكم الآن أن تتصوّروا كيف تكون حالة أبي سلمة رضي الله عنه وهو يُفاجأ بزوجته وابنه معها في المدينة؛ إنها فرحة لا تتسع لها الدنيا كلها. أمّا هذا الرجل الشهم عثمان بن طلحة الذي ترك كل شيء ليصاحبها في سفرها حماية لها من وحوش الإنس والحيوان؛ فإنّ المعدن الطيّب لن يخيّبه الله تعالى أبدا؛ فقد أسلم رضي الله عنه في السنة السادسة من الهجرة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، ففرح النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم بإسلامهم حتى قال: ((رمتكم مكة بأفلاذ كبدها)). يقصد بشجعانها وأشرافها، ثم شهد رضي الله عنه مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم فتح مكة، فدفع صلّى الله عليه وآله وسلَّم مفاتيح الكعبة إليه، فقال لعائلته: ((خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم))، فكانت في يد أحفاده إلى اليوم ولا زالت. أيّها المسلمون. أمّا القصة الثانية. فقصة زواجها رضي الله عنها بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم: كان زوجها أبو سلمة رضي الله عنه من الصحابة الأجلاّء الذين خدموا دينهم، وقدّموا لنصرته كل ما يملكون. وبقيت السيّدة أمّ سلمة مع زوجها أبي سلمة في المدينة تقريبا ثلاث سنوات، ولدت معه ولدين: عَمْرًا وزينب؛ وقد شهِد رضي الله عنه غزوة بدر الكبرى، وأبلَى فيها بلاءً حسنًا. كما شهد غزوة أُحُد فشارك فيها مشاركة فعّالة، وجُرِحَ فيها جرحًا بليغا. وقد اندمل جرحه، ثم انتُقِضَ، فمات بسببه بعد ذلك رضي الله عنه في جُمَادَى الآخِرَةِ سنَةَ أَرْبَعٍ للهجرة. وقد حزنت أمّ سلمة رضي الله عنها على زوجها المجاهد الصابر. وكان من عادة كبار الصحابة أنهم لا يتركون أبناء الشهداء يتامى ينهشهم الفقر؛ ولذلك لمّا انتهت عدّتها بدأ الصحابة يدقّون بابها؛ فخطبها أبو بكر وعمر. وكان همّهما كفالة اليتامى فرفضت، ثم خطبها النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وفي البداية اعتذرت. ولكنها لمّا رأته صلّى الله عليه وآله وسلَّم قد ألحّ قبلت

به زوجا، فكانت في سِلك أمّهات المؤمنين؛ فلنتركها تتحدّث لنا عن قصة زواجها المبارك من البداية. ففي صحيح مسلم عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم)). وفي طبقات ابن سعد عن ابْنِ عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ: ((أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّتْهُ، ثُمَّ عُمَرُ فَرَدَّتْهُ. فبعث إليها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالت: مرحبًا برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله: أنّي امرأة غَيْرى، وأنّي مصبية، وأنّه ليس أحدٌ من أوليائي شاهد. فقولها: وأنّي مصبية، أي ذات صبية، وكانت قد أنجبت من أبي سلمة: سلمة وهو أكبرهم وعمر، وزينب وهي أصغرهم. فبعث إليها رسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أمّا قولك: إنّي مصبية، فإنّ الله سيكفيك صبيانك؛ وأمّا قولك: إنّي غيرى، فسأدعو الله أن يُذهب غيرتك؛ وأمّا الأولياء، فليس أحدٌ منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني. قالت: يا عمر. تعني ولدها. قم فزوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم)). وفي رواية: قالت: ((لمّا خطبني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، قلت: إنّي فيَّ خلال لا ينبغي لي أن أتزوّج رسول الله: إنّي امرأة مسنّة، وإنّي أُمّ أيتام، وإنّي شديدة الغيرة. قالت: فأرسل إليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أمّا قولك: إنّي امرأة مسنّة، فأنا أسنُّ منك، ولا يعاب على المرأة أن تتزوّج أسنَّ منها؛ وأمّا قولك: إنّي أمّ أيتام، فإنّ كلّهم على الله وعلى رسوله. وأمّا الغَيْرة فيذهبها الله عزّ وجلّ))، فتزوّجها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم في شوّال سنة أربع من الهجرة. وقد عاشت رضي الله عنها هي وأبناؤها في بيت النّبوّة، فنالت بهذا شرف أن تكون أُمًّا للمؤمنين، ونال أبناؤها شرف أن يتربَّوْا في حجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. أيّها المسلمون. أمّا القصة الثالثة. فهي قصة استشارة النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم لها في صُلح الحديبية. لقد كانت أمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها إمرأة حكيمة. من النساء العاقلات الناضجات. ذات رأي صائب. وممّا يدلّ على هذا. أنّه لما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم من قضية الكتاب في صُلح الحديبية، قال لأصحابه: قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا. فلم يقم منهم رجل، ذلك أنّهم كانوا مشتاقين لدخول مكة، ورؤية البيت العتيق، فلمّا تمّ

الصلح بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وقريش، وكان ضِمْن بنوده: أن يرجع في عامه ذلك، ويأتي من قابل، لم يهن عليهم هذا، حتى قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك ثلاث مرَّات. فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحد دخل على أمِّ سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أمُّ سلمة: يا نبي الله أتحبُّ ذلك؟ أُخرج ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلِّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلق رأسه الشريف، فلمَّا رأَوْا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا. قال ابن حجر: وإشارتها على النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم يوم الحديبية تدلُّ على وفور عقلها وصواب رأيها. كما تدل على أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يستشير المرأة ويأخذ برأيها. أيّها المسلمون. إنّ إجمالي عدد الأحاديث النبوية الشريفة المروية عن زوجات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فاقت ثلاثة آلاف حديث (3000)، كان نصيب أمّنا عائشة منها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث: (2210)؛ فحازت بذلك قصب السبق عليهنّ، ثم جاءت السيّدة أمّ سلمة رضي الله عنها في المرتبة الثانية بعدها؛ فقد روت ثلاثمائة وثمانين حديثا، منها تسعة وعشرون في صحيحي البخاري ومسلم، اتّفقا على ثلاثة عشر منها، وانفرد البخاري بثلاثة، وانفرد مسلم بثلاثة عشر؛ جُلّها تتعلّق بالمسائل الخاصة؛ فقد روت: أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُقَبِّلها وهو صائم. وأنها كانت تغتسل معه في إناء واحد من الجنابة. وأنها كانت تنام معه في لحاف واحد. وأنها كانت تأتيها الحيضة فتغيّر ثيابها ثم تعود فتدخل معه صلّى الله عليه وآله وسلَّم في اللحاف. أيّها المسلمون. بقيت رضي الله عنها بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلَّم إحدى وخمسين سنة. فتوفيتْ سنة إحدى وستين للهجرة وقد قاربت تسعين سنة. عَمَّرَتْ حَتَّى بَلَغَهَا مَقْتَلُ سيّدنا الحُسَيْنِ الشَّهِيدِ رضي الله عنه، فَوَجَمَتْ لِذَلِكَ، وَغُشِيَ عَلَيْهَا، وَحَزِنَتْ عَلَيْهِ كَثِيرًا، ولَمْ تَلْبَثْ بَعْدَهُ إلاَّ يَسِيرًا ثم توفيت وصَلّى عليها سيّدنا أبو هريرة رضي الله عنه. وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ، فكانت آخِر أمّهات المؤمنين موتاً، فرَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها، وعن جميع أمّهات المؤمنين. أيّها المسلمون. هذه لمحات موجَزة عن سيرة أمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة رضي الله عنها، نجد فيها معنى المرأة الحقّ. ومعنى العقل. ومعنى الصبر. واللهَ نسأل أن يجزيها وبقية أمّهاتنا أمّهات المؤمنين عنّا وعن نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل الجزاء، اللهمّ فإن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لنبيّك وصحابته وآل بيته

وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حِصْنهم الحصين. وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبَّل والثواب الجزيل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

09- الهمّة في أخذ الحكمة من بعض مناقب أمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة

الحمد لله الذي جعل ذِكْرَ أوليائه نزهةً لذوي البصائر والإستبصار. وسَرْدَ فضائلهم ومناقبهم يُحْيِي مَوَاتَ القلوب ويشوّقها إلى حضرة المواهب والأسرار. والعضَّ بالنواجذ على محبّتهم يُثْمِر في القلوب محبّة سيّد المرسلين الأخيار. سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار. فسبحانه من إله يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشرف مَنْ شاء مِنَ الأخيار، شرّف رسوله سيّدَنا محمّدا صلّى الله عليه وسلم على كلّ البشر. وجعل عِتْرته خير العِتَر، وأسرته خير الأُسَر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حَرَمٍ، وبسقت في كَرَمٍ، لها فروع طِوال، وثَمَرٌ لا يُنال،

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أئِمّتَهُمْ * أوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأرْضِ قِيلَ هُمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ * فِي كُلِّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ

يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالبَلْوَى بِحُبِّهِمُ * وَيُسْتَزَادُ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ * كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له، الواحد القهّار، عالِمُ الجَهْرِ والإسْرارِ، جعَلَ في أَخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، خصوصا أمّهات المؤمنين زوجات نبيّنا المختار. وأشهدُ أنَّ سيّدنا محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. إصطفاه الله تعالى على العالمين، واختار له من الأصحاب أفضلهم، ومن الزوجات أطهرهنّ، فكنّ له في الدنيا والآخرة، وحُرِّمن على غيره. فهنّ أمّهات المؤمنين، وحليلات رسولِ ربِّ العالمين،

اللهُ أَوْلاَهُ مِنْ إِكْرَامِهِ كَرَمًا * وَدَارُهُ لِاِحْتِرَامِ أَصْبَحَتْ حَرَمًا

وَمَنْ يُصَلِّ عَلَيْهِ فَازَ بَلْ غَنِمَا * وَمَنْ يلُوذُ بِهِ هَيْهَاتَ أنْ يُظَمِ

صَلُّوا عَلَى المُصطَفَى يَا سَادَةَ الأُمَمِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى آله وأزواجه. ينابيع إحسانه وبرّه. وصحابته الملحوظين بعين عنايته ونصره. صلاة تحفظنا بها من نكبات الدهر وشرّه. وتنجينا بها من سطوة كل ظالم وقهره. وتحمينا بها من حيلة كل محتال وغدره. وتكفينا بها شرّ كل مَن رامنا بسوء وتردّ كيده في نحره. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله عزّ وجلّ في سورة القصص: ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ)). فالله جلّت قدرته. وتعالت عظمته. فاوت بين خلقه في المناصب. وجعلهم طبقاتٍ متباينة المراتب. ليتميّز الشقيّ من السعيد. والمقرَّب من البعيد. ومن تمام اختياره سبحانه وتعالى. إصطفاءه للأَنبِيَاء وَالرُّسُل. فبعثهم مُبَشّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَكَانَ أَعْظَمَ الأَنْبِيَاءِ قَدْراً. وَأَبْلَغَهُمْ أَثَراً. وَأَعَمَّهُمْ فَضْلاً. نَبِيُّنَا المصطفى صلى الله عليه وسلم. الذِي خَتَمَ اللهُ بِهِ النَّبِيِّينَ، وهدى به الناس أجمعين. قال تعالى في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمُ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)). فَكَانَ بِحَقٍّ نِعْمَةً عَظِيمَةً. وَمِنَّةً كَرِيمَةً، على عباد الله المؤمنين. بَلْ هُوَ صلى الله عليه وسلم أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ حيث صار لهم أَبًا. وأزواجه أمّهاتٍ لهم. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)). وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ)). وقال مجاهد: كل نبيّ أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم أبوهم في الدّين، وأزواجه أمّهاتهم، فى تحريم نكاحهنّ. ووجوب تعظيمهنّ، مِنَّةٌ من الله تعالى عليهنّ بهذا الفضل. حيث فرض هذه الأمومة وقرّرها على جميع المومنين. ومن هؤلاء الزوجات الطاهرات. أمّهات المؤمنين. السَّيِّدَةُ المُحَجَّبَةُ، الطَّاهِرَةُ، أُمُّ سَلَمَةَ: هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ. القُرشيّة المخزُوميّة. التي في مثل هذا الشّهر. أعني شهر شوّال. من السّنة الرابعة للهجرة. تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فعَنْ عُمَرَ بن أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِي إِلَى أَبِي قَطَنٍ فِي المُحَرَّمِ سنَةَ أَرْبَعٍ، فَغَابَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ فِي صَفَرٍ، وَجُرْحُهُ الَّذِي أَصَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ مُنْتَقِضٌ؛ فَمَاتَ مِنْهُ، لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ، وَحَلَّتْ أُمِّي فِي شَوَّالٍ، وَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أيّها المسلمون. هذه نبذة عن مناقبِ أمِّنا

السيّدة أمِّ سلمة رضي الله عنها. كان أبوها من أجواد قريش. ولكرمه وجوده كان يسمّى بزاد الرَّكْب. وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَشْرَفِهِنَّ نَسَبًا، وَكَانَتْ آخِرَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ. تَزَوَّجَت السيّدة أمُّ سلمة قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ابن عمِّها أَبِي سَلَمَةَ: عبدِ الله بنِ عبدِ الأسَدِ المَخْزُومِيِّ القُرشيِّ البَدْرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْه. وهو ابن عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وأَخوه مِنَ الرَّضَاعَةِ؛ فهي مِنْ المُهَاجِرَاتِ الأُوَّلِ. حَيْث هاجَرَت معَ زَوجِها أَوّلاً إِلى الحَبَشَة. ثم عادا إلى مكة، فنالهما من المشركين أذى كثيرا. وبعد أن أسلم كثير من أهل المدينة المنوّرة، وأُذِنَ للمسلمين بالهجرة. أراد أَبو سَلَمَةَ أن يهاجر ومعه زوجته، فكانت هذه القصّة التي تحكيها لنا أمّ سلمة رضي الله عنها فتقول: (لَمَّا أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لي بعيره، ثم حملني عليه، وحمل معي إبني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بعيره. فلمَّا رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا واللهِ لا نترك إبننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا إبني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد. وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففُرِّق بيني وبين زوجي وبين إبني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح. فما أزال أبكي، حتى أمسي سنة أو قريبًا منها، حتى مرَّ بي رجل من بني عمّي، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تُخْرِجون هذه المسكينة؟ فرَّقْتُمْ بينها وبين زوجها وبين ولدها. قالت: فقالوا لي: إلحقي بزوجك إن شئت. قالت: ورَدَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك إبني .قالت: فارتحلتُ بعيري، ثم أخذتُ إبني فوضعته في حجري، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خَلْق الله. قالت: فقلتُ: أتبلَّغ بمن لقيتُ حتى أقدَم على زوجي. حتى إذا كنتُ بالتنعيم لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ فقلتُ: أريد زوجي بالمدينة. قال: أَوَمَا معكِ أحد؟ فقلتُ: لا والله إلاَّ الله وبُنَيَّ هذا. قال: والله ما لك مِن مترك. فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطُّ، أرى أنّه كان أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأْخَر عنِّي، حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيري، فحطَّ عنه، ثم قيَّده في

الشجرة، ثم تنحَّى وقال: اركبي. فإذا ركبتُ واستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلمَّا نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُبَاء، قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعًا إلى مكة. فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبًا قطُّ كان أكرم من عثمان بن طلحة). أيّها المسلمون. هكذا عانت أمّ سلمة وزوجها، وهكذا صَبَرَا ، فرضي الله عنهما وأرضاهما. أمّا زوجها أبو سلمة فكان من الصحابة الأجلاّء الذين خدموا دينهم، وقدّموا لنصرته كل ما يملكون. وقد شهِد رضي الله عنه غزوة بدر الكبرى، وأبلَى فيها بلاءً حسنًا. كما شهد غزوة أُحُد، وجُرِحَ فيها جرحًا بليغا. وقد اندمل جرحه، ثم انتُقِضَ، فمات منه رضي الله عنه في جُمَادَى الآخِرَةِ سنَةَ أَرْبَعٍ للهجرة. وقد حزنت أمّ سلمة رضي الله عنها على زوجها المجاهد الصابر. ولكنّها مع هذا لم تنس الأخذ بالوصية النبوية العظيمة. ففي صحيح مسلم عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)). وفي طبقات ابن سعد عن ابْن عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّتْهُ، ثُمَّ عُمَرُ فَرَدَّتْهُ. فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: مرحبًا برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله: أنّي امرأة غَيْرى، وأنّي مصبية، وأنّه ليس أحدٌ من أوليائي شاهد. فقولها: وأنّي مصبية، أي ذات صبية، وكانت قد أنجبت من أبي سلمة: سلمة وهو أكبرهم وعمر، وزينب وهي أصغرهم. فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّا قولك: إنّي مصبية، فإنّ الله سيكفيك صبيانك؛ وأمّا قولك: إنّي غيرى، فسأدعو الله أن يُذهب غيرتك؛ وأمّا الأولياء، فليس أحدٌ منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني). قالت: يا عمر تعني ولدها. قم فزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: قالت: لمّا خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إنّي فيَّ خلال لا ينبغي لي أن أتزوّج رسول الله: إنّي امرأة مسنّة، وإنّي أُمّ أيتام، وإنّي شديدة الغيرة. قالت: فأرسل إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّا قولك: إنّي امرأة مسنّة، فأنا أسنُّ منك، ولا يعاب على

المرأة أن تتزوّج أسنَّ منها؛ وأمّا قولك: إنّي أمّ أيتام، فإنّ كلّهم على الله وعلى رسوله. وأمّا الغَيْرة فيذهبها الله عزّ وجلّ، فتزوّجها النبيّ صلى الله عليه وسلم في شوّال سنة أربع من الهجرة. وقد عاشت رضي الله عنها هي وأبناؤها في بيت النّبوّة، فنالت بهذا شرف أن تكون أُمًّا للمؤمنين، ونال أبناؤها شرف أن يتربَّوْا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. كانت السيّدة أُمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها لها مكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بيته. فقد كان يعدّها من أهله. فمن ذلك أنّه كان صلى الله عليه وسلم يومًا عندها في بيتها وعندها ابنتها زينب فجاءته ابنته السيّدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وولداها الحسن والحسين رضي الله عنهما فضمّهما النبيّ صلى الله عليه وسلم إليه. ثم قال: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد. فبكت أمّ سلمة. فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألها في حنوّ ما يبكيك؟ فأجابت:يا رسول الله خصّصتهم وتركتني وابنتي. قال صلى الله عليه وسلم: إنّك وابنتك من أهل بيتي. وقد شبّت زينب في رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكانت من أفقه نساء أهل زمانها. ويروى أنّها دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها. فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت. ولقد كانت أمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها إمرأة حكيمة. من النساء العاقلات الناضجات. ذات رأي صائب. وممّا يدلّ على هذا. أنّه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضية الكتاب في صلح الحديبية، قال لأصحابه: قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا. فلم يقم منهم رجل، ذلك أنّهم كانوا مشتاقين لدخول مكة، ورؤية البيت العتيق، فلمّا تمّ الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش، وكان ضِمْن بنوده: أن يرجع في عامه ذلك، ويأتي من قابل، لم يهن عليهم هذا، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرَّات. فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحد دخل على أمِّ سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أمُّ سلمة: يا نبي الله أتحبُّ ذلك؟ أُخرج ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلِّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلق رأسه الشريف، فلمَّا رأَوْا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا. قال ابن حجر: وإشارتها على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تدلُّ على وفور عقلها وصواب رأيها. وفي شهر ذي القعدة من العام التاسع والخمسين للهجرة. أسلمت روحها الطاهرة إلى خالقها، وكانت قد بلغت من العمر أربعاً وثمانين سنة، عَمَّرَتْ حَتَّى بَلَغَهَا مَقْتَلُ

سيّدنا الحُسَيْنِ الشَّهِيدِ رضي الله عنه، فَوَجَمَتْ لِذَلِكَ، وَغُشِيَ عَلَيْهَا، وَحَزِنَتْ عَلَيْهِ كَثِيرًا، ولَمْ تَلْبَثْ بَعْدَهُ إلاَّ يَسِيرًا ثم توفيت وصَلّى عليها سيّدنا أبو هريرة رضي الله عنه. وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ، فكانت آخر أمّهات المؤمنين موتاً، فرَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها، وعن جميع أمّهات المؤمنين. أيّها المسلمون. هذه لمحات موجَزة عن سيرة أمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة رضي الله عنها، نجد فيها معنى المرأة الحقّ. ومعنى العقل. ومعنى الصبر. واللهَ نسأل أن يجزيها وبقية أمّهاتنا أمّهات المؤمنين عنّا وعن نبيّه صلى الله عليه سلم أفضل الجزاء، اللهمّ فإن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لنبيّك وصحابته وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حِصْنهم الحصين. وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبّل والثواب الجزيل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

10- النّورُ السَّنيّ المضيء من سيرة أمّ المؤمنين زَوْجِ النبيّ السيّدة صَفِيَّة بِنْت حُيَيّ عليها رضى الله العليّ

الحمد لله المحمود بجميع المحامد تعظيماً وتشريفاً وثناءً، المتّصف بصفات الكمال عزّة وقوّة وكبرياءً، به نصول وبه نجول، وبه نؤمّل دفع الكروب شدّة وبلاءً، ودرءَ الخطوب ضنكا ولأواءً. ((اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)). نحمده تعالى ونشكره أن رضي لنا الإسلام دينا، ونصب لنا الدلالة على صحّته برهانا مبينا، وأوضح السبيل إلى معرفته واعتقاده حقّا يقينا، فهو دينه الذي ارتضاه لنفسه، ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه، فبه اهتدى المهتدون، وإليه دعا الأنبياء والمرسلون. ((أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)). فسبحانه من إله يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشرف مَنْ شاء مِنَ الأخيار، شرّف رسولَه سيِّدَنا محمّدا صلّى الله عليه وسلم على كلّ البشر. وجعل عِتْرته خير العِتَر، وأسرته خير الأُسَر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حَرَمٍ، وبسقت في كَرَمٍ، لها فروع طِوال، وثَمَرٌ لا يُنال،

لقد رضي الرحمان عنهم فإنّهمْ * هُمُ الأوّلون السابقون من الصدرِ

هُمُ خيرُ مَنْ يُرجى لرفع ملمّةٍ * وهمْ خير من يُدعى وهم خير من قُرِ

إذا وردوا حوض النبيِّ محمدٍ * سَقَوْا أولياءَ الله من ذلك النهر

فمن ذا يداني فخرهمْ بافتخاره * وفخرهمْ يعلو على ذروة الفخر

فأسأل ربي رؤيةً لوجوههمْ * لدى جنّةِ الفردوس في الحُلَلِ الخُضْرِ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له، الواحد القهّار، عالِمُ الجَهْرِ والإسْرارِ، جعَلَ في أخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، خصوصا أمّهات المؤمنين زوجات نبيّنا المختار. صلّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأزواجه الأطهار. ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). وأشهدُ أنَّ سيّدنا محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. أفضل هذه الأمّة جهاداً وفداءً، وأعظمها قدوة واطصفاءً، إختار له ربّه من الأصحاب أفضلهم صفاءً ووفاءً، ومن الزوجات أطهرهنّ طهراً ونقاءً، فكنّ له في الدنيا والأخرى، وحُرِّمْنَ على غيره من الورى. فهنّ أمّهات المؤمنين، وحليلات رسولِ ربِّ العالمين،

صلّى عليه وسلَّم الرحمانُ * ما هبّ النسيمُ فماس غُصْنَ البانِ

وعلى ذويه وصَحْبه ونسائه * والتابعين لهم على الإحسانِ

صلّوا عليه وسلِّموا وتطلَّبوا * في حِفْظ ملّته رضَا الرحمانِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ الأوّاب. وعلى ما له من الآل والأزواج والأصحاب. صلاة تفتح لنا بها الأبواب. ونكون بها ممّن دُعِيَ إلى طاعة مولاه فأجاب. وفني في جمال الذات المحمدية وغاب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لقد أجمعت الأمّة على أنّ الصحابة رضي الله عنهم هم رأسُ الأولياء. وصفوة الأتقياء، قدوةُ المؤمنين. وأسوة المسلمين، وخير عبادِ الله بعدَ الأنبياء والمرسلين، جمَعوا بين العلم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين الجهادِ بين يديه، شرّفهم الله بمشاهدة خاتَم أنبيائه، وصُحبته في السّراء والضرّاء، وبذلِهم أنفسَهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله، حتّى صاروا خيرةَ الخِيَرة، وأفضلَ القرون بشهادة المعصوم عليه الصلاة والسلام. فهم خيرُ الأمَم سابقِهم ولاحقهم، أولّهم وآخرهم. هم الذين أقاموا أعمدَةَ الإسلام، وشادوا قصورَ الدّين، قطعوا حبائلَ الشّرك، أَوْصلوا دينَ الإسلام

إلى أطرافِ المعمورة، فاتّسعت رقعة الإسلام، وطبَّقت الأرضَ شرائعُ الإيمان، فهم أدقّ النّاس فهمًا، وأغزرُهم علمًا، وأصدقهم إيمانًا، وأحسنهم عملاً. كيف لا؟! وقد تربّوا على يدَي النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونهلوا من ماء معينه الصّافي، وشاهدوا التنزيل. روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنّ الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلبَ سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعدَ قلب سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيّه، يقاتلون على دينه. وقد وردت الآياتُ الصريحة. والأحاديث الصّحيحة. في فضائلهم والإشادة بهم، قال تعالى في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)). وقال تعالى في سورة التوبة: ((وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلأنصَٰرِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)). وقال عزّ وجلّ في سورة الفتح: ((لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَان ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)). وروى البخاري عن عمرانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)). وروى الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة من صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:))لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)). إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة في بيان علوّ مكانتهم وعظيم فضلهم. رضي الله عنهم أجمعين. أيّها المسلمون. ومن هؤلاء الصحابة الكرام، أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّهات المؤمنين. خَير نِساءٍ عِشنَ في أفضلِ القرون. وتربَّين في أَجلّ البيوتِ بيتِ النّبوّة، أعلَى الله مَكانتَهنّ، وأجَلَّ قَدرَهنّ، ونزَل القرآن بالثّناءِ عَليهنّ، قال عزّ وجلّ في سورة الأحزاب: ((يَا نِسَاءَ النَّبِيءِ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ)). زَوجاتٌ مبارَكات، ونِساء عظيمات. منّ الله عليهنّ بهذا الفضل.

وفرض هذه الأمومة وقرّرها على جميع المومنين. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)). وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ((النبيء أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم)). وقال مجاهد: كل نبيّ أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم أبوهم في الدّين، وأزواجه أمّهاتهم، فى تحريم نكاحهنّ. ووجوب تعظيمهنّ، وزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي دخل بهنّ إحدى عشرة امرأة. ستّ منهنّ قريشيّات. وهنّ: أمّهاتُنا وسيّداتنا خديجة بنتُ خويلد. وسودة بنتُ زمعة، وعائشة بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق، وحفصة بنت سيّدنا عمر بن الخطاب، وأمّ سلمة هند بنت أبي أميّة، وأمّ حبيبة رملة بنت سيّدنا أبي سفيان، وأربع عربيّات. وهنّ: جويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وميمونة بنت الحارث من بني هلال، وزينب بنت خزيمة أمّ المساكين، وزينب بنت جحش، وواحدة إسرائيليّة وهي سيّدتنا صفية بنت حيي بن أخطب. من ذريّة سيّدنا هارون بن عمران أخي سيّدنا موسى كليم الله عليهما السلام. التي في مثل هذا الشهر أعني شهر محرّم من السنة السابعة للهجرة تزوّجها النبي صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. روى الإمام البخاري في صحيحه عن عَبْد الْعَزِيزِ بْن صُهَيْبٍ عَنْ سيّدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا خَيْبَرَ. فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلاةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ. فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ. فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ. وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ. خَرِبَتْ خَيْبَرُ. إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ. قَالَهَا ثَلاثًا. قَالَ: وَخَرَجَ الْقَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ. فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ. قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: وَالْخَمِيسُ. يَعْنِي الْجَيْشَ. قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً. فَجُمِعَ السَّبْيُ. فَجَاءَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ. قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً. فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ. فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ. لا تَصْلُحُ إِلاَّ لَكَ. قَالَ: ادْعُوهُ بِهَا. فَجَاءَ بِهَا. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا. قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَزَوَّجَهَا. فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ. مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا. أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا. حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنْ

اللَّيْلِ فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا. فَقَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ. وَبَسَطَ نِطَعًا فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ. قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ. قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا. فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال بعض علماء السيرة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد بخدّها لطمة، فقال: ما هذه؟ فأخبرته أنّه لمّا تزوّجها بعض بني عمّها، وزُفَّت إليه وأُدْخِلت عليه، ومضى على ذلك ليالي، رأت في منامها كأنّ القمر أقبل من يثرب فسقط في حِجْرها، فقصّت المنام على ابن عمّها فلطمها، وقال: تتمنّين أن يتزوّجك مَلِك يثرب؟ يقصد النبي صلى الله عليه وسلم. فهذه من لطمته. وكان هدف رسول الله صلى الله عليه وسلم من زواجها إعزازها وإكرامها ورفع مكانتها، إلى جانب تعويضها خيراً ممّن فقدت من أهلها وقومها، ويضاف إلى ذلك إيجاد رابطة المصاهرة بينه صلى الله عليه وسلم وبين اليهود. لعلّه يخفّف عداءهم، ويمهّد لقبولهم دعوة الحقّ التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن آمنة بنت قيس الغفارية، قالت: أنا إحدى النساء اللائي زففن صفيّة يوم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعتها تقول: ما بلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. كانت رضي الله عنها امرأة شريفة، عاقلة، ذات حسب أصيل، وجمال ورثته من أسلافها، وكان من شأن هذا الجمال أن يؤجّج مشاعر الغيرة في نفوس نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عبّرت زينب بنت جحش عن ذلك بقولها: ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. تقول صفيّة رضي الله عنها: دخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام، فقلت له: بلغني أنّ عائشة وحفصة تقولان: نحن خير من صفية، نحن بنات عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، فقال: ألا قلتِ: وكيف تكونان خيراً منّي؟ وزوجي محمّد وأبي هارون وعمّي موسى. وعن عطاء بن يسار، قال: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر، ومعه صفيّة، أنزلها. فسمع بجمالها نساء الأنصار، فجئن ينظرن إليها، وكانت عائشة متنقّبة حتى دخلت، فعرفها. فلمّا خرجت، خرج، فقال: كيف رأيتِ؟ قالت: رأيتُ يهودية. قال: لا تقولي هذا، فقد أسلمت. وكانت رضي الله عنها تحب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حبًّا عظيما. ورُوِي أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم في مرضه الذي تُوفى فيه، قالت له السيّدة صفيّة: والله يا نبي الله لوددت أنّ الذي بك بي. فغمزها أزواجه. فأبصرهنّ رسول الله صلى الله عليه

وسلم. فقال: مضمضن. قلن: من أيّ شيء؟ قال: من تغامزكنّ بها. والله إنّها لصادقة. وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يشعر بغربتها رضي الله عنها. فكان يدافع عنها كلما أُتيحت له الفرصة. قال ثابت البُناني رضي الله عنه: حدّثتني سميّة أو شميسة عن صفيّة بنت حيي: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حجّ بنسائه، فبرك بصفيّة جملها; فبكت، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا أخبروه، فجعل يمسح دموعها بيده، وهي تبكي، وهو ينهاها، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس; فلمّا كان عند الرواح، قال لزينب بنت جحش: أفقري أختك جَمَلاً. وكانت من أكثرهنّ ظَهْرًا. فقالت: أنا أفقر يهوديتك. فغضب صلى الله عليه وسلم، فلم يكلّمها، حتى رجع إلى المدينة، ومحرّم وصفر; فلم يأتها، ولم يقسم لها، ويئست منه. فلمّا كان ربيع الأوّل دخل عليها; فلمّا رأته، قالت: يا رسول الله، ما أصنع؟ قال: وكانت لها جارية تخبّؤها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: هي لك. قال: فمشى النبي صلى الله عليه وسلم إلى سريرها، وكان قد رُفع، فوضعه بيده، ورضي عن أهله. فها هو سيّد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم يهجر زوجته المهاجرة التي زوّجها إيّاه ربّ العالمين. وابنة عمّته غضبا للسيّدة صفية رضي الله عنها. ومن مواقفها الدّالّة على حلمها وعقلها رضي الله عنها، ما ذكرته كُتب السير من أنّ جارية لها أتت عمر بن الخطاب فقالت: إنّ صفية تحبّ السبت، وتَصِلُ اليهود، فبعث عمر يسألها، فقالت: أمّا السبت فلم أحبّه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأمّا اليهود فإنّ لي فيهم رَحِماً فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ماحملكِ على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبي فأنت حرّة. وكانت رضى اللَّه عنها سخيّة كريمة؛ فقد أهدت إلى السيّدة فاطمة الزهراء وبعض أمّهات المؤمنين حلقات من ذهب، وتصدّقت بثمن دارها قبل وفاتها. أيّها المسلمون. لقد روت أمّ المؤمنين السيّدة صفيّة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشْرَة أَحَادِيثَ، مِنْهَا وَاحِدٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. أيْ رواه البخاري ومسلم. كما حَدَّثَ عَنْهَا سيّدنا عَلِيُّ زين العابدين بنُ الإمام الحُسَيْنِ، وَإِسْحَاقُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الحَارِثِ، وَكِنَانَةُ مَوْلاَهَا، وَآخَرُونَ. ومن مروياتها رضي الله عنها ما رواه البخاري ومسلم عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَزُورُهُ (ليلاً) فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ، مَرَّ رَجُلاَنِ مِنْ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا. وعند مسلم بلفظ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا. وقد وقفت السيّدة صفية رضي الله عنها بجانب الحق مع أمير المؤمنين سيّدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حين تعرّض للحصار في منزله؛ فقد روى ابن سعد في طبقاته بسندٍ حسن عن كنانة مَوْلى صَفيّة رضي الله عنها قال: قدمت صفيّة رضي الله عنها في حجابها على بغلة لتردّ عن عثمان. فلقينا الأشتر النخعي كان على رأس أهل الكوفة الذين توَلّوا الفتنة أيّام خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه. فضرب وجه بغلتها حتى مالت، وهو لا يعرف راكبتها. فقالت لي صفية رضي الله عنها: ردّني لا يفضحني هذا. ثم وضعت أمّ المؤمنين خشبًا بين منزلها ومنزل عثمان، تنقل عليه الماء والطعام. ولقد عايشت رضي الله عنها عهد الخلفاء الراشدين، حتى أدركت زمن سيّدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ثم كان موعدها مع الرفيق الأعلى في رمضان سنة خمسين للهجرة، لتختم حياة قضتها في رحاب العبادة، ورياض التألّه، دون أن تنسى معاني الأخوّة والمحبّة التي انعقدت بينها وبين رفيقاتها على الدرب، موصيةً بألف دينار للسيّدة عائشة بنت الصدّيق رضي الله عنها، ودفنت بالبقيع بجوار أمّهات المؤمنين، رضوان الله عليهنّ أجمعين. ما عدا اثنتان منهنّ دفنتا بمكة. السيّدة خديجة بمقبرة المعلاة. والسيّدة ميمونة بنت الحارث بِسَرِف مكان قرب مكة. أيّها المسلمون. هذه ملامح مختصرة عن سيرة أمّ المؤمنين السيّدة صفية رضي الله عنها. زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولعلّ في هذا التعريف المختصر أداءً لبعض حقّ أمّهات المؤمنين، رضي الله عنهنّ. فحقهنّ عظيم، ومنه كثرة التّرضّي عنهنّ، ومعرفة سيرتهنّ، والتعريف بها ونشرها في جميع الأوساط، وخاصّة بين ناشئة الأمّة، والإقتداء بهنّ، والدفاع عنهنّ، والذّبّ عن أعراضهنّ ونحو ذلك. فَرَضِيَ اللهُ عن أمّهات المؤمنين وأَرْضَاهنّ. وَأكرَمَ مَثْوَاهنّ. ونفعنا ببركاتهنّ. ورزقنا زيارتهنّ. وَحَشَرَنَا معَهَنّ تحتَ لِوَاءِ حَبِيبِه سيّدنا محمّدٍ صَلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ في جنّات ونهر، في مقعد صِدْق عند مليك مقتدِر، اللهمّ فإن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لصحابة نبيّك وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حصنهم الحصين وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل

المتقبَّل والثواب الجزيل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

أولاد الرسول ﷺ

01- عِطْر النسمات من شذى سيرة السيّدة زينب بنت رسول الله سيّد المخلوقات عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات

الحمد لله الذي اختصّ أهل بيت نبيّه الكريم، بالأفضليّة والتكريم، تشريفا لهم وتوقيرا، وقال في مَعْرَض الثّناء عليهم كما في سورة الأحزاب. تنبيها للأُمّة وتذكيرا: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). نحمده سبحانه وتعالى أن غمر بإحسانه قلوبنا بمحبّتهم. وأعاذنا من جهْل مفهوم عَلِيِّ درجتهم. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. أعلا منارَ الأمّة المحمّدية وميّزها بأجناس المزايا والسعادة الأبديّة. وزيّنها بالبَضْعَة الطاهرة النبويّة. فهُمْ من سرّ الله الساري في الأرض. وأبناء الرسول الذِين حازوا شَرَفَ نَسَبِ ذرّيةٍ بعضها من بعض. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خَلْقه وخليله. الذي حباه مولاه بشرف عِتْرته، وجمع أشتات الفضائل في فروعه وأَرُومَتِه، ومنحه من الفضائل في ذويه وذرّيّته. ما أربى على النجوم الدراري، وجعل بركتهم سارية في الأعقاب والذراري،

أَعِدْ ذِكْرَ مَنْ روحِي فِدَاهُ فَإِنَّنِي * وَحَقِّ جَلاَلِ اللهِ فِيهِ مُهِيمُ

وَيَا حَاضِرِي نَادِي مَحَاسِنَ ذِكْرِهِ * فَكُلُّكُمُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

اللهم صلّ وسلّم وبارِك على سيّدنا محمّد. عين الرحمة الربانية. وعلى آله الحائزين كمال الشرف مِنْحة إلهية. وصحابته ينابيع المعارف والعلوم اللدنية. صلاة نكون بها في الدنيا والآخرة تحت ظلّ شجرة البَضْعَة النبوية. وتحشرنا بها في زُمْرة طائفته الطّيّبة المصطفوية. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فأيّها المسلمون. نحن بحاجة إلى معرفة سيرة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومعرفةِ محاسِنِهم العظيمة. حتى نحبَّهم وتخالط محبّتُهم بشاشةَ قلوبِنا. ولا يمكن للإنسان أن يُحِبَّ إنسانا آخر حتى يَعْرِفَ مدى فَضْلِه ونِعْمتِه إليه. لأنّ بالإحسان يُسْتَعبَد قَلْبُ الإنسان. لهذا كان لزاما على كل مسلم أن يلمّ بشيء من حياة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى يحبّهم قلبُه طوعا ودون أيّ تكلّف. فيكون في زمرة الناجين. الداخلين في عموم قَوْل النبي الأمين صلى الله عليه وسلم: ((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)). أيّها المسلمون. في هذه الخطبة

سنتكلم إن شاء الله تعالى عن أُولى حبّات العِقد في البيت النبوي. مع واحدة من بنات النبي صلى الله عليه وسلم. مع كبرى بناته. من كانت أشبه الناس بأمّها أمّ المؤمنين السيّدة خديجة رضي الله عنها في الخَلق والخُلُق. مع واحدة من الصابرات المحتسبات. إحدى الزيانب في البيت النبوي الطاهر. إنّها زينت بنت سيّد ولد آدم سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وابنت سيّدة نساء العالمين السيّدة خديجة بنت خوليد رضي الله عنها. وهي كبرى بنات الرسول صلى الله عليه وسلم، والأُولى من بين أربع بنات هنّ: زينب ورقية وأمّ كلثوم وفاطمة رضي الله عنهنّ، وهي ثمرة الزواج السعيد الذي جمع بين السيّدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم. وُلدت السيّدة زينب رضي الله عنها قبل بِعثة والدها صلى الله عليه وسلم بعشر سنوات. فأحبّها كثيرًا وكانت فرحته لا توصف برؤيتها. أمّا السيّدة خديجة رضي الله عنها فقد كانت السعادة والفرحة تغمرانها عندما ترى البِشر على وجه زوجها وهو يداعب ابنته الأُولى. وترعرعت السيّدة زينب في كنف والدها حتى شبّت على مكارم الأخلاق والآداب والخصال فكانت تلك الفتاة البالغة الطاهرة. أيّها المسلمون. لم تتجاوز السيّدة زينب العاشرة من عمرها حتى تنافست قبائل قريش، وبيوتات مكة وأشرافها على خِطبتها للظفر بها عروسًا، وكان من أولئك المتنافسين رجل تهيّأت له الفرصة المواتية لهذا أكثر من غيره بحكم القرابة التي بينه وبين زينب، وهو أبو العاص بن الربيع، ابن الخالة، فخالته السيدة خديجة التي كانت تحبّه وتنـزله منـزلة الإبن لها. وقد حسم هذه المنافسة أبو العاص نفسُه حين أفصح عن مكنوناته، وباح بسرّه لخالته خديجة، وأبدى لها الرغبة في التزوّج بزينب. أخبرت خديجة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوايا ابن أختها أبي العاص ورغبته في التقدّم لخطبة ابنته زينب رضي الله عنها، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يرحّب به ليكون زوجاً لابنته بعد موافقتها؛ وكان ذلك. لأنّ أبا العاص يلتقي نسبه من جهة الأب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الجد الثالث عبد المناف. فهو أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وكذلك فإنّ نسبه يلتقي من جهة الأمّ مع زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند جدّه خويلد بن أسد بن عبد العزى. بالإضافة إلى ذلك فإنّ أبا العاص على الرغم من صِغَر سنّه فقد عُرِف بالخصال الكريمة والأفعال النبيلة. وعندما ذهب أبو العاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطب ابنته، قال

عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إنّه نِعْم الصِّهْر الكُفْء))، هذا يعني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد به عيباً وطلب من الخاطب الإنتظار، حتى يرى رأي ابنته في ذلك. ويشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ويسألها إن كانت ترضى بابن خالتها زوجا لها، فيمنعها الحياء من الجواب، ويمسك لسانها عن الرد، فيعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صمتها قَبولها، فيعود لأبي العاص ويصافحه مهنّئًا ومباركًا. أيّها المسلمون. عاشت زينب حياة سعيدة في كنف زوجها. وكانت خير الزوجة الصالحة الكريمة لأبي العاص، وكان هو خير الزوج الفاضل الذي أحاطها بالحب والأمان، وأفاض الله عليهما الفرح والغبطة لمّا منّ عليهما بأوّل مولودة لهما، سمّاها جدّها صلى الله عليه وسلم أُمامة، فكانت لهما قرّة عين، ثم رزقهما الله مولودا ءاخر سمّياه عليًا. وقال بعض أصحاب السير: ولدت زينب لأبي العاص عليًا، وأمامة فتوفي علي وهو طفل صغير، وبقيت أمامة فتزوّجها سيّدنا علي بن أبي طالب بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمامة هي التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وهو يصلي. ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصدح بالحق في أرجاء مكة. اجتمعت السيّدة خديجة رضي الله عنها ببناتها الأربع: زينب ورقية وأم ّكلثوم وفاطمة رضي الله عنهنّ وأخبرتهنّ بنزول الوحي على والدهنّ صلى الله عليه وسلم، وبالرسالة التي يحملها للناس كافة، فأسلمن البنات الأربع برسالة والدهنّ صلى الله عليه وسلم دون تردد. ودخل الإيمان قلبهنّ فشهدن بلسانهنّ شهادة التوحيد بعد أن صدّق قلبهنّ. وفي يوم نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو العاص في سفر تجارة، ولمّا عاد من سفره، وكان قد سمع من المشركين بأمر الدين الجديد الذي يدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. دخل على زوجته فأخبرها بكل ما سمعه، وأخذ يردّد أقوال المشركين في الرسول صلى الله عليه وسلم ودينه، في تلك اللحظة وقفت السيدة زينب رضي الله عنها موقف الصمود وأخبرت زوجها بأنّها أسلمت وآمنت بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعرضت عليه أن يشهد شهادة الحق ويدخل في دين الله إلا أنه أبى، وقال لها: لو تبعته لقال القوم: فارق دين آبائه إرضاء لزوجته وحميه، وكان يقول لها: والله ما أبوك عندي بمتّهم، وليس أحب إلي من أن أسلك معكِ في شِعْب واحد، ولكني أكره لكِ أن يقال: إنّ زوجك خذل قومه، وكفر بآبائه إرضاء لامرأته، فهلا قدّرتِ وعذرتِ. وعلى الرغم من عدم إسلام أبو العاص فقد بقيت

السيّدة زينب رضي الله عنها مع زوجها تدعوه إلى الإسلام، وتقنعه بأنّ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو من عند الله وليس هناك أحق من هذا الدين لاعتناقه. ومن ذلك نجد أيضاً أنّ أبا العاص لم يجبر زوجته على تكذيب والدها صلى الله عليه وسلم أو الرجوع إلى دين آبائهِ وعبادة الأصنام. وروي عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وتجارة وأمانة، فقالت خديجة رضي الله تعالى عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها وذلك قبل أن ينزل عليه، فزوّجه زينب رضي الله تعالى عنها فلما أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بنبوّته آمنت خديجة وبناتها رضي الله تعالى عنهنّ فلما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بأمر الله تعالى أتوا العاص بن الربيع فقالوا له: فارق صاحبتك، ونحن نزوّجك بأيّ امرأة شئت من قريش فقال: لا، واللهِ لا أفارق صحابتي مما يسرّني أنّ لي بامرأتي أفضل من أيّ امرأة من قريش. أيّها المسلمون. بعد عام الحزن الذي شهد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه بناته رضي الله عنهنّ وفاة كلٍّ من السيدة خديجة رضي الله عنها، وعمّ الرسول صلى الله عليه وسلم أبي طالب، زاد بطش وتعذيب كفار قريش للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فكانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة. وبعد وصوله سالما إلى المدينة المنورة أمر بإحضار ابنتيه فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهنّ إلى دار الهجرة. أما رقية رضي الله عنها فقد هاجرت مع زوجها سيّدنا عثمان بن عفان من قبل. ولم يبق سوى زينب التي كانت في مأمن من بطش المشركين وتعذيبهم وهي في بيت زوجها الذي آمنها على دينها. وبعد الهجرة حصلت غزوة بدر وفيها من الفريقين أهل وأبناء عم، فريق رفع راية التوحيد، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفريق صُمَّت آذانهم وعميت أبصارهم وأقفلت قلوبهم عن رؤية الهداية، ورفضوا السير على درب النور والهدى فحاربوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وفي هذا الفريق الأخير كان زوج السيدة زينب أبو العاص بن الربيع. وجاءت أخبار انتصار المسلمين إلى مكة. وكانت فرحة زينب بهذا الإنتصار لا توصف، ولكن خوفها على زوجها لم يكمل تلك السعادة التي غمرتها، حتى علمت بأنّ زوجها لم يُقْتَل وأنّه وقع أسيراً في أيدي المسلمين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى أبا العاص زوج ابنته ضمن الأسرى فقال: ((والله ما ذممناه صهراً)). وأمر الصحابة أن يستوصوا بالأسرى خيراً. روى الإمام أحمد في

مسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنّ أبا العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في من شهد بدرًا مع المشركين. فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، تقدّم أخوه عمرو بن الربيع من النبي صلى الله عليه وسلم بصرة كانت بعثتها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي يومئذ بمكة، فيها قلادة لها، كانت للسيدة الجليلة خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبي العاص، حين بنى بها يوم عرسها. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم القلادة عرفها وذكر خديجة وترحّم عليها، وقال: ((إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا)). فهتف المسلمون: نعم يا رسول الله قد فعلنا حبًا وكرامة، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع من الأسر، وردّوا على زينب قلادتها، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي العاص أن يُخْلي سبيلها إليه، يعني طلب منه مفارقة زينب، فوعده بذلك، ولما عاد إلى مكة فارق زينب التي توجّهت إلى المدينة، تحمل في أحشائها جنينًا في شهره الرابع برفقة كنانة شقيق أبي العاص. عندما علم رجال قريش بخبر خروج السيدة زينب إلى أبيها لحق بها هبّار بن الأسود ومعه رجل آخر من قريش فعندما لقيها روعها برمحه فإذا هي تسقط من فوق بعيرها على صخرة جعلتها تسقط جنينها، فولّى الرجال من بعد ذلك هاربين. ورجع كنانة ابن الربيع إلى مكة ومعه زينب حتى ترتاح من الألم والمرض الذي ألمّ بها وبعد عدة أيام اصطحبها مرة أخرى إلى يثرب حيث استقبلها أباها استقبالاً حاراً سعيداً برؤيتها مُجَدَّداً مع طفلَيْها علي وأُمامة. أخبرت السيدة زينب رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فعله هبّار وصاحبه، فاشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرية لمعاقبة هبّار وصاحبه وأمرهم بإحراقهم إن ظفروا بهما، ثم أرسل إليهم في اليوم التالي أن اقتلوهما فإنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله تعالى. وأقامت السيدة زينب رضي الله عنها مع طفلَيْها في كنف والدها صلى الله عليه وسلم حتى العام السابع من الهجرة. أيّها المسلمون. قبل فتح مكة وبينما كان أبو العاص عائدًا في قافلة من رحلة تجارة من بلاد الشام إلى مكة حاملا معه أموال قريش التي أؤتمن عليها، تعرّض لقافلته سرية بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه ومعه مائة وسبعين رجلا، تمكنت هذه السرية من الحصول على كل ما تحمله تلك السرية من مال وهرب عددٌ من رجال القافلة وكان أبو العاص واحدًا منهم. وخشي أبو العاص على أموال قريش التي كان قد أؤتمن

عليها، فلم يجد إلا أن يتوجّه إلى المدينة ليلا ليستجير بالسيدة زينب رضي الله عنها أن يعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم مال قريش، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الصبح فكبّر وكبّر الناس معه، صرخت زينب من صُفّة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع. اجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بأبي العاص، فاستشار صحابته أن يردوا على أبي العاص أمواله التي أخذوها من القافلة، واتفق الصحابة جميعًا على إعادة المال لأبي العاص كاملا دون نقصان، ورجع أبو العاص بالمال إلى مكة وأعطى كل واحد من قريش نصيبه من المال ثم أشهر إسلامه وعاد إلى يثرب قاصدًا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. وبعد إسلام أبي العاص أعاد الرسول صلى الله عليه وسلم زينب إليه بنكاحه الأول وقيل إنه أعيد إليها بنكاح جديد وعاشا من جديد معا والإسلام يجمعهما. وبعد عام من التمام شمل الزوجين بدأ المرض يزداد على السيدة زينب رضي الله عنها، وظلت زينب ملازمة الفراش فترة طويلة من أثر ما تعرّضت له من قِبَل هبار بن الأسود، وهي في طريقها إلى المدينة للهجرة. ولم تستطع الأدوية أن تخفّف من مرض زينب فسلّمت أمرها لله سبحانه وتعالى في بداية العام الثامن للهجرة رضي الله عنها. وحزن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً عظيماً وحزن معه زوجها أبو العاص الذي وافته المنية بعد أربع سنوات من وفاة زينب. ولما ماتت زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((أغسلنها وتراً، ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئا من كافور، فإذا غسّلتنها، فأعلمنني)). فلما غسّلناها أعطانا حِقْوَه، فقال: ((أشعرنها إياه)). وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونزل في قبرها، وهو مهموم ومحزون، فلما خرج سُرِّيَ عنه وقال: ((كنتُ ذكرتُ زينب وضُعْفها، فسألت الله تعالى أن يخفّف عنها ضِيق القبر وغمّه، ففعل وهوّن عليها)). ودُفنت في البقيع. رضي الله عنها وأرضاها. أيّها المسلمون. وبذلك تنتهي حياة هذه الشخصية العظيمة رضي الله عنها. التي وقفت دائماً مع الإسلام ووالدها نبي الأمّة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسانده وتواسيه وهو يتعرّض لأذى قريش. ضحّت زينب لأجل زوجها على الرغم من شِركه ووقوفه في وجه الإسلام حتى كانت هي سبباً من أسباب إسلامه. رزقنا الله حبّ آل البيت النبوي الطاهر. وأمدّنا من إمدادهم الفائض. ونسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لُقياهم، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته. ومستقرّ

رحمته. بفضله ومنّته. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

02- تذكير أهل الإيمان بسيرة السيّدة رقية بنت سيّد ولد عدنان وزوج الخليفة الراشد سيّدنا عثمان بن عفان

الحمد لله الذي تفرّد بالبقاء والكمال، وقسم بين عباده الأرزاق والآجال، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وملوكاً وسوقة ليتناصفوا، وبعث الرسل مبشّرين ومنذِرين، لئلا يكون للناس على الله حُجّة، وختمهم بخيرته من خليقته، السالكِ بتأييده الطريق المستقيم على المَحَجّة. فسبحانه من إله وعد الصالحين المصلحين بالفوز والفلاح، وحفظهم في ذريّاتهم وذويهم بالتقوى والبِرّ والصلاح، ووعدهم بجَمْع الشمل وقرّة العين في دار القرار، فقال سبحانه في سورة الرعد: ((جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءابَائِهِمْ وَأَزْوٰجِهِمْ وَذُرّيَّاتِهِمْ وَالمَلَٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مّن كُلّ بَابٍ. سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ ٱلدَّارِ)). وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ الكريم الفتّاح، المؤلِّف بين القلوب والأرواح، وفَّق من شاء من عباده للصواب، وربط بينهم بالمصاهرة والأنساب، وجعل بين الزوجين مودّة ورحمة وهو الكريم الوهّاب. وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ وصفيّه من خلقه وخليله. أرجح البريَّة إيماناً، وأثقلهم ميزاناً، وأبلغهم حُجّةً وبرهانا. أصلح من هذه الأمّة أمْرها، وأظهر للعالمين فخْرها، ودلّها على الله بمكارم الأخلاق وفضلها، وما ترك خصلة من الخير إلا ذكَرها، ولا خصلة من الشر إلا وحذّر الأمّة عنها وزجرها.

يا أمّة المصطفى يا أشرف الأُممِ * هذا نبيّكُمُ المخصوص بالكرمِ

هذا الرؤوف الرحيم الطاهر الشّيَمِ * إن شئتمُ أن تنال رفعة وغِنَا

صلّوا عليه لعلّ الله يرحمنا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. رفيع القدر والمقام. وعلى آله السادة الكرام. وصحابته الأجلّة العظام. صلاة تنوِّر بها قلوبنا بنور الإيمان والإسلام. وتجعلها لنا وسيلة القصد ونيل المرام. ونتيجةً لفواتح البدء ومِسك الختام. بفضلك

وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لقد أكرم الله الصحابة بالثناء عليهم في كتابه. وأكرمهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالثناء عليهم في سنّته، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة في بيان فضل الصحابة وقَبولهم عند الله ورضا الله عنهم، مِن ذلك قول الله عزّ وجلّ في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)). وفي السنّة المطهّرة مئات الأحاديث الصحيحة في الثناء عليهم. روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)). ألا وإنّ من الصحابة آل بيت النبوّة. فهم داخلون في الثناء العام على الصحابة. وأيضاً أثنى الله عليهم وخصّهم بذلك وخصّهم رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام. فآل بيت النبوّة لهم مناقب كثيرة ومزايا وخصائص عظيمة. المطلوب أن يعرفها المسلمون من أجل أن يعرفوا ما لآل بيت النبوّة من حقوق شرعية. يقول الله تعالى في سورة الأحزاب: ((يَا نِسَاءَ النَّبِيءِ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)). وإنّ من آل البيت النبوي الطاهر بنات سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأربع. وهنّ: زينب ورقية وأمّ كلثوم وفاطمة رضي الله عنهنّ، وفي هذه الخطبة سنتكلّم إن شاء الله تعالى عن ثانية بنات النبي صلى الله عليه وسلم. سابقة إلى الإسلام. هاجرت الهجرتين في سبيل الله. من أحسن الناس وصفا وجمالا. وكيف لا؟ وهي أشبه بنات النبي به صلى الله عليه وسلم. فأخذت من حُسنه وحماله حتى صارت مضرِب المثل للجمال في بنات مكة كلها. إنّها السيّدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. زوج الخليفة الراشد الثالث سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأمّ ابنه عبد الله. أُمُّهَا أمّ المؤمنين السيّدة خَدِيجَةُ بِنْت خويلد رضي الله عنها. أيّها المسلمون. ولدت السيدة رقية رضى الله عنها قبل البعثة بسبع سنوات، ونشأت في أحضان أبيها رسول الله، وأمّها

السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها. وكانت السيدة رقية رضى الله عنها ملازمة لأختها أمّ كلثوم لتقارب السن بينهما، ولم يفترقا حتى خطب أبو لهب السيدة رقية لابنه عُتْبة، كما خطب السيدة أمّ كلثوم لابنه الآخر عُتَيْبة. فلمّا بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل عليه سورة المسد: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)). قال أبو لهب لابنيه عتبة وعتيبة: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلِّقا ابنتيه. ففارقاهما ولم يكونا قد دخلا بهما، فكان نزول سورة المسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيدًا ورحمةً، وعيد لأبي لهب وزوجتِه بالنار، ورحمة لرقيةَ وأمِّ كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ نجّاهما الله من العيش في بيت الشرك والكفر. وأسلمت السيدة رقية رضي الله عنها حين أسلمت أمّها السيدة خديجة، هي وأخواتها. وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم حين بايعه النساء، وشاءت قدرة الله لرقية أن ترزق بعد صبرها زوجًا صالحًا كريمًا من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنّة، ذلك هو سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه صاحب النسب العريق، والطلعة البهية، والمال الموفور، والخُلُق الكريم. فتزوّجها بمكة فكان زواجها سعيدًا موفَّقًا متكافئًا. روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليّ أنْ أُزوِّج كريمتِي عثمان)). وكانت السيدة رقية رضي الله عنها ذات جمال رائع. وكان يقال: أحسن زوج رآه إنسان رقية مع زوجها عثمان. وروى الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: ((بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بصحفة فيها لحم فدخلتُ عليه ورقية جالسة. فما رأيتُ اثنين أحسن منهما. فجعلت مرة انظر إلى رقية ومرة انظر إلى عثمان. فلمّا رجعت قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: أَدَخلتَ عليهما؟. قلت: نعم. قال: فهل رأيتَ زوجا أحسن منهما؟. قلتُ: لا يا رسول الله. لقد جعلت مرة انظر إلى رقية ومرة انظر إلى عثمان)). ثم هاجرت رقية مع زوجها عثمان إلى أرض الحبشة، فكان عثمان أول من هاجر إليها، واستقرّ بهما المقام بالحبشة، وولدت له هناك ولدًا، فسمّاه عَبْد الله. وكان عُثْمان يُكنّى به، فبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك، فورم وجهه ومرض ومات، وكان موته في جمادى الأولى سنة أربع، وصلى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ونزل أبوه عُثْمان في حفرته. وفي الحبشة سارت بهما الأيام هادئة، حتى أُشِيع أنّ أهل مكة قد كَفُّوا أيديهم عن

تعذيب المسلمين والتنكيل بهم، فعادت السيدة رقية مع زوجها عثمان رضى الله عنهما، وبعض الصحابة إلى مكة، ولكنهم فوجئوا بأنّ أهل مكة مازالوا على عنادهم يسومون المستضعَفين من المسلمين سوء العذاب، فانتظروا قدوم الليل، ثم دخلوا مكة متفرّقين. أيّها المسلمون. وعندما عادت السيدة رقية إلى مكة كانت أمّها السيدة خديجة رضي الله عنها قد لقِيَت ربّها، فحزنت عليها أشدّ الحزن، ثم ما لبثت أن هاجرت إلى المدينة المنورة بعد أن هاجر زوجها عثمان من قبل. ولما سار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بدر كانت ابنته رقية مريضة، فتخلّف عليها عُثْمان بأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم له بذلك، ليكون إلى جوارها يطبّبها، ولكنّها ما لبثت أن لبّت نداء ربّها في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، فبينما هم يدفنونها سمع الناس التكبير، فقال عُثْمان: ما هذا التكبير؟ فنظروا فإذا زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الجدعاء بشيرًا بقتلى بدر والغنيمة، وضرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعُثْمان بسهمه وأجره، فكان كمن شهدها، أيْ أنّه معدود من البدريّين. ولا خلاف بين أهل السير في ذلك. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سوّينا التراب على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان بن عفان، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلّفني عليها مع عثمان. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إلْحَقِي بِسَلَفِنَا عُثْمَانَ بنِ مَظْعُوْنٍ)). فَبَكَتِ النِّسَاءُ عَلَيْهَا؛ فجعل عمر يضربهنّ بسَوْطه، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده وقال: ((دعهنّ يبكين. وإيّاكنّ ونعيق الشيطان، فإنّه مهما يكن من القلب والعين فمن الله ومن الرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان)). وَقَعَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى شَفِيرِ القَبْرِ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَتْ تَبْكِي؛ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الدَّمْعَ عَنْ عَيْنِهَا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ. ودُفنت رضي الله عنها بالبقيع، وكانت أُولَى بنات النبي صلى الله عليه وسلم موتًا، فرحم الله السيدة رقية بطلة الهجرتين، وصلاة وسلامًا على والدها في العالمين، ورحم معها أمّها وأخواتها وابنها وشهداء بدر والمجاهدين. وسلام عليها إلى يوم الدين، ورضي الله عنها وجمعنا بها في جنات النعيم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

03- جَنَى الجَنّتَيْن في سيرة السيّدة أمّ كلثوم بنت سيّد الكَونيْن وزَوْج الخليفة الراشد سيّدنا عثمان بن عفان ذي النُّورَيْن

الحمدُ لله الذي له مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا. نحمده تعالى ونشكره أن منّ علينا بنعمة الأولاد، وفتح لنا من أسباب الهداية كل باب، ورغّب في طريق الصلاح وحذّر من طرق الفساد، فسبحانه من إله أحاط بكل شيء خُبْراً. خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرا، وكان ربك قديرا، وجعل بين العباد وشائج ووصائلَ ووصّى بها خيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له. خلَق الإنسانَ ولم يكن شيئًا مَذكورًا، صوَّره فأحسَن صورتَه فجعله سميعًا بصيرًا، أرسَل إليه رسلَه وأقام عليه حجَّته وهداه السبيلَ إمَّا شاكرًا وإمّا كفورًا، وأشهد أنّ سيدنا محمّدًا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. خير البريّة وأزكاها، وأفضل الإنسانية شرفًا وجاهًا، المبعوث إلى جميع البشرية أدناها وأقصاها، وباتّباعه تبلغ النفوس مناها في آخرتها ودنياها.

يا أمّة الهادي ومَنْ كَمِثَالِكُمْ * فجلالُ أحْمدَ شاهد بجمالكمْ

هو سُتْرَتُكم هو ذُخرُكم ومليكُكُم * صلّوا عليه وسلِّموا فبذلكم

تُهْدَى النفوس لرُشْدِها وغِناها

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدنا محمّد. النبي الكريم. وعلى آله ذوي المجادة والتعظيم. وصحابته أهل السيادة والتكريم. صلاة تفتح لنا بها خزائن جودك العميم. وتقدّس بها أرواحنا في حظائر القدس وفراديس النعيم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. اقتضَت حِكمةُ الله جلّ وعلا أن يَكونَ جِنس بَني آدمَ رجالاً ونِساء. قال تعالى في سورة النساء: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً)). هذه حكمةُ الله تعالى ليبقَى النوعُ الإنسانيّ، وتَعمر الدّنيا وينفذ قضاءُ الله وقدَره. وأخبرنا جلَّ جلالُه أنّه قسّم العبادَ نحوَ هذا أقسامًا، فمِن عباده مَن جعل ذرّيَّته إناثًا، ومِن عباده مَن جعل ذريّتَه ذكورًا، ومِن عباده مَن منحَه الجنسَين الذكورَ والإناث، ومِن عباده مَن جعَله عَقيمًا لا يولَد له، وكلّ ذلك بِحكمتِه وعدله. ورحمتِه وكمالِ عِلمه، قال تعالى في سورة الشورى: ((لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)). قال بعضُ السّلَف في قولِه تعالى: ((لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا))، بدَأ بهنّ ليبيّنَ للعرب ما كانوا عليه في جاهليّتهم من فسادِ الأخلاق في وَأْد البناتِ، ولِذا قال الله تعالى في سورة التكوير: ((وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)). فجاءَ الإسلام بكتابه وسنّة رسولِه صلى الله عليه وسلم بِذكرهنّ حتى يُعلَم أهميَّتُهنّ في ذلك. وليوضّح ما للبناتِ مِن فضل ومكانةٍ في المجتمع المسلِم. فالبناتُ يرحمهنّ ذو القلبِ الرحيم، ويشفِق عليهنّ ذو الخُلُق الطّيِّب، ويحسِن إليهنّ صاحِب المروءَةِ والإحسان، لا ينظر إلى ما يَرجوه منهنّ، وإنما يرجو من الله الفضلَ والإحسانَ، أيّها المسلمون. واللهُ جلّ وعلا أعطى أبانا إبراهيمَ عليه السلام ذكورًا ولم يعطِه إناثًا، وأعطى لوطًا عليه السلام البناتِ ولم يعطه ولدًا، وأعطى سيدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلم ذكورًا وإناثًا، وما عاش له من الولد إلا البنات، وكان صلى الله عليه وسلم رقِيقًا مع البناتِ، محسنًا إليهنّ، رفيقًا بهنّ، كان يحمِل بنتَ ابنتِه أُمَامة بنت زينب في صلاته، إذا قام رفعها، وإذا سجد وضعها، وكان يكرِم بناته ويرفق بهنَّ، صلوات الله وسلامه عليه أبدًا دائمًا إلى يومِ الدين. وذلك من أعظم الفخر للبنات، وفيه تسلية لمن لم يُرْزَق مِن الولد إلاّ هنّ. فإنّ الشريعة الغرّاء رتّبت من الأجور العظيمة على رعاية البنات، ورحمتِهنّ والإحسانِ إليهنّ أكثر مما جاء في حق الأبناء، واختصّت البنات بنصوص كثيرة في ذلك؛ فمَن رُزِق بناتٍ وأحسن تربيتَهنّ، والقيام عليهنّ، نُجِّيَ من النار بسببهنّ بعد رحمة الله تعالى، وحُشِر مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأدخله بناتُه الجنّة، وفي ذلك أحاديث كثيرة أحاديث ثابتة وبعضها في الصحيحين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن ابتُلِيَ مِن هذه البنات بشيء كُنّ له سِترا من النار)). وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن كان له ثلاث بنات وصبر عليهنّ وكساهنّ مِن جِدَتِه كنّ له حجابا من النار)). وفي حديث ثالث قال صلى الله عليه وسلم: ((ما من مسلم تدركه ابنتان فيُحسِن صحبتهما إلا أدخلتاه الجنّة)). وفي حديث رابع قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن كان له ثلاث بنات يُؤويهنّ ويكفيهنّ ويرحمهنّ فقد وجبت له الجنّة البتّة، فقال رجل من بعض القوم: وثِنْتَيْن يا رسول الله؟ قال:وثِنْتَيْن)). وفي حديث خامس قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن عال جاريتَيْن حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضمّ أصابعه)). أيّها المسلمون. حديث خطبتنا اليوم عن واحدة لزمت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر

ممّا لزمته سواها من بنات النبي صلى الله عليه وسلم. عاشت وأراد الله لها أن تحيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمنا طويلا. أراد الله عزّ وجلّ لها أن تتزوّج أخواتها من قبلها بزمان وتبقى هي في بيت النبي صلى الله عليه وسلم لتنعم بصحبة أنفاسه لتهتدي بهديه وتتأدّب بأدبه صلى الله عليه وسلم. إنّها الإبنة الثالثة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنّها السيّدة أمّ كُلثوم رضي الله عنها. الهاشمية القرشية البَضعة النبوية. أمّها أمّ المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها. وُلِدت هذه الإبنة الطاهرة بعد أختها السيّدة رقية رضي الله عنها، كانت شبيهة بها كأنّهما توأمان. لا يختلفان في كثير من الصفات. أسلمتا في يوم واحد. أسلمتا حين أسلمت أمّهما وأخواتهما، وبايعتا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخواتهما حين بايعه النساء، وتزوّجتا في يوم واحد. وطُلّقتا في يوم واحد. وشاء الله أن يتزوّجهما رجل واحد. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَتْ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عِنْدَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ عِنْدَ عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، زَوَّجَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَطَلَّقَاهُمَا جَمِيعًا ولم يدخلا عليهما، وَكَانَ سَبَبُ طَلَاقِهِمَا أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: قَدْ كَفَيْتُمْ مُحَمَّدًا أَمْرَ بَنَاتِهِ فَتَفَرَّغَ لِمَا تَرَوْنَ، فَتَعَالَوْا نَمْشِي إِلَى أَصْهَارِهِ حَتَّى يُطَلِّقُوا بَنَاتِهِ، فَمَشُوا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ: مَا يَسُرُّنِي بِهَا أيْ السيّدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((أَحْمَدُ صِهْرَ أَبِي الْعَاصِ))، وَأَمَّا عُتْبَةُ فَقَالَ: أُطَلِّقُهَا عَلَى أَنْ تُزَوِّجَنِي ابْنَةَ أَبَانِ بْنِ سَعِيدٍ، وَإِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا أَيِّمًا وَلَا ذَاتَ بَعْلٍ، فَزَوَّجُوهَا إِيَّاهُ، وَأَمَّا عُتَيْبَةُ فَإِنَّهُ طَلَّقَهَا، وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ يُرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى الشَّامِ، فقال: لآتينَّ محمداً وأوذينَّه. فأتاه فقال: يا محمد. إنّي كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم بصق أمام النبي صلى الله عليه وسلم. فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ))، فَنَزَلُوا حَوْرَانَ فَطَرَقَهُمُ الْأَسَدُ، فَتَخَطَّى إِلَى عُتَيْبَةَ مِنْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ أُمَّهُمَا أُمَّ جَمِيلَةَ بِنْتَ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ))، قَالَتْ هِيَ وَأَبُو لَهَبٍ لِعُتْبَةَ وَعُتَيْبَةَ: وَجْهُنَا مِنْ وَجْهِكُمَا حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُطَلِّقَاهُمَا، ففارقاهما ولم يكونا قد دخلا بهما، فَتَزَوَّجَهُمَا جَمِيعًا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَزَوَّجَ رُقَيَّةَ فَمَاتَتْ عِنْدَهُ، ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَهَا أُمَّ كُلْثُومٍ. فكان نزول سورة المسد على رسول

الله صلى الله عليه وسلم وعيدًا ورحمةً، وعيد لأبي لهب وزوجتِه بالنار، ورحمة لرقيةَ وأمِّ كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ نجّاهما الله من العيش في بيت الشرك والكفر. وقَالَ أَهْلُ التَّارِيخِ: كَانَ سَبَبُ تَزَوُّجِ عُثْمَانَ رُقَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ غَضِبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِعْلِ أَبِي لَهَبٍ، فَخَطَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَجَزَعَتْ لِذَلِكَ قُرَيْشٌ جَزَعًا شَدِيدًا، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُثْمَانَ، فَاكْتَنَى بِهِ عُثْمَانُ، فَكَانَتْ لَهُ كُنْيَتَانِ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَمَاتَتْ رُقَيَّةُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، ثمَّ زوَّجَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ابنتَهُ أمَّ كُلثومٍ رضيَ اللهُ عنها بعدَ موتِ أختِها بستَّةِ أشهرٍ. فلمّا ماتت تأسّف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصاهرته فقال: ((والذي نفسي بيده، لو كان عندي ثالثة لزوّجتُكَها يا عثمان)). ولا يُعْرَفُ أَحَدٌ في تاريخ البشرية أنّه تزوّج بِنْتَيْ نبيّ غيرُه. لذلك لُقِّب رضي الله عنه بذي النُّورَيْن. لأنَّه استنارَ بشِهابِ قَبَسٍ مِنْ نورِ سيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة ترك في مكة أهله. بنتيْه أمّ كلثوم وفاطمة الزهراء عند زوجته الثانية أمّ المؤمنين السيّدة سَوْدة بنت زمعة رضي الله عنهنّ التي تزوّجها بعد وفاة السيّدة خديجة رضي الله عنها، وبعد أن وصل إلى المدينة المنوّرة، واستقرّ فيها. أرسل بعض أصحابه لاصطحاب أهل بيته من مكة، مع أهل أبي بكر. الذين استبقاهم هناك. وحينما وصلن استقبلهنّ النبي صلى الله عليه وسلم بكل شوق وحنان. واستقبلهنّ نساء الأنصار بالحفاوة والترحاب، وبعد وفاة السيّدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السنة الثانية للهجرة بعد غزوة بدر الكبرى حدث حدثٌ لطيفٌ. وهو أنّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه له ابنة اسمها السيّدة حفصة رضي الله عنها، استُشْهِد زوجها خُنَيْس بن حذافة رضي الله عنه يوم بدر، وانتهت عدّتها، فعرضها على أبي بكر فرفض، وعرضها على عثمان فرفض، فخاب أمله، وتألّم أشدّ الألم، ولكنّه لم يعلم ما ادّخره الله له ولابنته حفصة من الشرف العظيم والمكانة الرفيعة، فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم هذه المشكلة. فقال عليه الصلاة والسلام: ((يتزوّج حفصة مَن هو خير من عثمان، ويتزوّج عثمان مَن هي خير من حفصة)). فتزوّج النبي صلى الله عليه وسلم السيّدة حفصة بنت سيدنا عمر بعد السيدة عائشة بنت سيدنا أبي بكر. وتزوّج عثمان أمّ كلثوم. روى سعيد بن المسيّب أنّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى عثمان بعد وفاة رقية مهمومًا لهفان. فقال له: ((ما لي أراك مهمومًا؟)). قال: يا رسول الله.

وهل دخل على أحد ما دخل عليّ، ماتت ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت عندي. وانقطع ظهري، وانقطع الصهر بيني وبينك. فبينما هو يحاوره إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عزّ وجلّ أن أزوّجك أختها أمّ كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها)). فزوّجه إيّاها. وتحلّ أمّ كلثوم زوجة كريمة مبجّلة عند سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أختها رقية، ويحظى سيّدنا عثمان بلقب ذي النورين، وقد كان زواجه من أمّ كلثوم في شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة. ولمّا زوّج النبيّ صلى الله عليه وسلم بنته أمّ كلثوم بعثمان قال لها: ((إنّ بعْلك أشبه الناس بجدّك إبراهيم وأبيك محمد)). أيّها المسلمون. ومن مواقف السيّدة أمّ كلثوم رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، عن أمّ كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم أنّها قالت: ((يا رسول الله، زوْجي خير أو زوْج فاطمة؟ قالت: فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: زوْجكِ ممّن يحب اللهَ ورسولَه ويحبّه اللهُ ورسولُهُ، فولّت، فقال لها: هلمّي. ماذا قلتُ؟، قالت: قلتَ: زوْجي ممّن يحب اللهَ ورسولَه ويحبّه اللهُ ورسولُه، قال: نعم، وأزيدك: دخلتُ الجنّة فرأيتُ منزله. ولم أر أحدًا من أصحابي يعلوه في منزله)). وعاشت رضي الله عنها عند سيدنا عثمان ستّ سنوات ولم تلد له، وكانت وفاتها رضي الله عنها في شعبان سنة تسع للهجرة، وغسّلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وأمّ عطية الأنصارية رضي الله عنهنّ. وصلّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلس على حفرتها، ونزل في قبرها علي بن أبي طالب والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ((لمّا وُضِعت أمّ كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى. ثم قال: بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله. فطفق يطرح إليهم الجُبُوب أيْ التراب. ويقول: سُدُّوا خلال القبر، ثم قال: إلاّ أنّ هذا ليس بشيء ولكن يطيّب نفْس الحي)). ودُفنت رضي الله عنها في البقيع بجوار أُخْتَيْها رقية وزينب رضي الله عنهنّ. وبهذا يتبيّن لنا فضْلها ومنزلتها. إذ أبدلها الله عزّ وجلّ بعد مفارقة ابن أبي لهب برجل حيي كريم تستحي منه الملائكة من أفضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان نِعم الزوج لها ونعمة الزوجة له، كما أنّها حظيَت رضي الله عنها بأن يكون المصطفى صلى الله عليه وسلم إمام المصلّين على جنازتها وكفى بذلك منقبة وفضيلة لِمَا في دعائه

لها من البركة والرحمة والمغفرة. فرضي الله عنها وأرضاها. وطيّب ثراها. وجعل الفردوس الأعلى مأواها. وأمدّنا بمددها. وأعاد علينا من بركاتها. وأنشقنا نسمة من أسرار نفحاتها. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

04- الشَّهْد الْمُصَفَّى مِنْ أزهار مناقب بَضْعَةِ نبيّنا المصطفى سيّدتنا ومَوْلاتنا فاطمة الزهراء أُمّ الشّرفاء عليها من اللهِ السّلامُ والرّضى تعظيما لها وشَرَفا

الحمد لله المنفرِد بالوجود والإيجاد. العظيم العليم القدير الجوّاد. الحكيم الذي أتقن ما خلَقَه وأجاد. وخصّ مَنْ شاء بما شاء وأراد. أرسل رسوله سيّدَنا محمّدا صلى الله عليه وسلَّم إلى كافّة النّاس بشيرا ونذيرا. وداعيّا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، واختصّ أهل بيت نبيّه الكريم، بالأفضليّة والتكريم، تشريفا لهم وتوقيرا، وقال في مَعْرَض الثّناء عليهم كما في سورة الأحزاب. تنبيها للأُمّة وتذكيرا: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). فتولّى سبحانه بنفسه إذهاب كلّ رِجْسٍ عنهم جليلٍ وحقير. وتطهيرَهم من كلّ ذنْبٍ صغير وكبير. فسبحانه من إله جعل سِمَة الشرف الباذخ العَلِي. المتَّصِل بسيِّدَتِنا فاطمة الزهراء وسيّدنا علي. لم يزل لها الظهور الأبرّ. والبروز الأشهر. على وجوه مَنْ إلى ذلك المقام الشريف لهم الإنتساب والإتّصال. ومَنْ هم في سِلْك عِقْدِهم الرفيع الفائق عقود اللّآل. حتى كاد مَنْ له انتساب لذلك النور الساطع. أن يكتفي بتلك السِّمَة وتكون له الشاهد القاطع. ولله درّ ابن جابر الأندلسي إذ يقول:

جعلوا لأبناء الرسول علامةً * إنّ العلامة شأن مَنْ لم يُشْهَرِ

نُور النبوّة في كريم وجوهِهِمْ * يُغْني الشريف عن الطراز الأخضرِ

نحمده سبحانه وتعالى أن غمر بإحسانه قلوبنا بمحبّتهم. وأعاذنا من جهل مفهوم عَلِيِّ درجتهم.

فحظُّنا حُبُّ آلِ بيتِ محمّدٍ * وحُبُّهم فَرْضٌ على العبد والحرّ

وحبّهم أَمْنٌ وحِصْن وعِصمةٌ * بهم يُهْتَدى في الدّين كالأنجُمِ الزُّهْرِ

ولا يُقْبَل الإيمان إلاّ بحبّهمْ * وهل يَقْبل اللهُ الصلاةَ بلا طُهْرِ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. أعلا منارَ الأمّة المحمّدية. وميّزها بأجناس المزايا والسعادة الأبديّة. وزيّنها بالبَضْعَة الطاهرة النبويّة. فهُمْ من سرّ الله الساري في الأرض. وأبناء الرسول الذِين حازوا شَرَفَ نَسَبِ ذرّيةٍ بعضها من بعض. وناهيك بِمَنْ صِيغَ من دار النبوّة مجدُه. وكان المصطفى المختار والدُه وجَدُّه. ودار نسبُهُ على قُطْبِ السّيادة الكبرى. وريحانتي رسول الله سيّدنا الحسن وسيّدنا الحسين الذَيْن تفتّقت أكمامُهما من الرَّوْضة الزهراء.

أقول قولا حَسَنًا قُلْتُهُ * ما النفس فيما قُلْتُه آثِمَهْ

لكلّ شيءٍ جوهرٌ خالِصٌ * وجوهر الخَلْقِ بنو فاطمهْ

وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خَلْقه وخليله. أشرف الكائنات. وينبوع الكمالات. مِنْ سائر الموجودات. الذي حباه مولاه بشرف عِتْرته، وجمع أشتات الفضائل في فروعه وأَرُومَتِه، ومنحه من الفضائل في ذويه وذرّيّته. ما أربى على النجوم الدراري، وجعل بركتهم سارية في الأعقاب والذراري،

أَعِدْ ذِكْرَ مَنْ روحِي فِدَاهُ * فَإِنَّنِي وَحَقِّ جَلاَلِ اللهِ فِيهِ مُهِيمُ

وَيَا حَاضِرِي نَادِي مَحَاسِنَ ذِكْرِهِ * فَكُلُّكُمُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

اللهم صلّ وسلّم وبارِك على سيّدنا محمّد. عين الرحمة الربانية. وعلى آله الحائزين كمال الشرف مِنْحة إلهية. وصحابته ينابيع المعارف والعلوم اللدنية. صلاة نكون بها في الدنيا والآخرة تحت ظلّ شجرة البَضْعَة النبوية. مولاتنا فاطمة الزهراء الطاهرة النقية. المخصوصة بين نساء العالمين بشرف الأمّ والأب والبعل والذّرّيّة. وتحشرنا بها في زُمْرة طائفته الطّيّبة المصطفوية. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:**

فيقول الحقّ تبارك وتعالى في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). أيّها المسلمون. المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول

الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. نحن بحاجة إلى معرفة سيرة آل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ومعرفةِ محاسِنِهم العظيمة. حتى نحبَّهم وتخالط محبّتُهم بشاشةَ قلوبِنا. فهم ذخيرتنا في الدنيا والآخرة. فقد أخرج الطبراني في معجميه الأوسط والصغير عن سيّدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: ((إنّما مَثَلُ أهلِ بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تَخلَّف عنها غَرِق، وإنّما مثلُ أهلِ بيتي فيكم مثلَ بابِ حِطَّة في بني إسرائيل، مَنْ دخله غُفِر له)). أي وهو المراد من قوله تعالى في سورة البقرة: ((وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)). وهم الذين عناهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم بقوله فيما أخرجه الطبراني في معجمَيْه الكبير والأوسط والبيهقي في شُعَب الإيمان والحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث عبد الرحمان بن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((لا يؤمن عبْد حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه. وأهلي أحبّ إليه من أهله. وعِتْرتي أحبّ إليه من عترته. وذاتي أحبّ إليه من ذاته)). وهم الذين جعلهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم محلّ وصيّته. كما في الحديث الذي أخرج الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده والبيهقي وابن حبّان وابن خزيمة في صحيحيهما وابن كثير في تفسيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: ((قام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مَكَّة والمَدينَةِ فحَمِدَ اللهَ وأثْنى عَليهِ ووَعَظَ وذَكَّرَ ثمّ قالَ: أمّا بَعدُ! ألا أيّها النّاسُ فإنَّما أنا بَشَرٌ يُوشَكُ أنْ يأتيَ رَسولُ رَبّي فأُجيبُ، وأنا تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْن؛ أوَّلُهُما كِتابُ اللهِ فيهِ الهُدى وَالنُّورُ، فَخُذوا بِكِتابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكوا بهِ. فَحَثَّ على كِتابِ اللهِ ورغَّبَ فيهِ ثُمّ قالَ: وأهْلُ بَيتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي)). وجاء في رواية الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنّه قال: ((إنّي أُوشَكُ أنْ أُدْعى فأُجيبُ، وإنيّ تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ: كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وعِتْرَتي. كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمدودٌ مِن السَّماءِ إلى الأرض. وَعِترَتي أهلُ بَيتي؛ وَإنّ اللّطيفَ الخَبيرَ أخْبَرني أنّهُما لَن يَفْتَرِقا حَتىّ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ؛ فانْظُروني بِم تَخْلُفوني فِيهِما)). فقد أمرنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أن نحبَّهم. ونتّقي الله فيهم. ونربّي أبناءنا على محبّتهم. ففي الحديث الصحيح: ((أَدِّبُوا أَوْلاَدَكُمْ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: حُبّ نَبِيِّكُمْ، وَحُبّ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)). ولا يمكن للإنسان أن يُحِبَّ

إنسانا آخر حتى يَعْرِفَ مدى فَضْلِه ونِعْمتِه إليه. لأنّ بالإحسان يُسْتَعبَد قَلْبُ الإنسان. وقديما قال الشاعر:

أحسِنْ إلى الناس تَسْتعبِدْ قلوبَهُمُ * فطالما استعْبَد الإنسانَ إحسانُ

لهذا كان لزاما على كل مسلم أن يلمّ بشيء من حياة آل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. حتى يحبّهم قلبُه طوعا ودون أيّ تكلّف. فيكون في زمرة الناجين. الداخلين في عموم قَوْل النبي الأمين صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)).

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وإنّ من الناسكات الأصفياء، والصفيَّات الأتقياء، السيّدة البتول، البَضْعة الشبيهة بالرسول، أشدُّ أولاده بقلبه لصوقا، وأوَّلُهم بعد وفاته به لحوقا، إنّها سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء. عليها من الله السلام والثناء. وهذه كلماتٌ مضيئة. ولآلئُ وضيئة. عن سيرة سيّدة نساء العالمين. أمّ الغُرِّ الميامين. بَضْعةُ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم. سيّدتُنا الزهراء. السيّدةُ الشريفة فاطمة البتول. رضي الله عنها وأرضاها. وعليها بعد أبيها أزكى صلاة وأنماها .

فالحديثُ عنها. رضي الله عنها. شيّقٌ وجميل، ممتعٌ وطويل، يقف الكاتبُ أمامه حائرَ التفكير. عاجزًا عن التعبير، لا يدري من أين يبدأ؟ وعمّا يتحدّث؟ ماذا يأخذ من مناقبها؟ وماذا يدع؟ فهو أمام بَحْرٍ زاخر، بنفائسَ اليواقيت والجواهر. لقد زَكَتْ قَوْلاً وفِعْلا، وسمت فَرْعا وأصلا. ورحم الله الشاعر إذ يقول في مدحها:

المجد يَشرُق مِنْ ثلاث مطالعِ * فى مهْد فاطمةَ فما أعلاها

هي بنت مَنْ هي زوج مَنْ هي أمّ مَنْ * مَنْ ذا يُداني في الكمال أباها

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديها. اللهم صلِّ وسلِّم على أبيها الأمين. سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبوها: هو سيّد الكَوْنَيْن، وأشرف الثّقلَيْن، المِنَّةُ الكبرى على المؤمنين، ورحمة الله للعالمين، أنقذ الله به البشرِيَّة، من ضلالات الجاهلية، جاءنا بالكتاب المسطور، وأخرجنا الله به من الظلمات على النور، صلى الله عليه وآله وسلَّم، وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم. ووالَى عليه ذلك وأنعَم .

وأمّا أمّها: فهي الطيّبةُ الطاهرة، ذاتُ المناقب الفاخرة، السيّدةُ خديجة الكبرى. رضي الله عنها. مَنْ فازت بشرف الدنيا وسعادة الأخرى، أكرمها الله بأعلى وِسام، فأهداها من حضرته العلية التحية والسلام. فَفِي الصَّحيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي. وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ)). قال السهيلي رحمه الله في كتابه (الروض الأُنُف شرح سيرة ابن هشام): وإنّما بشّرها ببيت في الجنّة من قصب. لأنّها حازت قصب السبق فى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب، لأنّها لم ترفع صوتها على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم تتعبه يوما من الدهر، فلم تصخب عليه يوما، ولا آذته أبدا .

وأمّا زوجها: فهو الإمام علي المرتضى، القائلُ كلمة الحقّ في الغضب والرِّضى، أسد الله الغالب. سيّدنا علي بن أبي طالب. كرّم الله وجهه ورضي عنه. وممّا نقل عنه أنّه قال مفتخِرا وذاكِرا فضل الله عليه:

محمّد النبِي أخي وصِهْرِي * وحمزة سيّد الشهداء عمِّي

وجعفر الذي يُضحي ويُمسي * يطير مع الملائكة ابنُ أمِّي

وبنت محمّد سَكَني وعِرسِي * مَشُوب لحمها بدمي ولحمِي

وسِبطا أحمد ولدايَ منها * فأيّكم له سهْم كسهمِي

سبقتكم إلى الإسلام طُرّا * صغيرا ما بلغتُ أوان حِلمِي

قال الإمام البيهقي: هذا الشِّعْر ممّا يجب على كل متوانٍ أيْ مقصِّر في محبّة الإمام عليّ رضي الله عنه حِفْظُه. لِيَعْلَم مفاخرَه في الإسلام .

وأمّا أولادها: فهما السيّدان الكريمان. أبو محمد الحَسَن، وأبو عبد الله الحسَيْن، ريحانتا سيِّد الكونَيْن، فهما كما جاء في صحيح السُّنَّة، سيّدا شباب أهل الجنّة.

في رَوْضِ فاطمةٍ نَمَا غُصْنان * لم يُنْجِبْهُمَا في النَّيِّرات سواها

حَسَنُ الذي صان الجماعة بعدما * أمسى تفرُّقُها يُحِلُّ عُراها

وحسينُ في الأبرار والأحرار ما * أزكى شمائلُه وما أنداها

ثم سيّدُنا المُحسِّنْ الذي توفي صغيرا. رضي الله عنه.

وأمّا بناتُها: فَهُنّ سيّداتنا زينب. وأمّ كلثوم. ورقيّة. ولهم مكانةٌ في قلب نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلَّم مرموقةٌ عَلِيَّة. أولئك هم أفرادُ بيتها الطاهر، النجومُ الزواهر، رضي الله عنهم أجمعين .

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديها. اللهم صلِّ وسلِّم على أبيها الأمين. سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيّها المحبّون. لهذه البَضعة النبوية. الحَوْراء الآدمية. وُلدت سيّدتُنا ومولاتنا فاطمة عليها السلام، في مكة بلدِ الله الحرام، قبل البعثة بخمسة أعوام، لعشرين من جمادى الآخرة. لقد شاء الله أن يقترِن مولدُها بالحادِث الجليل الذي ارتضت فيه قريش أن يكون الصادق الأمين صلّى الله عليه وآله وسلَّم حَكَماً فيما شجر بينها من خلاف على وَضْع الحجر الأسود عند تجديد بناء الكعبة المكرَّمة. فاستبشر أبواها بمولدها، ففي يوم الجمعة الأزهر. سطع وجهها الأنور، فالحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر،

وسمّاها أبوها صلّى الله عليه وآله وسلَّم فاطمة. لأنّ الله فطمها ومحبّيها من النار الحاطمة. قال الخطيب البغدادي في تاريخه وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة وفي سُنَن الأقوال والأفعال: روى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((إنّما سُمِّيَت فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار)).

وتسمّى الزهراء. لأنّها زهرة أفضل الخلق بلا مراء، وقيل سُمِّيت بالزهراء لحسنها وزُهرة لونها. والزُّهرة هي البياض الحَسَن المُشرَبُّ بحمرة. وهو لونُ أبيها صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ففي الصحِيحَيْن وغيرِهما عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون، وكيف لا تكون كذلك؟ وهي أشبه الناس به صلى الله عليه وسلم .

ولُقِّبَت رضي الله عنها أيضا بالبتول. لانقطاعها للعبادة فيما تفعل وتقول، وقال النووي في شرح صحيح مسلم: التّبتّل هو الإنقطاع عن النساء وترك النّكاح.

إنقطاعاً إلى عبادة الله. وأصل التّبتّل القطع. ومنه مريم البتول وفاطمة البتول. لانقطاعهما عن نساء زمانهما دِينًا وفضلاً ورغبة في الآخرة .

وكنّاها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم بأمّ أبيها. لِمَا كان يجدُ عندها من حنان وعطف أُودع فيها. وكأنّها أمّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فوق كونها ابنته الصغرى الحبيبة الغالية .

نشأت رضي الله عنها في بيت النبوّة. معدِنِ العلم والشرف والفتوّة. نشأت في ذلك البيت الفاضل. على أفضل الأخلاق وأحسن الشمائل. وكيف لا تكون كذلك؟ فهي خِرّيجةُ مدرسةِ أفضلِ الخَلْق على الإطلاق. الذي بعثه الله متمّماً لمكارم الأخلاق. فمنه تعلَّمت الصِّدْقَ والأمانة. والعِفَّةَ والصيانة. والقرآنَ والحكمة. والرأفةَ والرحمة. والتواضع والعلم. والصبر والحلم. طُبِعت على أخلاقٍ رضيّة. وشمائلَ نبويّة. وأخلاق محمّديّة. أَوْلاها رَبُّها من الخيرات ما أولاها. فرضي الله عنها وأرضاها .

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْها. اللهم صلِّ وسلِّم على أبيها الأمين. سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ولما بلغ سِنُّها الثامنة عشر. تقدّم لِخِطْبتها أكابرُ الصحابة كساداتنا أبي بكر وعمر. رضي الله عنهم. فردّهم صلّى الله عليه وآله وسلَّم ردّا جميلا، وأخبرهم أنّه ينتظر في أمر زواجها تنزيلا. وقد اختصّ اللهُ بذات الشرف والمناقب. سيّدَنا الإمامَ علي بن أبي طالب. كرّم الله وجهه ورضي عنه، فنال بذلك أغلى أمانيه وأعلى، حين قال له الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلَّم: مرحبا وأهلا. ولم يطُل الإنتظار. حتى بَعث صلّى الله عليه وآله وسلَّم في طلب كبار المهاجرين والأنصار. لينقل إليهم هذا الخبر السار. وخطب صلّى الله عليه وآله وسلَّم خُطبته المشهورة، التي لم تزل في مثل هذه المناسبة مذكورة .

فقال عليه الصلاة والسلام: ((الحمد لله المحمودِ بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوبِ من عذابه وسطوته، النافذ أمرُه في سمائه وأرضه، الذي خلقَ الخلق بقدرته، ومّيزَهم بأحكامه، وأعزَّهم بدينه، وأكرمَهم بنبيّه. إنّ الله تباركَ اسمُه. وتعالت عظمتُه. جعل المصاهَرةَ سبباً لاحقا، وأمراً مفترَضا، وحُكماً عادلا. وخيرا جامعا، أَوْشَجَ بها الأرحام، وألزم بها الأنام، فقال عزَّ مِن قائل: وهو الذي

خلقَ من الماء بشراً فجعله نسباً وصِهراً وكان ربُّك قديرا. فأمْرُ الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قَدَره، ولكل قضاءٍ قَدَر، ولكلِّ قَدَرٍ أجل، ولكلِّ أجلٍ كتاب، يمحو الله ما يشاءُ ويثبِّت، وعندَه أمُّ الكتاب. ثم إنّ الله أمرني أن أُزوِّجَ فاطمة من عليِّ بن أبي طالب. فاشهدوا أنّي زوّجتُه على أربعمائة مثقال فِضّة، إنْ رضي بذلك عليٌّ بن أبي طالب)). قال سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: ((ثم دعا بطبق من بُسْرٍ فوضعه بيننا. وقال: انتهبوا)). فبينما نحن ننتهب إذ دخل سيّدُنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه. فابتسم النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم في وجهه. ثم قال: ((إنّ الله قد أمرني أنْ أزوّجك فاطمةَ على أربعمائة مثقال فضّة إنْ رضيتَ بذلك. فقال: قد رضيتُ بذلك يا سيِّدي يا رسول الله. صلَّى الله عليك وآلك وسلَّم)). ثم إنّه ألقى خطبةً قال فيها: ((الحمد لله الذي قَرُب مِن حامديه. ودنا مِن سائليه. ووعد بالجنّة مَن يتّقيه. وأوعد بالنار مَن يعصيه، أحمده بجميع محامده وأياديه. وأشكره شكر مَنْ يعلم أنّه خالقُه وباريه. ومصوِّرُه ومُنْشيه. ومميتُه ومحييه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادةً تبلغه وترضيه. وأشهد أنّ سيّدنا محمداً عبدُه ورسوله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم صلاةً تزلفه وتدنيه. أمّا بعد: فإنّ اجتماعَنا مما قدَّره اللهُ تعالى ورضيه، والنكاحُ مما أمر الله به وأذن فيه. وهذا سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم قد زوّجني فاطمةَ ابنته على صداق أربعمائة مثقال فضّة. وقد رضيتُ بذلك، وكفى بالله شهيدا)). ثم خرّ ساجدا، شاكرا لله وحامدا. فلمّا رفع رأسه من السجود، قال له صاحبُ المقام المحمود صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((جمع الله شملكما. وبارك عليكما. وأخرج منكما الكثير الطيِّب)).

فيا لله من عَقْد مبارَك. شهده كبارُ الصحابة. أُولِي الفضل والنجابة. رضي الله عنهم. النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم فيه هو الوَلِي، والزوجُ هو الإمام علي، والزوجةُ هي سيّدتُنا الزهراء ذاتُ القدر العلي. رضي الله عنهما .

ولما تمّ العَقد المباركُ الميمون. وقرَّت به من المحبّين العيون، زُفَّت سيّدتُنا الزهراء في موكِبٍ من أبهج المواكب. إلى بيت سيّدنا الإمام علي بن أبي طالب. رضي الله عنهما. وكان ذلك في بداية شهر صفر من السنة الثانية للهجرة. ففي السيرة النبوية لابن كثير. قال: وأما فاطمة رضي الله عنها فتزوّجها ابن عمّها علي بن أبى طالب رضي الله عنه في صفر سنة اثنتين، فولدت له الحسن والحسين، ويقال ومحسِّن، وولدت له أمّ كلثوم وزينب .

وسار موكب الزِّفاف في فرح واستبشار، يَحُفّ بها نساء المهاجرين والأنصار. حتى وصلن بها إلى بيتها الرفيعِ. بجوار بيت أبيها صاحب الجاه الوسيع، وما أن أخذت مكانها في البيت الجديد. بجانب زوجها صاحب الحظّ السعيد. حتى أقبل صلّى الله عليه وآله وسلَّم ليطمئنَّ عليهما. ويقدّم أحلى التهاني إليهما، فدعا الله أن يبارِك لهما. ويرزقهما ذرّيّةً طيّبةً مباركة. فاستجاب الله دعاء نبيّه لابنته ووصيّه، وأخرجَ منهما الكثير الطيّب، فكان منهما امتدادُ النسب النبوي الشريف، المنتمي إليه كلُّ سيّد وشريف. فهم والقرآن متّفقان، قرينان لا يفترقان. حتى يَرِدَا حَوْضَ سيّد الأكوان، صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان .

وفي العام الثالث من الهجرة استقبلا في فرحٍ جَلِي. طِفْلَهما البِكر سيّدَنا الحسنَ بن سيّدنا علي. وزُفّت البشرى بالنبأ السار. إلى النبي المختار. صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فجاء مسرعا إليه. وأخذه بين يديه يتأمّلُه، فإذا هو شبيهٌ بسيّدنا النبي. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. لا شبيهٌ بسيّدنا علي. وكان أولَّ ما وصل إلى سمعه عند وضعه. صوتُ جدِّه سيّدَ الأكوان. صلّى الله عليه وآله وسلَّم حيث رتّل في أُذنه الأذان، وقبل أن يكمل العامَيْن. وضعت سيّدتُنا الزهراء شقيقَه سيّدَنا الحسين. فَسُرَّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم بهاذين الغلامَيْن المباركَيْن .

وقد شاء الله الكريم العلي. أن تكون ذريةُ سيّدِنا المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلَّم من سيّدتنا فاطمة وسيّدنا علي، من ابنيهما الحسنين. ريحانتي سيّد الكونين، رضي الله عنهم، فقد أخرج الطبراني والخطيب البغدادي عنه صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنّه قال: ((إنّ الله تعالى جعل ذرّيّة كل نبي في صلبه. وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب)). وأخرج الإمام أحمد في المناقب عن سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((كلّ وَلَدِ أبٍ فإنّ عَصَبتهم لأبيهم. ما خلا ولد فاطمة. فإنّي أنا أبوهم وعصبتهم)).

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْها. اللهم صلِّ وسلِّم على أبيها الأمين. سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيّها المحبّون. لسيّدتنا ومولاتنا الزهراء عليها السلام، والتحيّة والإنعام. والرحمة والإكرام. أنّ من أخلاقها رضي الله عنها الزكية. وشمائلِها المرضية، أنّ الجودَ والإيثارَ كان فيها سجية، وكذلك كان زوجُها ذو الكرم والأريحية، وكان حظُّهم من

النعيم موفورا. ((إنَّ الأبرارَ يشربون من كأسٍ كان مزاجُها كافورا)). ومما يُرْوَى في هذا المجال. من إيثارهما الذي هو مضرب الأمثال. ما قصّ الله في كتابه من وفائهم بالنذر. وإطعامهِم الطعام على حبّه ابتغاءَ الأجر، آثروا المسكينَ واليتيمَ والواقعَ في الأسر. قال الله تعالى في الثناء عليهم تكريما وتوقيرا: ((ويُطعمون الطعامَ على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيرا)). تصدّقوا بطعامهم فطورا وسحورا. وواصلوا الصيامَ وفاءً بما كان منذورا. وقالوا إخلاصاً وصِدْقاً لا كَذِباً وزورا: ((إنّما نطعمُكم لوجه الله. لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا)). جَدّوا واجتهدوا في الأعمال الصالحة. واغتنموا الطاعةَ في كل فرصة سانحة. وتاجروا مع الله فكانت تجارتهم رابحة. وكان ممّا قالوا موعظة وتذكيرا: ((إنّا نخافُ من ربّنا يوماً عبوساً قمطريرا)). أحسَنوا العملَ شكراً لله تعالى على نعمائه. وطلباً للمزيد من فضله وآلائه. وامتلأت قلوبهم من خوف الله ورجائه. وابتهلوا إلى ربّهم أن يؤمِّنهم من الفزع الأكبر وأن يضاعفَ لهم أجورا. ((فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ولقَّاهم نضرةً وسرورا)). خافوا الله في الدنيا فأَمَّنهم في الآخرة. وجعلهم من أهل الوجوه الناضرة. التي إلى ربّها ناظرة. وأعدّ لهم من النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أُذْنٌ سمعت ولا خَطَرَ في الذاكرة. وناداهم المنادي بما يملأ القلبَ حبورا: ((إنّ هذا كان لهم جزاءً وكان سعْيكم مشكورا)).

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْها. اللهم صلِّ وسلِّم على أبيها الأمين. سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ولمّا أكملَ الله برسوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم هذا الدين. وأَتَّم النّعمة على المؤمنين. وأكرمَهم بالفتح المبين. نزل قوله تعالى: ((اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا)). وكان في هذه الآية إشارة من طرفٍ خفي. إلى دنوّ أجل هذا النبي الوفي. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وكان نزولها في حجّة الوداع. وقد كان يقول لأصحابه الكرام: ((خذوا عنّي مناسككم فلعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا)). فلم تمض إلا مدّة يسيرة بعد عودته من مكة. حتى أَلَمَّت به وعكةٌ. حسبها المسلمون وعكةً طارئة وتزول، إلا سيّدتنا فاطمة رضي الله عنها فقد أصابها منها فزعٌ وذهول، ساورها من مرضه هذا خوفٌ وقلق، حتى أنّها تُحسّ كأنّ قلبَها قد انفلق. فجاءت إليه مسرعةً. قلقةً فزعةً. فلمّا رآها مقبلةً هشّ للقائها قائلاً: مرحباً

بابنتي. فأقعدها عن يمينه فسارَّها بدنوّ أجله. فبكت خوفا من الفراق، ثم سارَّها بأنّها أوّل أهله لحوقاً به. فضحكت فرحاً بالتلاق. وانتقل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الرفيق الأعلى. وحزنت عليه حزنا لا يَبْلى. ووقفت على قبره الشريف. تقولُ في اضطراب مخيف. بعد أن أخذت حفنةً من تراب ضريحه. تشمّه وتهنأُ بريحه:

ماذا على مَنْ شمّ تربةَ أحمدٍ * ألاّ يشمَّ مدى الزمانِ غواليا

صُبَّت عَلَيَّ مصائبٌ لو أنّها * صُبّت على الأيّامِ عُدن لياليا

قل للمُغَيَّبِ تحتَ أطباقِ الثرى * إن كنتَ تسمعُ صرختي وندائيا

قد كنتُ ذات حِمىً بِظِلِّ محمّدٍ * لا أختشي ضَيْما وكان جماليا

إذا بَكَتْ قُمْرِيَّةٌ في ليلها شَجَناً * على غُصْنٍ بكيْتُ صباحيا

ثم عادت إلى بيتها حزينة متألِّمة، ولم تُرَ بعد ذلك متبسِّمة. حتى فاضت روحُها إلى باريها. بعد ستّة شهور من انتقال أبيها. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ودُفِنت في البقيع على أصحّ القولَيْن، وقيل دفنت في بيتها بجانب حجرة أبيها سيّدِ الكونَيْن. صلّى الله عليه وآله وسلَّم .

ووقف سيّدُنا علي كرّم الله وجهه على قبرها. يسترجِعُ ذكرياتِ وفائها وبرِّها. وقال في حُزْنٍ وخشوع. وعيناه تذرفان بالدموع:

أرى عِلَلَ الدنيا عليَّ كثيرةً * وصاحبُها حتى الممات عليلُ

لكلّ اجتماعٍ من خليلَيْن فُرقةٌ * وكلُّ الذي فوق التراب قليلُ

وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ * دليلٌ على أنْ لا يدوم خليلُ

وكانت وفاتُها رضي الله عنها يوم الإثنين الثاني من رمضان في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية. وكان عُمُرُها حينذاك ثمانية وعشرين عاما قمرية. وقيل ثلاثون عاما بالسوية. فالحكمُ لله الكريم المتعال. والحمد لله على كل حال.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْها. اللهم صلِّ وسلِّم على أبيها الأمين. سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد اختصّ الله هذه البرّةَ التّقيّةَ. الراضيةَ المرضيّةَ. بخصائص عديدة. ومزيا فريدة. فمن خصائصها عليها السلام. أنّها بَضْعةُ المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلَّم. يبسطُه ما يبسطها. ويريبه ما يريبُها. ويؤذيه ما يؤذيها. وكفاها بهذا فخرا وشرفا. فمَنْ أغضبها أغضب رسول الله. ومَنْ أرضاها فقد أرضاه. صلّى الله عليه وآله وسلَّم .

ومن خصائصها عليها السلام. كما ورد في صحيح السنّة. أنّها سيّدةُ نساء أهل الجنّة. وجاء في حديث آخَر عن خاتم النبيين. صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنّه قال لها: ((أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين)).

ومن خصائها عليها السلام. أنّها كانت أحبَّ أهله إليه. وأحظاهم لديه. إذا أقبلت استقبلها بالترحيب. وتلقّاها بِثَغْرٍ باسمٍ وصدْرٍ رحيب. وأجلسها منه مجلس الحبيبِ من الحبيب .

ومن خصائصها عليها السلام. التي اختُصَّت بها من بين النساء. أنّه كان لا يُرَى لها دَمُ حيضٍ ولا نفاس. فلم تفتْها بسبب ذلك صلاة. منذ أن فُرِضت ليلة المناجاة .

ومن خصائصها عليها السلام. أنّها هي وزوجها وولدَيْها رضي الله عنهم أهل بيت النبيّ الطاهر. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. الذين اختصّهم الله بالشرفِ الباهر. وقال في تخليد الثناء عليهم إكراماً وتوقيراً: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)).

ومن خصائصها عليها السلام. أنّ مَنِ اتّصل بها بسبب أو نسب. فقد أدلى بسبب لا ينقطع إلى سيّد العجم والعرب، صلّى الله عليه وآله وسلَّم. قال مَنْ أُنْزِل عليه القرآن بلسانٍ عربي. سيّدنا ومولانا محمد إمام كل رسول ونبي. صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((كلُّ سببٍ ونسب منقطعٌ يومَ القيامة إلا سببي ونسبي)).

ومن خصائصها عليها السلام. التي لا مِرية فيها. أنّها أشبهُ الناس بابيها. سمتاً وهدياً. وكلاماً ومشيا .

ومن خصائصها عليها السلام. ما اختصّ الله به زوجها من فضل مبين. وقَدْر مكين. حيث قال لها سيّدُ المرسلين. صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((زوجُك سيّدٌ في الدنيا. وإنّه في الآخرة لمن الصالحين)).

ومن خصائصها عليها السلام. إظهار فضلِها لأهل الموقف عامّة. حين ينادي المنادي: أيّها الناس. غضُّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة. رضي الله عنها وأرضاها .

أيّها المحبّون لسيِّدتِنا ومولاتنا فاطمة الزهراء. سيّدة أهل الدنيا والأخرى. فمناقبُها. وسيرة حياتها المفضَّلة. بحرٌ عميق لا ساحل له. يمتدّ من بحر أبيها سيّدِنا ومولانا محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم .

وفي هذا القَدْر كفايةٌ. لِمَنْ كتب الله له الهداية .

فلنرفع أكفّ الضراعة والإفتقار. إلى حضرة المجيب الغفار. متوسّلين بالحبيب الشفيع. سيّدِنا ومولانا محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم وأهل بيته ذوي القدر الرفيع. اللهم بحقّ هذا النبي المرسول. وبحقّ سيّدتنا فاطمة البتول. أمّ أبيها الزهراء بنت الرسول. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وأبنائها الفحول. أسمعنا هذا النداء: غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة. واجعلنا من رفقائها السعداء. وزدنا حُبّا فيها. وزدها حُبّاً فينا. واجعلنا ممّن احتمى بحماها. وتمسّك بأوثق عراها. ودخل حصنها الحصين وتحت لواها. اللهمّ إنّا نُشْهِدُك. ونشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا محمّدا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ونحبّ أهل بيته الطاهرين الطيّبين. عليّا وفاطمة. والحسن والحسين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. أن توفّقنا لصالح الأعمال والأقوال المرضية. وتحفّنا باللطف يا مَنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه. وحقّقنا بأسرار أهل البيت واحشرنا في زمرتهم العلية. واجعلنا من المخلصين لهم إلى بلوغ الأجل منتهاه. وأمدّنا بأمدادهم واجعل عيشتنا هنية. واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة وأنلنا شفاعة حبيبك الدّرّة المنتقاه. سيّدنا ومولانا محمد بن عبد الله. صلّى وسلَّم وبارَك عليه. وعلى آله وأصحابه وآل بيته ومن والاه. صلاة تعرّفنا بها إياه. اللهم انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولاتخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

05- سيرةُ مَوْلاتِنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها

الحمد لله الذي اختصّ أهل بيت نبيّه الكريم، صلّى الله عليه وسلَّم. بالأفضليّة والتكريم، تشريفا لهم وتوقيرا، وقال في مَعْرَض الثّناء عليهم تنبيها للأُمّة وتذكيرا: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. غمر بإحسانه قلوبنا بمحبّتهم. وأعاذنا من جهل مفهوم عَلِيِّ درجتهم .

فحظُّنا حُبُّ آلِ بيتِ محمّدٍ * وحُبُّهم فَرْضٌ على العبد والحرِّ

وحبّهم أَمْنٌ وحِصْنٌ وعِصمةٌ * بهم يُهْتَدى في الدّين كالأنجُمِ الزُّهْرِ

ولا يُقْبَل الإيمان إلاّ بحبّهم * وهل يَقْبل اللهُ الصلاةَ بلا طُهْرِ

وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. الذي حباه مولاه بشرف عِتْرته، وجمع أشتات الفضائل في فروعه وأَرُومَتِه، ومنحه من الفضائل في ذويه وذرّيّته. ما أربى على النجوم الدراري، وجعل بركتَهم ساريةً في الأعقاب والذراري،

أَعِدْ ذِكْرَ مَنْ روحِي فِدَاهُ فَإِنَّنِي * وَحَقِّ جَلاَلِ اللهِ فِيهِ مُهِيمُ

وَيَا حَاضِرِي نَادِي مَحَاسِنَ ذِكْرِهِ * فَكُلُّكُمُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

اللهم صلّ وسلّم وبارِك على سيّدنا محمّد. عينِ الرحمة الربانية. وعلى آله الحائزين كمال الشرف مِنْحة إلهية. وصحابته ينابيع المعارف والعلوم اللدنية. صلاةً نكون بها في الدنيا والآخرة تحت ظلّ شجرة البَضْعَة النبوية. مولاتنا فاطمة الزهراء الطاهرة النقية. المخصوصة بين نساء العالمين بشرف الأمّ والأب والبعل والذّرّيّة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيقول الحقّ تبارك وتعالى في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). أيّها المسلمون. نحن بحاجة إلى معرفة سيرة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومعرفةِ محاسِنِهم العظيمة. حتى نحبَّهم وتخالط محبّتُهم بشاشةَ قلوبِنا. فهم ذخيرتنا في الدنيا والآخرة. فقد أخرج الطبراني في معجميه الأوسط والصغير عن سيّدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنّما مَثَلُ أهلِ بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تَخلَّف عنها غَرِق)). وهم الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم محلّ وصيّته. كما في الحديث الذي أخرج الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده والبيهقي وابن حبّان وابن خزيمة في صحيحيهما وابن كثير في تفسيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: ((قام رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مَكَّة والمَدينَةِ فحَمِدَ اللهَ وأثْنى عَليهِ ووَعَظَ وذَكَّرَ ثمّ قالَ: أمّا بَعدُ! ألا أيّها النّاسُ فإنَّما أنا بَشَرٌ يُوشَكُ أنْ يأتيَ رَسولُ رَبّي فأُجيبُ، وأنا تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْن؛ أوَّلُهُما كِتابُ اللهِ فيهِ الهُدى وَالنُّورُ، فَخُذوا بِكِتابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكوا بهِ. فَحَثَّ على كِتابِ اللهِ ورغَّبَ فيهِ ثُمّ قالَ: وأهْلُ بَيتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي)). فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحبَّهم. ونتّقي الله فيهم. ونربّي أبناءنا على محبّتهم. ففي الحديث الصحيح: ((أَدِّبُوا أَوْلاَدَكُمْ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ. حُبّ نَبِيِّكُمْ، وَحُبّ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)). لهذا كان لزاما على كل مسلم أن يلمّ بشيء من حياة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى يحبّهم قلبُه طوعا ودون أيّ تكلّف. فيكون في زمرة الناجين. الداخلين في عموم قَوْل النبي صلى الله عليه وسلم: ((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)). أيّها المسلمون. ففي مثل بداية شهرنا هذا. أعني شهر صفر من السنة الثانية للهجرة. تمّ زواج مولاتِنا فاطمة الزهراء. بنت سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. من سيّدنا الإمام علي بن أبي طالب. كرّم الله وجهه ورضي عنه، فالحديثُ عنها. رضي الله عنها. شيّقٌ وجميل، لقد زَكَتْ قَوْلاً وفِعْلا، وسمت فَرْعا وأصلا. ورحم الله الشاعر إذ يقول في مدحها:

المجد يشرق مِنْ ثلاث مطالع * فى مهد فاطمة فما أعلاها

هي بنت مَنْ هي زوج مَنْ هي أمّ مَنْ * مَنْ ذا يُداني في الكمال أباها

أبوها رحمة الله للعالَمين، والمِنَّةُ الكبرى على المؤمنين، سيّدنا ومولانا محمد. صلى الله عليه وسلم. أمّها السيّدةُ خديجة الكبرى. رضي الله عنها. أكرمها الله

بأعلى وسام، فأهداها من حضرته العلية التحية والسلام. فِفِي الصَّحيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي. وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ)). زوجها أسد الله الغالب. سيّدنا علي بن أبي طالب. كرّم الله وجهه ورضي عنه. وأمّا أولادها فهما السيّدان الكريمان. سيّدا شباب أهل الجنّة. سيّدنا الحَسَن، وسيّدنا الحسَيْن. والمُحسِّنْ الذي توفي صغيرا. وبناتُها فَهُنّ زينب وأمّ كلثوم ورقيّة. ولهم مكانةٌ في قلب نبيّنا صلى الله عليه وسلّم مرموقةٌ عَلِيَّة. أولئك هم أفرادُ بيتها الطاهر، رضي الله عنهم أجمعين. أيّها المسلمون. وُلدت سيّدتُنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها في مكة بلدِ الله الحرام، قبل البعثة بخمسة أعوام، لعشرين من جمادى الآخرة. وسمّاها أبوها صلى الله عليه وسلم فاطمة. لأنّ الله فطمها ومحبّيها من النار. قال الخطيب البغدادي في تاريخه وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة وفي سُنَن الأقوال والأفعال: روى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((إنّما سُمِّيَت فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار)). وتسمّى الزهراء. لحسنها وزُهرة لونها. ولُقِّبَت أيضا بالبتول. لانقطاعها للعبادة فيما تفعل وتقول، وكنّاها الرسول صلى الله عليه وسلم بأمّ أبيها. لما كان يجدُ عندها من حنان وعطف أُودع فيها. نشأت رضي الله عنها في بيت النبوّة. فطُبِعت على أخلاقٍ رضيّة. وشمائلَ نبويّة. وأخلاق محمّديّة. أَوْلاها رَبُّها من الخيرات ما أولاها. فرضي الله عنها وأرضاها. ولما بلغ سِنُّها الثامنة عشر. تقدّم لِخِطْبتها أكابرُ الصحابة كساداتنا أبي بكر وعمر. فردّهم صلى الله عليه وسلم ردّا جميلا، و أخبرهم أنّه ينتظر في أمر زواجها تنزيلا. وقد اختصّ اللهُ بذات الشرف والمناقب. سيّدَنا الإمامَ علي بن أبي طالب. فنال بذلك أغلى أمانيه وأعلى، حين قال له الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مرحبا وأهلا. فيا لله مِنْ عَقْد مبارك. شهده كبارُ الصحابة. أُولِي الفضل والنجابة. النبي صلى الله عليه وسلّم فيه هو الوَلِي، والزوجُ هو الإمام علي، والزوجةُ هي سيّدتُنا الزهراء ذاتُ القَدْر العلي. وكان ذلك في بداية شهر صفر من السنة الثانية للهجرة. كما في السيرة النبوية لابن كثير. وما إن أخذت مكانها في البيت الجديد. بجانب زوجها صاحب الحظّ السعيد. حتى أقبل صلى الله عليه وسلم ليطمئنَّ عليهما. فدعا الله أن يبارِك لهما. ويجمع شملهما. ويرزقهما ذرّيّةً طيّبةً مباركة. فاستجاب الله دعاء نبيّه. وأخرجَ منهما الكثير

الطيّب، فكان منهما امتدادُ النسب النبوي الشريف، وفي العام الثالث من الهجرة. رزقهما الله بطِفْلهما البِكر. سيّدنا الحسن. وكان أولَّ ما وصل إلى سمعه عند وضعه. صوتُ جدِّه سيّدَ الأكوان. صلى الله عليه وسلم حيث رتّل في أُذنه الأذان، وقبل أن يكمل العامَيْن. وضعت سيّدتُنا الزهراء شقيقَه سيّدَنا الحسين. فَسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بهاذين الغلامَيْن المباركَيْن. وقد شاء الله تعالى أن تكون ذريةُ سيّدِنا المصطفى صلى الله عليه وسلم من سيّدتنا فاطمة وسيّدنا علي، فقد أخرج الطبراني والخطيب البغدادي عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((إنّ الله تعالى جعل ذرّيّة كل نبي في صلبه. وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب)). أيّها المسلمون. ولما أكملَ الله برسوله صلى الله عليه وسلّم هذا الدين. ونزل قوله تعالى: ((اليوم أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا)). فلم تمض إلا مدّة يسيرة بعد عودته صلى الله عليه وسلّم من حجّة الوداع. حتى أَلمَّت به وعكةٌ شديدة. فجاءت إليه سيّدتنا فاطمة قلقةً مسرعةً. فلمّا رآها مقبِلةً هشّ للقائها. وأقعدها عن يمينه. وسارَّها بدنوّ أجله. فبكت خوفا من الفراق، ثم سارَّها بأنّها أوّل أهله لحوقاً به. فضحكت فرَحاً بالتلاق. وانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى. وحزنت عليه حُزْنا لا يَبْلى. ووقفت على قبره الشريف. وأخذت حفنةً من تراب ضريحه. تشمّه وتهنأُ بريحه. وقالت:

ماذا على مَنْ شَمّ تربةَ أحمدٍ * ألا يشمَّ مدى الزمانِ غواليا

صُبَّت عَلَيَّ مصائبٌ لو أنّها * صُبّت على الأيّامِ عُدن لياليا

ثم عادت إلى بيتها حزينة متألِّمة، ولم تُرَ بعد ذلك متبسِّمة. حتى فاضت روحُها إلى باريها. بعد ستّة شهور من انتقال أبيها. صلى الله عليه وسلّم. ودُفِنت في البقيع على أصحّ القولَيْن، وقيل دفنت في بيتها. وكانت وفاتُها رضي الله عنها يوم الإثنين الثاني من رمضان في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية. وكان عُمُرُها حينذاك ثمانية وعشرين عاما. وقيل ثلاثون. أيّها المسلمون. وقد اختصّ الله تعالى سيّدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها بخصائص عديدة. ومزيا فريدة. فمن خصائصها أنّها بَضْعةُ المصطفى صلى الله عليه وسلّم. يبسطُه ما يبسطها. ويريبه ما يريبُها. ويؤذيه ما يؤذيها. ومن خصائصها كما ورد في صحيح السنّة. أنّها سيّدةُ نساء أهل الجنّة. وجاء في حديث آخر أنّه صلى الله عليه وسلّم قال لها: أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين. ومن خصائصها التي اختُصَّت بها من بين النساء.

أنّه كان لا يُرَى لها دَمُ حيضٍ ولا نفاس. فلم تفتْها بسبب ذلك صلاة. ومن خصائصها ما اختصّ الله به زوجها من فضل مبين. حيث قال لها سيّدُ المرسلين. صلى الله عليه وسلم: زوجُك سيّدٌ في الدنيا. وإنّه في الآخرة لمن الصالحين. ومن خصائها أنّها كانت أحبَّ أهله إليه. وأحظاهم لديه. إذا أقبلت استقبلها بالترحيب. وأجلسها منه مجلس الحبيبِ من الحبيب. ومن خصائصها أنّ مَنِ اتّصل بها بسبب أو نسب. فقد أدلى بسبب لا ينقطع إلى سيّد العجم والعرب، قال صلى الله عليه وسلم: ((كلُّ سببٍ ونسب منقطعٌ يومَ القيامة إلا سببي ونسبي)). ومن خصائصها أنّها هي وزوجها وولدَيْها رضي الله عنهم أهل بيت النبيّ الطاهر. صلى الله عليه وسلم. الذين اختصّهم الله بالشرفِ الباهر. وقال في تخليد الثناء عليهم إكراماً وتوقيراً: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). ومن خصائصها إظهار فضلِها لأهل الموقف عامّة. حين ينادي المنادي: أيّها الناس. غضُّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة. رضي الله عنها وأرضاها. فمناقبُ سيِّدتِنا فاطمة الزهراء. وسيرة حياتها المفضَّلة. بحرٌ عميق لا ساحل له. يمتدّ من بحر أبيها سيّدِنا محمد صلى الله عليه وسلم. وفي هذا القَدْر كفايةٌ. لِمَنْ كتب الله له الهداية. اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليها. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْها. اللهم صلِّ وسلِّم على أبيها الأمين. سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم بحقّ هذا النبي المرسول. وبحقّ سيّدتنا فاطمة البتول. أمّ أبيها الزهراء بنت الرسول. وأبنائها الفحول. أسمعنا هذا النداء: غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة. واجعلنا من رفقائها السعداء. وزدنا حُبّا فيها. وزدها حُبّاً فينا. واجعلنا ممّن احتمى بحماها. وتمسّك بأوثق عراها. ودخل حصنها الحصين وتحت لواها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

06- تبسيط الكلام لإرشاد العوام إلى معرفة أبناء وبنات سيّد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه، واستوجبه على جميع خلقه، الذي ناصية كل شيء بيديه، ومصير كل شيء إليه، القويّ في سلطانه، اللطيف في جبروته، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، خالق الخلائق بقدرته، ومسخِّرَهم بمشيئته،

وَفِيُّ العهد، صادق الوعد، شديد العقاب، جزيل الثواب. فسبحانه من إله أوجب على عباده الإخلاص في العبادات، والنصح في المعاملات، وأداء الأمانات، وجعل الأولاد والأحفاد والزوجات، والإخوة والأخوات، أمانة في يد القائمين عليهم من جملة الأمانات، يُسألون عنهم يوم القيامة كما يُسألون عن سائر الواجبات والمحرَّمات، وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو عِلم يُنتَفَع به، أو ولدٌ صالح يدعو له بعد الممات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنعمَ على خلْقه فجعَلهم ما بين مولودٍ ووالِد، وهو الغنيّ بذاته فلم يتّخذ صاحبةً ولا ولدًا ولم يكن له فيما مضى والِد، وعد الصالحين المصلِحين بالفوز والفلاح، وحفظهم في ذرّيّاتهم وذويهم بالتقوى والبرّ والصلاح، ووعدهم بجمْع الشمل وقُرّة العين في دار القرار، فقال في سورة الرعد: ((جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءابَائِهِمْ وَأَزْوٰجِهِمْ وَذُرّيَّاتِهِمْ وَالمَلَٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مّن كُلّ بَابٍ. سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ ٱلدَّارِ)). وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أصلح من هذه الأمّة أمْرها، وأظهر للعالمين فخْرها، ودلّها على الله بمكارم الأخلاق، وما ترك خصلة من الخير إلا ذكَرها، ولا خصلة من الشر إلا وحذّر الأمّة عنها وزجرها. الداعي إلى الله جهرا وإسرارا ، والمنزَّل عليه قوله تعالى في سورة التحريم:((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)).

يا أمّة المصطفى الموصوفِ في الكتبِ * إن شئتُمُ أن تنالوا النُّجْحَ في الطلبِ

وتَسْلَمُوا من شرور العُجْمِ والعَرَبِ * صلّوا على خير مرسولٍ وخير نَبِي

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. الذي برؤية وجهه السعيد تحصل الآمال. وتبلغ النفوس الشائقة مناها. وعلى آله الحائزين من المناصب العالية أسناها. وصحابته الراقين من سُنَمِ ذُرَى المجد أسماها. صلاة تهب لنا بها من محاسن الأخلاق أزكاها. وترسل بها علينا من سحائب الخيرات أنداها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة النساء: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)). لقد امتنَّ اللهُ على عباده بنعمة الذرية, فرزَقَهُم من أصلابهم بنينَ وحفدة. يأتمرونَ بأمرهم. ويسْعونَ في مرضاتِهم. ويَشُدُّون بهم ظهورَهُم. ويحمِلون ذكْرَهم من بعدهم. وهذه من أعظمِ النعمِ والفضائلِ. التي تفضَّلَ بها الله

عزّ وجلّ على عباده، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى في سورة النحل مبيّناً هذه النعمة: ((وَاللَّـهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّـهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)). ونعمة الأبناء من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان في هذه الحياة. تلكم المنحة الإلهيّة، والهبة الربّانية. لقول الله عزّ وجلّ في سورة اشورى: ((لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)). ومن أعظمِ الدلائلِ على عظمةِ نعمةِ الذرية حال من حُرِمَهَا. فجعله الله عقيماً لا يُولَد له. فتراهُ يهرعُ إلى هنا وهناك. يطلبُ علاجاً لعلّه يُرزَقُ ولداً. فالنعمةَ لا يعرفها على حقيقتها. ولا يُقدِّرها قدرها إلا مَن حُرِمَها. وقاسى آلامَهَا وأحزانَها. ونجد في القرآن الكريم صُوَرا حيّة مُشْرِقة، لقلوب متلهّفة محترِقة، للهفة الأبوّة على البنوّة، تتمسّك بها بكلّ ما أوتيت من قوّة، رغبة في نيلها، وحرصا على خيرها، واهتماما بفوزها وصلاح أمرها. ولا عجب في ذلك كلّه، إذا استمعنا إلى قول الله تعالى في سورة الكهف: ((المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا)). فحبّهم فطرة بلا ريب أو مين، جعلهم بردا للكبد وقرّة للعين. ولهذا كان دعاء المؤمنين كما قال تعالى في سورة الفرقان: ((وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)). وقال تعالى في سورة الصّافّات عن خليله إبراهيم عليه السلام: ((رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)). وقال تعالى في سورة الأنبياء: ((وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)). ولما كانت نعمة الأبناء تسرّ الوالدين بشّرت الملائكة بهم رُسُل الله من البشر وزوجاتهم. قال تعالى في سورة مريم: ((يَا زَكَرِيَّاءُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى)). وقال تعالى في سورة هود عن امرأة سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام: ((وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)). ولهذا ذمّ الله تعالى مَن تبرّم مِن الأنثى واستثقلها. لأنّه تعالى هو الذي وهبها كما وهب الذكر. والحياة لا تستمر إلا بالذكر والأنثى معًا. فقال تعالى النحل: ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)). أيّها المسلمون. وشاءت حكمة الله البالغة أنّ مِن عباده مَن جعل ذرّيّته إناثًا، ومِنهم مَن جعل ذريّتَه ذكورًا، ومِنهم مَن منحَه الجنسَين

الذكورَ والإناث، ومِن عباده مَن جعَله عَقيمًا لا يولَد له، وكلّ ذلك بحِكمتِه وعدله. ورحمتِه وكمالِ عِلمه، وكان من حِكمتِه تعالى أنّه أعطى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكورًا وإناثًا، وما عاش له من الولد إلا البنات، قال الشيخ محمد الفضَالي الأزهري في رسالته (كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام): قال العلماء: وينبغي أن يعرف كل شخص عدّة أولاده صلى الله عليه وسلم. وترتيبهم في الولادة. لأنّه ينبغي للشخص أن يعرف ساداته. وهم سادات الأمّة. لكن لم يصرّحوا فيما رأيت بوجوب ذلك أو ندبه. لكن قياس نظائره الوجوب. وأولاده صلى الله عليه وسلم سبعة. ثلاثة ذكور وأربعة إناث. على الصحيح. وقد نظّم بعضهم أولاده صلى الله عليه وسلم على ترتيبهم في الولادة. وذيّلها ببيت ذكر فيه أنّ كلهم من سيّدتنا خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها. إلا سيّدنا إبراهيم فمن مارية القبطية. فقال:

أولادُ طه قاسمٌ فزينـبٌ * رُقَيّةٌ ذاتُ الجمالِ الباسِمهْ

فأمُّ كُلثومٍ ففاطمٌ فعبـ*ـد الله إبراهيمُ وَهْو الخاتمهْ

وأمّهمْ خديجةٌ اِلاّ ابْرَهَمْ * فأمّه ماريةٌ كُنْ عالِمَهْ

فسيدنا القاسم هو أكبر أولاد النبي صلى الله عليه وسلم. وبه كان يُكَنّى. فهو أوّل أولاده صلى الله عليه وسلم. لهذا كان صلى الله عليه وسلم مشتهراً بأبي القاسم، وُلِد بمكة قبل النبوة. ومات بها. روى البخاري في تاريخه الأوسط من طريق سليمان بن بلال عن هشام بن عروة رضي الله عنه: أنّ القاسم مات قبل الإسلام. وقد بلغ سبعة عشر شهراً. وهو أوّل من مات من ولده صلى الله عليه وسلم. ثم سيدتنا زينب. فهي بعد سيدنا القاسم في الولادة، وهي أكبر بناته صلى الله عليه وسلم. وكانوا يسمّونها زينب الكبرى تمييزا لها عن زينب الحفيدة ابنة شقيقتها السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها. وُلِدت سيدتنا زينب بمكة قبل البعثة بعشر سنوات. وتزوّجها سيدنا العاص بن الربيع وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد. وولدت له عليّا وأُمامة. فأمّا علي فمات مراهِقا. وأمّا أُمامة تزوّجها الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة خالتها بوصية من السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها. وتوفيت السيدة زينب بالمدينة المنورة سنة ثمان للهجرة. ودُفِنت بالبقيع. رضي الله عنها. ثم سيدتنا رقية. وُلدت بمكة قبل البعثة بسبع سنوات، تزوّجها سيدنا عثمان

بن عفان رضي الله عنه. وولدت له عَبْدَ الله. توفي بعد أمّه. وقد بلغ ستّ سنين. نقره ديك في عينه، فورم وجهه فمات، وتُوفيّت السيدة رقية رضي الله عنها بالمدينة المنورة في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، يوم قدوم سيدنا زيد بن حارثة بشيرًا بنصْر رسول الله صلى الله على وسلم في غزوة بدر وقتْل وأسْر كفار قريش. ولمّا عُزِّيَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الحمد لله دَفْن البنات من المكرُمات)). ودُفِنت بالبقيع. رضي الله عنها. ثم سيدتنا أُمّ كُلثوم. وُلِدت بمكة بعد أختها السيّدة رقية رضي الله عنها، وشاء الله أن يتزوّجها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد وفاة السيدة رقية رضي الله عنها. ولهذا سُمِّيَ ذا النُّورَيْن. فلمّا ماتت رضي الله عنها تأسّف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصاهرته فقال: ((والذي نفسي بيده، لو كان عندي ثالثة لزوّجتُكَها يا عثمان)). وكانت وفاتها رضي الله عنها بالمدينة المنورة في شهر شعبان سنة تسع للهجرة، ودُفِنت بالبقيع. رضي الله عنها. أيّها المسلمون. ثم أصغر بنات النبي صلى الله عليه وسلم مولاتنا وسيدتنا فاطمة الزهراء. وُلدت بمكة قبل البعثة بخمسة أعوام، قال الخطيب البغدادي في تاريخه وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة وفي سُنَن الأقوال والأفعال: روى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((إنّما سُمِّيَت فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار)). وتسمّى الزهراء لأنّها زهرة أفضل الخلق بلا مراء، وتُسَمّى البتول من التبتّل وهو القطع. لانقطاعها عن الدنيا إلى الله. وقيل لانقطاعها عن نساء زمانها حسبا ودينا. وكنّاها الرسول صلى الله عليه وسلم بأمّ أبيها. لما كان يجدُ عندها من حنان وعطف أُودع فيها. وكأنّها أمّه صلى الله عليه وسلم فوق كونها ابنته الصغرى الحبيبة الغالية. فكانت أحب أهله صلى الله عليه وسلم إليه، وكان إذا أراد سفراً يكون آخر عهده بها، وإذا قدم كانت أوّل ما يدخل عليها، وبعد هجرتها إلى المدينة المنورة تزوّجها سيدنا علي بن أبى طالب رضي الله عنه في العام الثاني من الهجرة، ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب إلا منها، فانتشر نسله منها من جهة السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما. وبلغ من حب النبي صلى الله عليه وسلم لها أن قال كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: ((فاطمة بضعة منى أيْ جزء مِنّي. فمَن أغضبها أغضبني)). وعاشت السيدة فاطمة رضي الله عنها حتى شهدت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لحقت به بعد وفاته بستة أشهر، في الثاني من شهر رمضان من السنة الحادية عشرة من الهجرة، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها. ثم سيدنا عبد الله. وهو الملّقب

بالطيّب والطاهر. لأنّه وُلِد بعد النبوة. مات صغيرًا بمكة. ولمّا مات سيدنا عبد الله رضي الله عنه كان الْعَاص بْن وَائِل إِذَا ذُكِرَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُل أَبْتَر لَا عَقِب لَهُ. فَإِذَا هَلَكَ اِنْقَطَعَ ذِكْره. فَأَنْزَلَ اللَّه ((إِنَّ شَانِئَك هُوَ الْأَبْتَر)). أيْ مُبغضك يا أشرف الخلق كائناً مَن كان هو الذي لا عَقِب له. حيث لم يبق له نَسْل، ولا حُسْن ذِكْر، وأمّا أنتَ فتبقى ذريّتك، وحُسْن صَيْتك، وآثار فضْلك إلى يوم القيامة، لأنَّ كل مَن يُولد مِن المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذِكْرك مرفوع على المنابر، وعلى لسان كل عالم وذاكر، إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله، ويُثني بذكرك، فذِكْرك باقٍ عَلَى رُءُوس الْأَشْهَاد. وشَرْعكَ أوْجَبَه الله عَلَى رِقَاب الْعِبَاد. مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَام الْآبَاد. إِلَى يَوْم الْمَحْشَر وَالْمَعَاد. صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْك دَائِمًا إِلَى يَوْم التَّنَاد. أيّها المسلمون. ثم آخِر أولاده سيدنا إبراهيم. وُلِد بالمدينة المنورة سنة ثمان من الهجرة، وأمّه السيدة مارية القبطية رضي الله عنها، التي أهداها المقوقس حاكم مصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام السادس من الهجرة، فأسلمت، وتسرّى بها النبي صلى الله عليه وسلم، روى الإمام مسلم وأحمد وابن سعد في طبقاته عن أنس بن مالك رضي الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح، فقال: ((إنّه وُلِد لي في الليلة وَلَدٌ وإنّي سمّيته باسم أبي إبراهيم)). وروى ابن سعد في طبقاته عن أنس رضي الله عنه قال: لمّا وُلِد إبراهيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، وروى ابن سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معجَبا بمارية القبطية، وكانت بيضاء جميلة، فأنزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمّ سُلَيم، بنت مِلْحان، وعرض عليها الإسلام فأسلمت فوطأ مارية بالمِلْك، وحوّلها إلى مالٍ له بالعالية، كان من أموال بني النضير، فكانت فيه في الصَّيْف وفي خرافة النخل، فكان يأتيها هناك، وكانت حسنة الدين وولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فسمّاه إبراهيم، وعقّ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة يوم سابعه، وحلق رأسه فتصدّق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدُفِن في الأرض، وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت إلى زوجها أبي رافع، فأخبرته بأنّ مارية ولدت غلاما فجاء أبو رافع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشّره فوهب له عبدا، وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتدّ عليهنّ حين رُزِق منها الولد. ولمّا وُلِد سيدنا إبراهيم رضي الله

عنه تنافست فيه نساء الأنصار أيّتهنّ ترضعه. وأحببن أن يُفْرِغوا مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا يَعْلمنَ مِن مَيْله إليها، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمِّ سَيْف امرأة قَيِّنٍ أيْ حدّاد بالمدينة المنورة، يقال له أبو سيف، فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني مازن بن النجار، وترجع به إلى أمّه، وأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من نخل. وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع سيدنا إبراهيم إلى أمّ سيف امرأة قيّنٍ بالمدينة، يقال له أبو سيف، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعته حتى انتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره، وقد امتلأ البيت دخانا، فأسرعت في المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهيت إلى أبي سيف فقلت: يا أبا سيف، أمسِك، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدعا بالصبي فضمّه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول. وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أيضا أنه قال: ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إبراهيم مسترضَعا في عوالي المدينة، فكان يأتيه ونجئ معه فيدخل البيت وإنه ليدخّن قال: وكان ظِئره قيّنا فيأخذه فيقبّله ثم يرجع. قال الواقدي: توفي سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر شهراً؛ في شهر ربيع الأول سنة عشر للهجرة. وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف، فأتى به النخل الذي فيه إبراهيم، فإذا ابنه إبراهيم في حجر أمّه يجود بنفسه، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره، ثم قال: ((يا إبراهيم، إنّا لا نُغني عنك من الله شيئاً)). ثم ذرفت عيناه، ثم قال: ((يا إبراهيم، لولا أنّه أمر حق، ووعْد صِدق، وأنّ آخرنا سيلحق أوّلنا، لحزنّا عليك حُزناً هو أشدّ من هذا، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب)). وروى ابن ماجه والحكيم الترمذي عن أنس رضي الله عنه لمّا قُبِض إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُدْرِجوه في أكفانه، حتى أنظر إليه)). فأتاه فانكبّ عليه وبكى. وصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: ((ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون))، ودفنه بالبقيع. وروي ابن سعد: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على شفير قبر ابنه فرأى فرجة في اللحد، فناول الحفار مدرة وقال:((إنّها لا تضرّ ولا تنفع ولكنها تقرّ عين الحي))، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوّي بإصبعه، ويقول: ((إذا عمل أحدكم عملا فليتقنه، فإنّه مما يسلّي

بنفس المصاب)). وروى الشيخان عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: انكسفت الشمس يوم موت إبراهيم فقال الناس: لموت إبراهيم، فقال صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة)). وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما لمّا مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ له مرضعا في الجنّة، ولو عاش لكان صدّيقا نبيّا، ولو عاش لعتقتُ أخواله القبط وما استرقّ قبطي)). وروي عن أُبَي بن كعب بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((استوصوا بالقبط خيرا، فإنّ لهم ذِمّة ورَحِمًا)). اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليهم. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْهم. اللهم صلِّ وسلِّم على أبيهم الأمين. سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليهم. فسلام عليهم يوم وُلِدوا ويوم توفّوا ويوم يبعثون أحياءً. واجعلنا من رفقائهم السعداء. وزدنا حُبّا فيهم. وزدهم حُبّاً فينا. واجعلنا ممّن احتمى بحماهم. وتمسّك بأوثق عراهم. ودخل حصنهم الحصين وتحت لواهم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

أهل بيت الرسول ﷺ

01- مواهب الرّبّ بنيل الأرب في كشف بعض مناقب سيّدة الأمّهات مولاتنا آمنة بنت وَهْب

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما. وأحصى كل شيء عددا. عظّم الأشهر الحُرُم وجعل منها شهره الحرام رجب. وفخّم قدره في الأعصر الخالية وأوجب فخره في الإسلام فوجب. سمّاه رجبا ولقّبه بالأصمّ إذ لا يُسْمَع فيه قعقعة سلاحٍ بين العرب. ورواه بالبر وصبّ فيه الرحمة فلقّبه بالأصب. أكثر فيه النعمة. وأزال فيه الغمّة. وأجاب فيه مَنْ طلب. فسبحانه من إله اختصّ ما شاء من الشهور بما شاء من الفضائل وأخفى ذلك عن الإدراك. حتى تهتمّ نفوس الطالبين وتشتغل هِمَمُ الراغبين في كل أوقاتها بالإستدراك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إصطفى عنصر نبيّه الطاهر صلى الله عليه وسلم من أطيب العناصر. وانتقى نسبه الفاخر من أكرم الأواصر. وشرّف به أبوَيْه الطاهرَيْن. وخصّهما بظهور طلعته التي هي أبهج المناظر. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. إجتباه ربّه وحماهُ منَ الدنّسِ والرّجسِ. وطهّرهُ تطهيراً. واختار لحمله بطونا وظهورا. ونقل نورهُ من الأصلابِ الطاهرة إلى الأرحام الزكية. تَعظيماً لهُ وتوقيراً. إلى أن خرج من بطن أمّه نورا أضاء لها من الشام قصورا. وابتهج الكَوْن بمقدمه فرحا وسرورا .

لهُ النسبُ العالي فليسَ كمثْلهِ * حسيبٌ نسيبٌ مُحْسِنٌ مُتكرّمُ

جليلٌ بتاجٍ للجمالِ مُخصَّصٌ * جميلٌ بآلاءِ البهاءِ مُعَمَّمُ

فما الكوْنُ إلاّ حُلَّةٌ ومُحَمَّدٌ * طِرازٌ بأعلامِ الهِدايةِ مُعْلَمُ

فصلّوا على الرُّسْلِ الكِرامِ جميعِهِمْ * وزيدوا على طهَ الصلاةَ وسلِّمُوا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا محمّد. درّة الأكوان. وهديّة الرحمان. وعلى آله البدور الحسان. وصحابته الليوث الشجعان. صلاة تختم لنا بها بخاتمة السعادة والإيمان. وتكسونا بها ملابس الرضى والرضوان. وتسكننا بها مع مَنْ أنعمتَ عليهم أعالي الفراديس وفسيح الجنان. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. قد أظلّنا شهر عظيم مبارك، إنّه شهر رجب، أوّل الشهور الحُرُم، التي قال الله عنها في سورة التوبة: ((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ

الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ)). وهذهِ الأربعةُ الحُرُمُ بيَّنَها النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم في حجَّةِ الوداعِ. كما في الحديث المتّفَق عليه. فعَنْ أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قالَ: ((إنَّ الزّمانَ قَدِ استدارَ كهيئتِه يومَ خلقَ اللهُ السّمواتِ والأرضَ. السَّنَةُ اثنا عَشَرَ شهراً. مِنْها أربعةٌ حُرُمٌ. ثلاثةٌ متوالياتٌ: ذو القَعْدَةِ وذو الحِجَّةِ والمحرَّمُ. ورجبٌ مُضَرَ. الذي بينَ جُمادَى وشعبانَ)). وسمّي رجب مضر. لأنّ مضر كانت لا تغيّره. بل توقعه في وقته. بخلاف باقي العرب. الذين كانوا يتلاعبون في الشهور. وهو النسيء المذكور في قوله تعالى في سورة التوبة: ((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ الله)). أيّها المسلمون. إنّ أعظم نعمة نتذكّرها في بداية هذا الشهر الميمون. هِيَ الحَمْلُ بالنور المكنون. والسر المصون. والجوهر المخزون. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. روى الخطيب البغدادي عن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه قال: لمّا أراد الله تعالى خَلْق سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم في بطن أمّه آمنة ليلة رجب. وكانت ليلة جمعة. أمر الله تعالى تلك الليلة رضوان خازن الجنان. بفتح الفردوس وينادي مناد في السموات والأرض: ألا إنّ النّور المخزون المكنون الذي يكوَّن منه النبيّ الهادي في هذه الليلة يستقرّ في بطن أمّه. الذي فيه يتمّ خَلْقُه. ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا. فعند ذلك أُعطي لمولاتِنا السيّدة آمنة رضي الله عنها من النور والجمال. والبهاء والعفاف والكمال. ما كانت تُدْعى به سيّدة قومها. ولم يبق في تلك الليلة دار ولا مكان إلا ودخله نور. ولا دابّة لقريش إلا نطقت تلك الليلة وقالت: حُمِلَ برسول الله صلى الله عليه وسلم وربِّ الكعبة. وهو أمان الدنيا وسراج أهلها. وبارك الله لعباده ببركة الحمل به صلى الله عليه وسلم في الزرع. حتى كثُر الخير ودرّ الضرع. وصار الخير يتوالى بتوالي أيّامه الميمونة. والبركات تُفاض وبالمسرّات مقرونة. ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيته مهنّئا السيّدة آمنة رضي الله عنها بهذا الشرف الأكبر والتمييز الأظهر بسبب حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم :

فَهَنِيئاً بِهِ لآمِنَةَ الْفَضْـ*ـــلُ الذِي شُرِّفَتْ بِهِ حَوَّاءُ

مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّهَا حَمَلَتْ أَحْـ*ـــمَدَ أَوْ أَنَّهَا بِهِ نُفَسَاءُ

يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ * مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءُ

وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا * حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ

أيّها المسلمون. هذه وقفة مع هذه الشخصية العظيمة. والأمّ الجليلة. التي طالما نقّصت المصادر والراويات عنها، ويمكن أن نلمس ملامحها من خلال صورة ابنها العظيم. صلى الله عليه وسلم الذي آوته أحشاؤها، وغذّاه دمها، واتّصلت حياته بحياتها، تندرج سيّدتنا آمنة بنت وهب رضي الله عنها من أسرة آل زُهْرة. ذات الشأن العظيم، فقد كان أبوها وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي سيّد بني زهرة شرفا وحسبا، ولم يكن نسب سيّدتنا آمنة رضي الله عنها من جهة أمّها دون ذلك عراقة وأصالة. فهي آمنة بنت بَرّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي. ويؤكِّد هذه العراقة والأصالة بالنسب إعتزاز الرسول صلى الله عليه وسلم بنسبه. فقد أخرج أبو نُعَيم في دلائل النبوّة من طُرُق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيّبة. إلى الأرحام الطاهرة. مصفىّ مهذَّبًا، لا تتشعّب شعبتان إلا كنت في خيرهما)). وقال أيضا: ((أنا أنفَسُكم نسبا وصهرا وحسبا)). وذلك على رواية فتْح الفاء في قوله تعالى في سورة التوبة: ((لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفَسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)). ورحم الله الإمام البوصيري حيث قال. وأفصح في المقال :

نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلاَ بِحُلاَهُ * قَلَّدَتْهَا نُجومَهَا الْجَوْزَاءُ

حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدَدٍ وَفَخَارٍ * أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

فهي رضي الله عنها تلتقي في النسب مع إبنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة آبائه في كلاب. نشأت رضي الله عنها في أسرة عريقة النسب، مشهود لها بالشرف والأدب، اتّسمت بالبيان، وعُرِفَت بالذكاء وطلاقة اللسان، وتعدّ أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانة. تفتّح صباها في أعزّ بيئة وأطيب منبت. فاجتمع لها من أصالة النسب ورفعة الحسب، ما تزهو به في ذلك المجتمع المكي. المعتزّ بكرم الأصول ومجد الأعراق. فكانت رضي الله عنها تُعْرَف بزَهْرَة قريش. فهي بنت سيّد بني زهرة نسبا وشرفا، وقد ظلّت في خِدْرِها محجّبة عن العيون. مصونة عن الإبتذال، حتى ما يكاد الرواة يتبيّنون ملامحها. أو يتمثّلونها في صباها الغضّ،

والذي يعرفه المؤرّخون عنها أنّها عندما خُطِبَت لعبد الله بن عبد المطلب كانت يومئذ أفضل فتاة في قريش نسبا وموضعا. وقد وصف ابن هشام السيّدة آمنة رضي الله عنها في سيرته: أنّها كانت يومئذ أفضل فتاة في قريش نسبا وموضعا وجاها وجمالا وكمالا. ووِفْقا لتقاليد العُرْف في ذلك الزمن أقام سيّدنا عبد الله مع زوجته آمنة في بيت أهلها ثلاثة أيام. وكان ذلك في ليلة الجمعة من أوّل رجب في شِعْب أبي طالب. فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم في أوّل ليلة زفافها. وروى ابن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمّه، والبيهقي عن ابن إسحاق رحمهما الله تعالى قال: كنّا نسمع أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة كانت تقول: ما شعرت أنّي حملت به ولا وجدت ثقله كما تجد النساء إلا أنّني أنكرت رَفْع حيضتي. وربما ترفعني وتعود. وأتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال لي: هل شعرت أنّك حملت؟ فأقول: ما أدري. فقال: إنّك حملت بسيّد هذه الأمّة ونبيّها. ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال قولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد. فإذا وضعته فسمّيه محمدا. وآية ذلك: أنه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، ولم تطل إقامة سيّدنا عبد الله مع السيدة آمنة، بل اضطرّ لتركها وهي حامل. عندما بعث به والده عبد المطلب في رحلة تجارية إلى الشام. وفي طريق عودته مرض فمرّ بأخواله بني عدي بن النجار في المدينة المنورة. فأقام عندهم شهرا يعانون سُقْمه وشكواه. فتوفي ودفن هناك. ورسول الله صلى الله عليه وسلم له شهران من الحمل. ولم يكن أمام السيّدة آمنةُ بنت وهبٍ سوى أنْ تتحلّى بالصبر على مصابها الجلل، الذي لم تكن تصدّقه حتى إنّها كانت ترفض العزاء في زوجها، ووجدت في هذا الجنين مواساة لها عن فراق زوجها، ووجدت فيه مَنْ يخفّف عنها أحزانها العميقة. وتتكرّر الرؤى عند السيّدة آمنة. وبعد تسعة أشهر من الحمل جاءها المخاض. فكانت وحيدة ليس معها أحد. ولكنها شعرت بنور يغمرها من كل جانب، وخُيِّل لها أنّ مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وهاجر أمّ إسماعيل كلهنّ بجنبها، فأحسّت بالنور الذي انبثق منها، ومن ثَمَّ وضعت وليدها كما تضع كل أنثى من البشر،

وُلِد الهدى فالكائنات ضياء * وفم الزمان تبسّم وثناء

الروح والملأ الملائك حوله * للدين والدنيا به بُشَراء

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي * والمنتهى والدرة العصماء

وهنا اكتملت فرحة السيّدة آمنة فوليدها بجوارها، ولم تعد تشعر بالوحدة التي كانت تشعر بها من قبل. وفرح الجدّ عبد المطلب بحفيده، وشكر الرب على نعمته العظيمة. وبعد بضعة أيام جفّ لبن السيّدة آمنة بسبب ما أصابها من الحزن والأسى لموت زوجها الغالي عليها. فأعطته للسيّدة حليمة السعدية لترضعه، وفي الفترة التي عاشها صلى الله عليه وسلم عند حليمة حدثت له حادثة شقّ الصدر التي فزعت النفوس بها. أيّها المسلمون. وحان الوقت الذي كانت السيّدة آمنة تترقّبه. حيث بلغ ولدها السادسة من عمره. بعد العناية الفائقة به. وظهرت عليه بوادر النضج. صحبته إلى أخوال أبيه المقيمين في المدينة المنورة. لزيارة قبر أبيه سيّدنا عبد الله. وفي رجوعها مرضت مرضا شديدا. ((وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)). كما قال تعالى في سورة ق. ووافتها المنية بالأبواء. ودفنت هناك. رضي الله تعالى عنها وأرضاها. قال تعالى في سورة الاعراف: ((فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)). فحضنته أمّ أيمن بركة الحبشية. ورجعت به إلى جدّه عبد المطلب. فاعتنى به عناية قوية. وظلّ النبيّ عليه الصلاة والسلام يذكر أمّه حتى كانت حجّة الوداع. ففي كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للصالحي الشامي قال: روى أبو حفص بن شاهين والمحبّ الطبري في سيرته والدارقطني وابن عساكر عن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: حجّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجّة الوداع، فمرّ على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتمّ، فبكيت لبكائه، ثم إنّه طفق أي شرع يقول: ((يا حميراء إستمسكي، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عنّي طويلا ثم عاد إليّ وهو فرح مبتسم، فقلت له: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتمّ فبكيت لبكائك، ثم إنّك عدت إليّ وأنت فرح مبتسم فممّ ذاك؟ قال: ذهبت لقبر أمّي فسألت ربّي أن يحييها، فأحياها فآمنت بي وردّها الله تعالى)). وروى السهيلي في (الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام) عن عروة بن الزبير عن السيدة عائشة رضي الله عنها: ((أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربّه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما)). وقال السهيلي بعد إيراده هذا الحديث. والله قادر على كلّ شيء. وليس تعجز قدرته ورحمته عن شيء. ونبيّه عليه السلام أهل أنّه يخصّه بما شاء من فضله. وينعم عليه بما شاء من كرامته. صلى الله عليه وسلم. وفائدة إحيائهما. مع أنّ أهل الفترة لا يعذّبون. وهي إتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة. وقال القرطبي: فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته.

فيكون هذا ممّا فضّله تعالى وأكرمه به، وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله. وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى. وكذلك نبيّنا صلى الله عليه وسلم أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى. وما أحسن ما قاله الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي. رحمه الله. في كتابه المسمّى: "مورد الصادي في مولد الهادي". بعد إيراد الحديث المذكور منشدا لنفسه :

حبا الله النبيّ مزيد فضلٍ * على فضلٍ وكان به رؤوفا

فأحيا أمّه وكذا أباه * لإيمانٍ به فضلا لطيفا

فسلِّم فالقديم بذا قديرٌ * وإن كان الحديث به ضعيفا

أيّها المسلمون. إنّ للسيّدة آمنة بنت وهب رضي الله عنها فضلا لن نحصيه. ولن تحصيه البشرية جمعاء. إنّها أهدت للكَوْن بأسره ذاك الإنسان الكامل. ذاك النور العظيم! ذاك الرحمة للعالمين! سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. طيّب الله ثراها. وجعل الفردوس الأعلى مأواها. وأمدّنا بمددها. وأعاد علينا من بركاتها. وأنشقنا نسمة من أسرار نفحاتها. فسلام الله عليكِ يا سيدة الأمّهات. ووالدة أشرف المخلوقات. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم إنّا توسّلنا إليك بأمّ سيّد الأنام. أظلّنا تحت ظلّ عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن لنا الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

02- الشّرف الأَعْلى لمن حَوَت فخرا وفَضْلا سيّدة الأمّهات عقلا ونَقْلا السّيّدة آمنة بنت وهب الفُضْلى لحَمْلها بالنّور البَهِيّ الأَجْلى صاحب القدر المُعَلَّى سيّدنا ومولانا محمد أَطْيب العالمين فَرْعا وأَصْلا مَنْ عليه الله صلَّى وعلى آله وأصحابه الأَجِلاَّ صلاةً نكون بها لِخِدمته أَهْلاً

الحمد لله الذي أطلع في أُفُق الجلال نورَ الوجود. وأبرز في حُلَل الجمال والكمال مِنْ أشرف العناصر أشرفَ مولود. ورقّاه في مدارج المعارف إلى حضرات الأُنس والشهود. واختصّه بخصائص وُدِّه وحبّه فهو مَوْدُود ربِّه الوَدُود. وجعل

شهر ربيعٍ بمولده أنور النور لظهوره فيه رحمة بهذا الوجود. فهو موسم الخيرات. ومعدن المسرّات. عند كلّ مسعود.

فَرِحَ الزّمانُ اليومَ حانَ الموْعِدُ * عادت لنا ذِكْراه عاد الموْلِدُ

وَأَطَلَّ نجمٌ في السّماءِ بنُورهِ * في مثلِ هذا الشهرِ جاء محمّدُ

وُلِدَ ابنُ عبدِ الله لَمْ يأْنَسْ بِهِ * فَهْوَ اليتيمُ له على الدّنيا يَدُ

بُشْرَى لآمنةٍ فإنّ وليدَهَا * للنّاس محمودٌ وفِيهِمْ أحمدُ

الحِلْمُ والخُلُقُ العظيمُ صِفاتُهُ * وله الكرامة والعُلَى وَالْمَحْفِدُ

قالوا الأمينَ آتَى رضينَا حُكْمَهُ * لكَ بالأمانةِ يا محمّدُ نَشْهَدُ

فَحَكمتَ في عَاصِ الأُمورِ بِحِكْمَةٍ * إنّ الأمور إلى الحكيمِ لَتُسْنَدُ

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ * مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويَشْهَدُ

وَضَمَّ الإلهُ اسمَ النّبيِّ إلى اسمهِ * إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذّنُ أشْهَدُ

وشَقَّ لهُ منِ اسمهِ لِيُجِلَّهُ * فذُو العرشِ محمودٌ وهذا محمّدُ

صلى الله عليه وسلم. وشرّف وكرّم. ومجّد وعظّم. ووالى عليه ذلك وأنعم. فسبحانه من إله إصطفى عنصر نبيّه الطاهر صلى الله عليه وآله وسلم من أطيب العناصر. وانتقى نسبه الفاخر من أكرم الأواصر. وشرّف به أبوَيْه الطاهرَيْن. وخصّهما بظهور طلعته التي هي أبهج المناظر. وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له. شرّف الأنام بصاحب المقام الأعلى. وكمّل السعود بأكرم مولود. حوى شرفا وفضلا. وشرّف به الآباء والجدود. وملأ الوجود بجوده عدلا. ونادت الكائنات ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم من جميع الجهات: أهلا وسهلا. ثم أهلا وسهلا.

بشهر ربيع قد بدا نوره الأعلى * فيا حبّذا بدرا بذاك الحمى يُجلى

أنارت به الأكوان شرقا ومغربا * وأهل السما قالوا له مرحبا أهلا

أيا مولد المختار جدّدتَ شوقنا * إلى خير مبعوث جليل حوى الفضلا

وسعدا مقيما بافتخار بمولد * له خبر عن حسنه أبدا يتلى

عليه صلاة الله ما هبّت الصبا * وما سار حاد بالنياق إلى المعلى

وأشهد أنّ سيدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّة من خلقه وخليله. إجتباه ربّه وحماهُ منَ الدنّسِ والرّجسِ. وطهّرهُ تطهيراً. واختار لحمله بطونا وظهورا. ونقل نورهُ من الأصلابِ الطاهرة إلى الارحام الزكية. تَعظيماً لهُ وتوقيراً. إلى أن خرج من بطن أمّه نورا أضاء لها من الشام قصورا. وابتهج الكون بمقدمه فرحا وسرورا.

لهُ النسبُ العالي فليسَ كمثلِهِ * حسيبٌ نسيبٌ مُحْسِنٌ مُتكرِّمٌ

أقدّمهُ في كُلِّ مَدْحٍ لأنّه * إذا كانَ مدْحاً فالنسيبُ المقدَّمُ

جليلٌ بتاجٍ للجمالِ مُخصَّصٌ * جميلٌ بآلاءِ البهاءِ مُعَمَّمُ

فما الكوْنُ إلاّ حُلَّةٌ ومُحَمَّدٌ * طِرازٌ بأعلامِ الهِدايةِ مُعْلَمُ

فصلّوا على الرُّسْلِ الكِرامِ جميعِهِمْ * وزيدوا على طهَ الصلاةَ وسلّموا

إخواني: مَنْ أراد منكم تيسير أَمْرِه وتفريج كَرْبِه. فليكثِرْ من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. فالصلاة عليه في الذنوب شافعة. وفي قضاء الحاجات نافعة. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. الذي طُهِّرَت بماء قُدْس العناية أصوله وفروعه. فهم عرائس تجلّي الكريم في حضرة الجمال. فلم يزل ينتقل من الأصلاب الطيّبة الزكية إلى الأرحام الطاهرة النقية إلى أن ظهر في عالم الوجود كريما من كريم في سائر الأطوار والأحوال. وعلى أهل بيته الواجب وُدّهم وتعظيمهم على سائر البرية من النساء والرجال. وعلى أصحابه نجوم الهداية وحملة الشرع وحماة الدين فكانوا بذلك كمّل الرجال. صلاة تغيّبنا بها في أنوار الجلال والجمال. وتلبسنا بها من رضاك ورضاه حُلّتَيّ البهاء والكمال. وتنظمنا بها في سِلْك أهل الأنس والإدلال. وترقّينا بها إلى مقامات خوّاصّ الأولياء من الأقطاب والأبدال. بفضلك وكرمك يا أرحم الرّاحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أحباب رسول الله. صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. يحق لنا أن نقول:

الْيُمْنُ أقبل نحو أُمّةِ سيِّدِي * خيرِ الوجودِ الهاشميِّ محمدِ

والسَّعْدُ جاء مُيَمِّمًا وَمُعَمِّمًا * لِجَمِيعِها مُذْ جاء شهرُ المولدِ

شهرٌ شريفٌ فائضُ البركاتِ مَيْـ*ـمُونٌ وَمَقْبولٌ كثيرُ السُّؤْدَدِي

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. نهنّئ ونبارك أنفسنا والعالم الإسلامي أجمع بمناسبة مطلع شهر ربيع الأنوار. شهر مولد الحبيب المصطفى المختار. مَنِ انفلقت من نوره جميع الأنوار. واستضاءت بنور جبينه الأقمار. وأشرقت بضياء طلعته شمس النهار. سيّدنا ومولانا محمد زَيْن المرسلين الأخيار. صلوات الله وسلامه عليه. وعلى آله الأطهار. وصحابته الأخيار. ما تعاقب الليل والنهار. ونسأل الله تعالى لنا ولهم البركة في احترامنا وعزّتنا واهتمامنا واحتفالنا بهذا الشهر الكريم. الذي يُعيد الأمل بعظمة هذه الرسالة. وعظمة صاحبها صلّى اللهُ عليْه وآله وسلم. كما نسأل الله تعالى أن يجعل رابطتنا بحبيبنا وسيّدنا ومولانا محمد صلّى اللهُ عليْه وآله وسلم تقوى في كل لمحة. وفي كل لحظة. وفي كل نفَس. أبدا سرمدا دائما. يا رب وفِّر حظّنا من هذا الحبيب، صلّى اللهُ عليْه وآله وسلم. قرِّبنا مع أهل التقريب، وارزقنا كثرة الصّلاة والسّلام عليه. بامتثال واقتداء واهتداء وتعظيم ومحبة وشوق، واجعلنا بذلك نرقى إلى فوق، مع خواص أهل ذلك الذوق، وأنت راضٍ عناّ. يا وليّ كلّ نعمة. ويا مُسدي كل منةّ، كما نسأل الله تعالى أن يجعل دخول هذا الشهر الكريم على الجميع دخول الخير والأمن والعافية والسلامة. وصلاح الأحوال الخاصّة والعامّة. وأن يجعلنا ممّن يتعرّض لنفحاته الزكية، وأنواره السنيّة، فيمحو فينا كل خُلق دنيّ. ويُشرق فينا كلّ خُلق عليّ، بجاه سيّدنا ومولانا محمد النبيّ الأميّ. صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم. أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. فمرحباً أهلاً وسهلاً. بِشَهرٍ وُلِدَ فيهِ مَن قالَ فيهِ مولانا عزَّ وجلّ في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِين)). لقد أشرقت على الإنسانية نسمات الهداية الربانية. وإشراقات الأنوار الرحمانية. وتجلّيات اللطائف الإلهية. ببعثة خاتم المواكب الرسلية. سيّدنا ومولانا محمّد. صلى الله عليه وآله وسلَّم. هذا النبيّ الكريم. الذي رعته عناية الإله الحقّ. حتى جاء على قدر ومحدودية. تنقّل من صُلب إلى صُلب. في رحلة مرسومة. ورعاية معلومة. حفظت أصوله من زيغ المجتمعات وسفاح الجاهلية. وسيّء العلاقات البهيمية. وما كانت المجتمعات الجاهلية آنذاك. أيْ قبل بعثته وولادته. إلاّ مرتع الآفات. من قتلٍ للبنين ووَأْدٍ للبنات. والوقوع في المحرّمات والمحظورات. وانعدام شرف النسبة بالوقوع على الأخوات والأمّهات. ولكن التهيئة الإلهية. والرعاية الرحمانية. تُبدي العجائب في عظيم آياتها. وجليل

مَوعُوداتها. وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقرِّر ذلك فيما صحّ من أحاديثه. وجليل مقولاته. أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. فقد روى الإمام البخاري في صحيحه. في باب صفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: ((بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بني آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الذي كُنْتُ فِيهِ)). وأخرج مسلم والترمذي وصحّحه عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رضى الله عنه. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ. وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ. وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا. وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ. وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)). وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه. أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ما افترق الناس فِرقتَيْن إلا جعلني الله تعالى في خيرهما. فأُخرجتُ من بين أبوي فلم يصبني شيء من عُهْر الجاهلية. وخرجتُ من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيتُ إلى أبـي وأُمّي. فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً)). وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في دلائل النبوّة. عن أمّ المومنين السيّدة عائشة رضي الله عنها عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال لي جبريل عليه السلام: قلّبتُ مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمّد. صلى الله عليه وآله وسلم. ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم)). قال الحافظ ابن حجر: لوائح الصحّة ظاهرة على صفحات هذا المتن. أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. فنبيّنا وحبيبنا وقرّة أعيننا سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وآله وسلَّم، أشرف ولد آدم حسبا، وأفضلهم نسبا، من قِبَل أبيه وأمّه، رضي الله عنهما. كما هو معلوم مقرّر عند أهل العلم، خاصّتهم، وعامّتهم. ونسبته صلى الله عليه وآله وسلَّم في سلسلة آبائه وأجداده الكرام. أشرف نسبة. ذكرها الإمام البخاري في صحيحه في: ((كتاب مناقب الأنصار. باب مَبْعَثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ)). نبيّ اختاره الله تعالى لهذه الأمّة اختياراً. وبشّر بوجوده وبعثته الأنبياء والرسل مراراً وتكراراً. وتناقل الناس خبره. واستبشروا بوجوده قبل وجوده. وعبّروا عن ذلك. وممّن بشّر به قبل مبعثه كذلك. أحبار اليهود. ورهبان النصارى. ومنهم: الراهب عيصا وبحيرى ونسطور.

وخبرهم في كتب السيرة النبوية معلوم ومشهور. ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيته:

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَـ*ـارُ لَكَ الأُمَّهَاتُ وَالآبَاءُ

مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مَنَ الرُّسْل إلاَّ * بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الأَنْبِيَاءُ

تَتَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو * بِكَ عَلْيَاءُ بَعْدَهَا عَلْيَاءُ

وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنكَ كَرِيمٌ * مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كُرَمَاءُ

نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلاَ بِحُلاَهُ * قَلَّدَتْهَا نُجَومَهَا الْجَوْزَاءُ

حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدَدٍ وَفَخَارٍ * أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. روى البيهقي في السنن وغيره. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: ((ما ولَدَني من سِفاحِ أهلِ الجاهليةِ شيءٌ، ما ولَدَني إلا نكاحٌ كنكاحِ الإسلامِ)). وأخرج أحمد والطبراني في معجمه. عن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: ((خرَجْتُ من نِكاح، ولم أخرج من سِفاحٍ. من لَدُنْ آدم إلى أن ولَدني أبي وأُمّي، لم يُصِبني من سِفاح الجاهلية شيءٌ)). أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وعن حبر الأمّة. وترجمان القرآن. سيّدنا عبد الله بن عباس. رضي الله عنهما.وجمّ غفير من المفسّرين. في تأويل قول الله تعالى في سورة الشعراء: ((الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)). قال: من صُلب نبيّ إلى نبيّ. حتّى صِرتَ نبيّاً، رواه البزّار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح. وقال الإمام فخر الدين الرازي: آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم كلهم إلى آدم على التوحيد. لم يكن فيهم شِرك. يدلّ على ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم كما في دلائل النبوّة للبيهقي: ((لم أزل أتنقّل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات)). وقال تعالى في سورة التوبة: ((إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)). فوجب أن لا يكون أحدٌ من أجداده صلى الله عليه وآله وسلَّم مشركا. وأمّا قوله تعالى في سورة الأنعام: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ)). قال الحافظ بن حجر: أجمع أهل الكتابَيْن على أنّ آزر لم يكن والد سيّدنا إبراهيم عليه السلام. بل عمّه. والعرب تسمّي العمّ أبًا. بل في القرآن ذلك. قال تعالى في سورة البقرة: ((أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ

حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)). فأطلق على إسماعيل لفظ الأب. وهو عمّ يعقوب. كما أطلق على إبراهيم لفظ الأب. وهو جدّه. وبهذا كله عُلِم وجوب اعتقاد نجاة والدي سيّد الأحباب. وأفضل مَن ترجم عن ربه بالوحي والكتاب. وإنّ مَن زَعم غير ذلك. فهو يقينا بخسره هالك. فقد ثبت عن سيّد السادات. ((لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات)). وقد ألّف السيوطي وابن حجر وغيرهما في ذلك جملة من الرسائل. ولا ريب أنّ ذلك إلى سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من أقرب الوسائل. أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. هذه كلمات حسان. في بعض مناقب سيّدة الوالدات أُمّ سيّد ولد عدنان. صلى الله عليه وآله وسلَّم. السّيّدة آمنة بنت وهب الفُضْلى. ذات الشّرف الأَعْلى. والفخر الأعزّ الأَجْلى. رضي الله تعالى عنها وأرضاها. وجعل في أعلى الفردوس مثواها ومأواها. لأتقرّب منها إليها. وأحظى بالتوجّه والمقام العندي لديها.

ربّنا توسّلنا إليك بأُمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

فأقول: هي السيّدة الطاهرة الكريمة. والدّرّة الفاخرة العظيمة. سيّدة العارفات. وكريمة الآباء والأُمّهات. أُمّ المصطفى الرسول. وجدّة فاطمة الزهراء البتول. السيّدة آمنة القرشية. وزوجة سيّدنا عبد الله سلالة السادة الهاشمية. بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كِلاب. أحد أجداد النبي الكامل الأوّاب. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وأمّا أُمّ السيّدة آمنة عالية القدر والجناب. فهي بَرَّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب. ويؤكّد هذه العراقة والأصالة بالنسب. إعتزاز سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بنسبه. فقد أخرج أبو نُعَيم في دلائل النبوّة من طُرُق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ فِي سِفَاحٍ، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُنَقِّلُنِي مِنْ أَصْلَابٍ طَيِّبَةٍ إِلَى أَرْحَامٍ طَاهِرَةٍ، صَافِيًا، مُهَذَّبًا، لَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ، إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا)). وأخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال: ((قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفَسِكُمْ. فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله. ما معنى: أَنفَسِكُمْ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: أنا أنفسُكم نسبًا وصِهرا

وحسبًا. ليس فِيّ ولا فِي آبائي من لدن آدم سفاح كُلّنا نكاح)). ورحم الله الإمام البوصيري حيث قال. وأفصح في المقال :

نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلاَ بِحُلاَهُ * قَلَّدَتْهَا نُجومَهَا الْجَوْزَاءُ

حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدَدٍ وَفَخَارٍ * أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

فهي رضي الله عنها تلتقي في النسب مع إبنها سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من جهة آبائه في جدّه كلاب.

ربّنا توسّلنا إليك بأُمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. نشأت سيّدتنا ومولاتنا آمنة رضي الله عنها في أسرة عريقة النسب، مشهود لها بالشرف والأدب، اتّسمت بالبيان، وعُرِفَت بالذكاء وطلاقة اللسان، وتُعدّ أفضل إمرأة في قريش نسباً ومكانة. تَفتّح صِباها في أعزّ بيئة وأطيب منبت. فاجتمع لها من أصالة النسب ورِفعة الحسب، ما تزهو به على جميع العرب. في ذلك المجتمع المكي. المعتزّ بكرم الأصول ومجد الأعراق. فكانت رضي الله عنها تُعْرَف بزَهْرَة قريش. فهي بنت سيّد بني زهرة نسبا وشرفا، وقد ظلّت في خِدْرها محجَّبة عن العيون. مصونة عن الإبتذال، حتى ما يكاد الرواة يتبيّنون ملامحها. أو يتمثّلونها في صباها الغضّ، والذي يعرفه المؤرِّخون عنها أنّها عندما خُطِبَت لسيّدنا عبد الله بن عبد المطلب رضي الله عنه كانت يومئذ أفضل فتاة في قريش نسبا وموضعا. وقد وصف ابن هشام السيّدة آمنة رضي الله عنها في سيرته: أنّها كانت يومئذ أفضل فتاة في قريش نسبا وموضعا. وجاها وجمالا وكمالا. ويمكن أن نلمس ملامحها من خلال صورة ابنها العظيم. صلى الله عليه وآله وسلَّم الذي آوته أحشاؤها، وغذّاه دمها، واتّصلت حياته بحياتها.

ربّنا توسّلنا إليك بأُمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. ووِفْقا لتقاليد العُرْف في ذلك الزمن أقام سيّدنا عبد الله رضي الله عنه مع زوجته السيّدة آمنة رضي الله عنها في بيت أهلها ثلاثة أيام. وكان ذلك في ليلة الجمعة من أوّل شهر رجب في شِعْب أبي

طالب. فحملت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في أوّل ليلة زفافها. روى الخطيب البغدادي عن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه قال: ((لمّا أراد الله تعالى خَلْق سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلَّم في بطن أمّه السيّدة آمنة ليلة رجب. وكانت ليلة جمعة. أمر الله تعالى تلك الليلة رضوان خازن الجنان. بفتح الفردوس وينادي منادٍ في السموات والأرض: ألا إنّ النّور المخزون المكنون الذي يكوَّن منه النبيّ الهادي في هذه الليلة يستقرّ في بطن أمّه. الذي فيه يتمّ خَلْقُه. ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا)). فعند ذلك أُعطي لمولاتِنا السيّدة آمنة رضي الله عنها من النُّور والجمال. والبهاء والعفاف والكمال. ما كانت تُدْعى به سيّدة قومها. ولم يبق في تلك الليلة دار ولا مكان إلا ودخله نور. ولا دابّة لقريش إلا نطقت تلك الليلة وقالت: حُمِلَ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وربِّ الكعبة. وهو أمان الدنيا وسراج أهلها. وبارك الله لعباده ببركة الحمل به صلى الله عليه وآله وسلَّم في الزرع. حتى كثُر الخير ودرّ الضرع. وصار الخير يتوالى بتوالي أيّامه الميمونة. والبركات تُفاض وبالمسرّات مقرونة. ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيته مهنّئا السيّدة آمنة رضي الله عنها بهذا الشرف الأكبر. والتمييز الأظهر. بسبب حملها بسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم:

فَهَنِيئاً بِهِ لآمِنَةَ الْفَضْـ*ـلُ الذِي شُرِّفَتْ بِهِ حَوَّاءُ

مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّهَا حَمَلَتْ أَحْـ*ـمَدَ أَوْ أَنَّهَا بِهِ نُفَسَاءُ

يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ * مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءُ

وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا * حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ

ربّنا توسّلنا إليك بأُمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وروى ابن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمّه، والبيهقي عن ابن إسحاق رحمهما الله تعالى قال: ((كنّا نسمع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لمّا حملت به آمنة كانت تقول: ما شعرتُ أنّي حملت به. ولا وجدتُ ثقله كما تجد النساء. إلا أنّني أنكرتُ رَفْع حيضتي. وربما ترفعني وتعود. وأتاني آتٍ وأنا بين النائمة واليقظانة فقال لي: هل شعرتِ أنّك حملتِ؟ فأقول: ما أدري. فقال: إنّك حملتِ بسيّد هذه الأمّة ونبيّها. ثم

أمهلني حتى إذا دنتْ ولادتي. أتاني ذلك الآتي فقال: قُولي: أُعيذه بالواحد. من شر كل حاسد. فإذا وضعتيه فسمّيه محمدا. وآية ذلك: أنه يخرج معه نُور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام)). وَرَوَى أبو نُعَيْمٍ في الدلائل، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لمّا حُمِلَ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، لم تَبق أيّ دابّة إلاّ نطقت تلك الليلة، وقالت: حُمِل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وَرَبِّ الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يَبق سرير مَلِكٍ من ملوك الدنيا إلاّ أصبح منكوسا، وَهُتِفَ بالبشارات في البَرِّ والبحر، ونُودي في السماوات والأَرَاضِينَ: أنْ أَبْشِرُوا فقد آنَ أَنْ يَظْهَرَ أبو القاسم، إماما مُبَارَكًا، ولم تَبق في تلك الليلة دارٌ إلاّ أشرقتْ، ولا مكانٌ إلاّ دخله النُّورُ، ولا دابّة إلاّ نطقتْ، وصارت الأصنام منكوسة، وصاح إبليس على جنوده قائلا: ويلٌ لكم لقد حُمِلَ بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلَّم هذه الليلة، وكانت قريش حينئذ في جَدْب شديد، وضِيق عظيم، فاخضرّت الأرض، وَحَمَلت الأشجار، وأتاهم الرِّفْد من كل جانب، فسُمِّيَت تلك السنة، التي حُمِل فيها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سنة الفتح والإبتهاج)).

ربّنا توسّلنا إليك بأُمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. ولم تطل إقامة سيّدنا عبد الله مع السيدة آمنة، بل اضطرّ لتركها وهي حامل. عندما بعث به والده عبد المطلب في رحلة تجارية إلى الشام. وفي طريق عودته مرض فمرّ بأخواله بني عدي بن النجار في المدينة المنوّرة. فأقام عندهم شهرا يعانون سُقْمه وشكواه. فتوفي ودُفن هناك. ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم له شهران من الحمل. ولم يكن أمام السيّدة آمنةُ رضي الله عنها سوى أنْ تتحلّى بالصبر على مصابها الجلل، الذي لم تكن تصدّقه حتى إنّها كانت ترفض العزاء في زوجها، ووجدتْ في هذا الجنين مواساة لها عن فراق زوجها، ووجدتْ فيه مَنْ يخفّف عنها أحزانها العميقة. وتتكرّر الرُّؤَى عند السيّدة آمنة رضي الله عنها لطمأنتها وتبشيرها بجنينها. وبعد تسعة أشهر من الحمل جاءها المخاض. فكانت وحيدة في البيت ليس معها أحد. ولكنها شعرت بنُور يغمرها من كل جانب، وخُيِّل لها أنّ مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وهاجر أمّ إسماعيل كلهنّ بجنبها، فأحسّت بالنور الذي انبثق منها، ومن ثَمَّ وضعت وليدها كما تضع كل أنثى من البشر،

تَجَلَّىْ مَوْلِدُ الهَادِي وَعَمَّتْ * بَشَائِرُهُ البَوَادِيَ والقِصَابَا

وَأسْدَتْ لِلْبَرِيَّةِ بِنْتُ وَهْبٍ * يَدًا بَيْضَاءَ طَوَّقَتِ الرِّقَابَا

لقَدْ وَضَعَتْهُ وَهَّاجًا مُنِيرًا * كَمَا تَلِدُ السَّمَاواتُ الشِّهَابَا

فقَامَ على سَمَاءِ الْبَيْتِ نُورًا * يُضِيئُ جِبَالَ مَكَّةَ والنِّقَابَا

وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ * إذَا مَا الضُّرُّ مَسَّهُمُ وَنَابَا

ربّنا توسّلنا إليك بأُمِّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وهنا اكتملت فرحة السيّدة آمنة رضي الله عنها فوليدها بجوارها، ولم تعد تشعر بالوِحدة التي كانت تشعر بها من قبل. وفرح الجدّ عبد المطلب بحفيده، وشكر الرب على نعمته العظيمة. وفي يوم سابع ولادته صلى الله عليه وآله وسلَّم. عقّ عنه جدّه عبد المطلب. وألهمه الله تعالى بتسميّته محمّدا. فقيل له: يا أبا الحارث. ما حَملك على تسميّته محمّداً. ولم تسمّه باسم آبائه؟ فقال: أردتُ أن يَحمده الله في السماء. ويَحمده الناس في الأرض. تفاؤلاً بأن يكثر حَمْد الخلق له، لكثرة خصاله الحميدة التي يُحمد عليها، وقد حقّق الله رجاءه. بأنّه صلى الله عليه وآله وسلَّم تكاملت فيه الخصال المحمودة. والخلال المحبوبة. فتكاملت له المحبّة من الخالق والخليقة، وكان أوّل ما رضع صلى الله عليه وآله وسلَّم لبن أمّه السيّدة آمنة بنت وهب رضي الله عنها. أرضعته سبعة أيّام. ثم جفّ لبنها بسبب ما أصابها من الحزن والأسى لموت زوجها الغالي عليها. سيّدنا عبد الله رضي الله عنه. فأعطته للسيّدة حليمة السعدية لترضعه، فنالت برضاعه صلى الله عليه وآله وسلَّم خيرات عظيمة وفيّة. وشاهدت له من الإرهاصات غرائب كثيرة جليّة. ففازت من الله تعالى ببرّه وكرمه. وسعدت برضاعه بعد أن أباه المرضعات ليُتْمه. وقد أشار الإمام البوصيري رحمه الله. في همزيته إلى قصّة رضاعه صلى الله عليه وآله وسلَّم. فقال وقد أحسن المقال:

وَبَدَتْ فِي رَضَاعِهِ مُعْجِزاتٌ * لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعُيُونِ خَفَاءُ

إِذْ أَبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعَاتٌ * قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا غَنَاءُ

فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ * قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءُ

أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسقَتْهَا * وَبَنِيهَا أَلْبَانهُنَّ الشَّاءُ

أَصْبَحَتْ شُوَلاً عِجَافاً وَأَمْسَتْ * مَا بِهَا شَائِلٌ وَلاَ عَجْفَاءُ

أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحْلٍ * إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ

يَا لَهَا مِنَّةٌ لَقَدْ ضُوعِفَ الأَجْـ*ـرُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ

وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاساً * لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْـ*ـفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَفَاءُ

وبعد فطامه صلى الله عليه وآله وسلَّم عند السيّدة حليمة رضي الله عنها. وقعت حادثة شقّ صدره الشريف. لحكمة أرادها ربّنا اللطيف. وقد أشار إلى هذه الحادثة صاحب الهمزية بقوله:

شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ * مُضْغَةٌ عِنْدَ غَسْلِهِ سَوْدَاءُ

خَتَمَتْهُ يُمْنَى الأَمِينِ وَقَدْ أُو * دِعَ مَا لَمْ تُذَعْ لَهُ أَنْبَاءُ

صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلاَ الْفَـ*ـضُّ مُلِمٌّ بِهِ وَلاَ الإِفْضَاءُ

أَلِفَ النُّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالْخَلْـ*ـوَةَ طِفْلاً وَهَكَذَا النُّجَبَاءُ

وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْباً * نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الأَعْضَاءُ

ربّنا توسّلنا إليك بأُمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وحان الوقت الذي كانت السيّدة آمنة رضي الله عنها تترقّبه. حيث بلغ ولدها السادسة من عمره. بعد العناية الفائقة به. وظهرت عليه بوادر النضج. صحبته إلى أخوال أبيه من بني النجّار المقيمين في المدينة المنوّرة. لزيارة قبر أبيه سيّدنا عبد الله رضي الله عنه. وفي رجوعها مرضت مرضا شديدا. ((وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)). كما قال تعالى في سورة

ق. ووافتها المنية بالأبواء. ودُفنت هناك. رضي الله تعالى عنها وأرضاها. قال تعالى في سورة الأعراف: ((فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)).

روى أبو نُعَيم في دلائل النبوّة. بسند ضعيف من طريق الزهري. عن أُمّ سماعة بنت أبي رهم الأنماري عن أُمّها. قالت: شهدتُ آمنة أمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله عنها. في عِلّتها التي ماتت فيها. وسيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم غلام يَفِع. له خمس سنين. عند رأسها. فنظرتْ إلى وجهه ثم قالت شِعرا :

بَارَكَ فِيكَ اللَّهُ مِنْ غُلَامٍ * يَا ابْنَ الَّذِي مِنْ حَوْمَةِ الْحِمَامِ

نَجَا بِعَوْنِ الْمَلِكِ الْمِنْعَامِ * فَوَدَى غَدَاةَ الضَّرْبِ بِالسِّهَامِ

بِمِائَةٍ مِنْ إِبِلٍ سِوَامِ * إِنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِي الْمَنَامِ

فَأَنْتِ مَبْعُوثٌ إِلَى الْأَنَامِ * مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

تُبْعَثُ فِي الْحَلِّ وَفِي الْإِحْرَامِ * تُبْعَثُ بِالتَّخْفِيفِ وَالْإِسْلَامِ

دِينِ أَبِيكَ الْبَرِّ إِبْرَاهَامِ * فَاللَّهُ أَنْهَاكَ عَنِ الْأَصْنَامِ

أَنْ لَا تَوَالِيَهَا مَعَ الْأَقْوَامِ

ثُمَّ قَالَتْ: كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ. وَكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ، وَكُلُّ كَبِيرٍ يَفْنَى، وَأَنَا مَيِّتَةٌ. وَذِكْرِي بَاقٍ، وَقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا، وَوَلَدْتُ طُهْرًا. ثُمَّ مَاتَتْ، فَكُنَّا نَسْمَعُ نَوْحَ الْجِنِّ عَلَيْهَا، فَحَفِظْنَا مِنْ ذَلِكَ:

نَبْكِي الْفَتَاةَ الْبَرَّةَ الْأَمِينَهْ * ذَاتَ الْجَمَالِ الْعَفَّةَ الرَّزِينَهْ

زَوْجَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَرِينَهْ * أُمَّ نَبِيِّ اللَّهِ ذِي السَّكِينَهْ

وَصَاحِبِ الْمِنْبَرِ بِالْمَدِينَهْ * صَارَتْ لَدَى حُفْرَتِهَا رَهِينَهْ

فانظر يا أخي إلى هذا النظام. الصادر مِنْهَا صَرِيحًا فِي النَّهْيِ عَنْ مُوَالَاةِ الْأَصْنَامِ. مَعَ الْأَقْوَامِ، وَالِاعْتِرَافِ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام. وأنه يُبْعَثُ وَلَدُهَا إِلَى الْأَنَامِ. مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِالْإِسْلَامِ. وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُنَافِيَةٌ لِلشِّرْكِ وارتكاب الحرام. ومثبتة بالتديّن بدين الملك العلاّم. فكيف لا تكون مؤمنة أيّها الأجلّة الكرام. من أحباب سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. لا سيما وقد قال العلاّمة السيوطي رحمه

الله. في (مسالك الحنفا في والدي المسطفى): إني استقرأتُ أُمّهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فوجدتهنّ مؤمنات. إلى آخِر ما قال في هذا المقام.

ربّنا توسّلنا إليك بأُمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وتوفّيت سيّدتنا ومولاتنا آمنة بنت وهب رضي الله عنها وأرضاها ولها من العمر نحو ثمانية عشر من الأعوام. ودُفنت بالأبواء. على ما رواه الطبراني. وابن مَرْدَوَيْه. من طريق عِكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وظلّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يذكر أمّه حتى كانت حجّة الوداع. ففي كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للصالحي الشامي قال: روى أبو حفص بن شاهين. والمحبّ الطبري في سيرته. والدارقطني وابن عساكر. عن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: ((حجّ بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حجّة الوداع، فمرّ على عَقَبة الحجون وهو باكٍ حزين مغتمّ، فبكيتُ لبكائه، ثم إنّه طفق. أيْ شرع يقول: يا حُمَيْراء إستمسكي، فاستندتُ إلى جَنْب البعير، فمكث عنّي طويلا. ثم عاد إليّ وهو فرحٌ مبتسم، فقلتُ له: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، نزلتَ من عندي وأنتَ باكٍ حزين مغتمّ. فبكيتُ لبكائك، ثم إنّك عدتَ إليّ وأنتَ فرحٌ مبتسمٌ. فمِمَّ ذاك؟ قال: ذهبتُ لقبر أمّي. فسألتُ ربّي أن يُحييها، فأحياها فآمنتْ بي وردّها الله تعالى)). وروى السُّهَيلي في (الرَّوْض الأُنُف شرح سيرة ابن هشام) عن عروة بن الزبير عن السيّدة عائشة رضي الله عنها: ((أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سأل ربّه أن يُحيي أبوَيْه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما)). وقال السُّهَيلي بعد إيراده هذا الحديث. واللهُ قادرٌ على كلّ شيء. وليس تَعجز قدرته ورحمته عن شيء. ونبيّه عليه السلام أهلٌ أنّه يَخصّه بما شاء من فضله. ويَنعم عليه بما شاء من كرامته. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وفائدة إحيائهما. مع أنّ أهل الفترة لا يُعذَّبون. وهي إتحافهما بكمالٍ لم يحصل لأهل الفترة. وقال القرطبي: فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته. فيكون هذا ممّا فضّله تعالى وأكرمه به، وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا، فقد ورد في الكتاب العزيز. إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله. وكان عيسى عليه السلام يُحيي الموتى. وكذلك نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلَّم أحيا الله تعالى على يدَيْه جماعة من الموتى. وما

أحسن ما قاله الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي. رحمه الله. في كتابه المسمّى: (مَوْرد الصادي في مولد الهادي). بعد إيراد الحديث المذكور منشدا لنفسه:

حبا اللهُ النبيَّ مزيد فضلٍ * على فضلٍ وكان به رؤوفا

فأحيا أمَّه وكذا أباه * لإيمانٍ به فضلا لطيفا

فسلِّم فالقديم بذا قديرٌ * وإن كان الحديث به ضعيفا

ربّنا توسّلنا إليك بأُمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام.

أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. إنّ لسيّدتنا ومولاتنا آمنة بنت وهب رضي الله عنها وأرضاها فضلا لن نُحصيه. ولن تُحصيه البشرية جمعاء. إنّها أهدت للكَوْن بأسره ذاك الإنسان الكامل. ذاك النُّور العظيم! ذاك الرحمة للعالمين! سيّدنا ومولانا محمد رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. طيّب الله ثراها. وجعل الفردوس الأعلى مأواها. وأمدّنا بمددها. وأعاد علينا من بركاتها. وأنشقنا نسمة من أسرار نفحاتها. فسلام الله عليكِ يا سيدة الأمّهات. ووالدة أشرف المخلوقات. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم. اللهم إنّا نتوسّل إليك بأمّ سيّد الأنام. عليه الصلاة والسلام. أظلّنا تحت ظلّ عرشك يوم الزحام. وتوفّنا مسلمين وأحسِن لنا الختام. واجعل مقرّنا عندك في دار السلام. ولَذِّذ مسامعنا بلذيذ خطاب: ((سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)). واختِم أعمالنا وآجالنا بمحاسن خواتم: ((دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلَّم. والحمد لله رب العالمين. اهـ

03- فَوْحُ المِسْك الذَّكِي من النّسب الزّكي على العاشقين لسماع سيرة سِبْط النّبي صاحب القَدْر الجلي سيّدنا الحسن بن مولانا الإمام علي سلامٌ عليه مِنَ الله العلِي

الحمد لله رفيع الدرجات. الواحد في الأفعال والذات والصفات. الذي أتقن بحكمته المصنوعات. وفضّل النّوع الإنساني على سائر المخلوقات. وجعل منه شعوبا

وقبائل. ليتعارف الأواخر بالأوائل. واختار من القبائل قريشا بلا خلاف. واختار من قريش بني عبد مناف. واختار من بني عبد مناف هاشما. واختار من هاشم مَنْ جعله للأنبياء خاتِما. أفضل النبيئين. وقائد الغرّ المحجّلين. سيّدنا ومولانا محمدا. صلَّى الله وسلَّم عليه. وعلى آله وعِتْرته وجميع المنسوبين لديه. فقد صحّ عنه في جميع الأخبار. ممّا رواه الثقات الأخيار: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ. وَاصْطَفَى مِنْ الْعَرَبِ كِنَانَةَ. وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ. وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ. وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ)).

فسبحانه من إله جعل أهل بيت نبيّه الكريم خلاصة الأنام. وخصّهم بمزيد إكرام على الخاصّ والعام. وأهَّلهم لكلّ إكبار وإعظام، واحترام وإكرام، وفرَّعهم من روضة الزهراء البتول الطاهرة النّقيّة، فروعَ صِدْقٍ طيّبة زكيّة، أرضعتهم الرسالة المحمدية بِدَرِّها، وطوّقتهم العناية الإلهية شمسَها، فكانوا لقرابتهم من أشرف الورى. أحقَّ الناس بالشرف وأولى، ولله درّ القائل:

مَنْ مِثْلُكُمْ لرسولِ الله يَنْتَسِبُ * لَيْتَ الملوكَ لها مِنْ جَدِّكمْ نَسَبُ

خَيْرُ النّبيّين لم يُذْكَرْ على شَفَةٍ * إلاّ وَصَلَّتْ عليه العُجْمُ والعَرَبُ

ما للسّلاطين أحسابٌ بجانِبِكُمْ * هذا هو الشَّرَفُ المعروفُ والحَسَبُ

أَصْلٌ هو الجَوْهر المكنون ما لَعِبَتْ * به الْأَكُفُّ ولا حاطت به الرِّيَبُ

مرّت عليه عُصورٌ لا عِدادَ لها * وليس يَصْدَأُ إِذْ لاَ يَصْدَأُ الذَّهَبُ

يا سادةَ الخلق إنْ أَطْرِبْ بِحُبّكُمُ * آلَ الرسولِ فَهَلْ في ذَلِكُمْ عَجَبُ

ما مِنْ عظيمِ عِصاميٍّ بِحُبِّكُمُ * إلاّ وتَسْمُو به في حُبِّكُمْ رُتَبُ

اللهُ فضّلَكم اللهُ طهّرَكمْ * يا عِتْرة المصطفى بل حبُّكم يَجِبُ

ساداتُنا الْغُرُّ مِنْ أبناءِ فاطمةٍ * طُوبَى لِمَنْ كان للزّهراء يَنْتَسِبُ

أَكْرِمْ بفاطمةٍ أَنْعِمْ بفاطمةٍ * مِنْ أَجْلِ فَاطِمَةٍ قَدْ شُرِّفَ النَّسَبُ

ثم الصلاةُ على طَهَ وعِتْرتِهِ * مَنْ صَمْتُهُمْ أَدَبٌ ونُطْقُهُمْ ذَهَبُ

نحمده سبحانه وتعالى أن نظر إلينا بعين عنايته في سابق الأزل. وقسّم لنا من محبّة جنابَ هذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلَّم الحظّ الأَوْفر والقِسْم الأجلّ. وعمّر قلوبنا بمودّة أهلِ القُرْبَى من نَسَبِهِ الطاهر الكريم. فيا بُشْرَانَا حين نجتمع بهم في جنّة النّعيم. فقد روى الحاكم في المستدرك عن كتاب الفردوس وكتاب السمعاني بإسنادهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((أَنَا شَجَرَةٌ وَفَاطِمَةُ حِمْلُهَا، وَعَلِيٌّ لِقَاحُهَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَمَرُهَا، وَمُحِبُّونَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَقُهَا، وّكُلُّنَا فِي الْجَنَّةِ حَقًّا حَقًّا)).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أذهب عن ذرية نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلَّم الرِّجْس وطهّرهم، وزكّى منهم النّفس في المآثر وآثرهم، وكتب لهم في قلوب أوليائه تعظيماً وحُبًّا، بقوله تعالى اسمه في سورة الشورى: ((قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)). فقد صرّح في كتابه بفريضة محبّتهم التي هي من فرائض الدّين. سواء في ذلك الطائعين منهم والعاصين. وعليه قول الإمام الشافعي رحمه الله:

يَا أَهْلَ بَيْتَ رسولِ الله حُبُّكُمُ * فَرْضٌ من الله في القرآن أنزلَهُ

يَكْفِيكُمُ من عظيم المجد أنّكُمُ * مَنْ لم يُصَلِّ عليكمْ لا صلاة لَهُ

وللعارف بالله سيدي ابن عربي الحاتمي رحمه الله:

أَرَى حُبَّ أهلِ البيْتِ عِنْدِي فريضةً * على رَغْمِ أهْلِ الْبُعْدِ يُورِثُني قُرْبَا

فما اختارَ خيرُ الخَلْقِ مِنّا جَزَاءَهُ * عَلَى هَدْيِهِ إلاّ الْمَوَدَّةَ في القُرْبَى

وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. نبيٌّ شرّف الله به ذريّتَه على جميع العالمين. خصوصا الزهراء والحسن والحسين. وفضّل سلسلتهم الطاهرة بالنسب المتّصِل يوم تنقطع الأنساب. وميّزهم بفضيلته التي لا تُدْرَك بالإكتساب. الذي من كرامته على ربّه. وكمال عنايته وقُرْبِه. ما رُوِيَ عنه أنّه قال كما في الحديث المتواتر الذي أخرجه الطبراني في الجامع الصغير عن سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال: ((كلُّ سببٍ ونَسَبٍ منقطِعٌ يوم القيامة إلا سببي ونسبي. وكلُّ وَلَدِ آدمَ فإنّ عَصَبَتَهم لأبيهم. ما خلا وَلَدِ فاطمة فأنا أبوهم وأنا عَصَبَتُهُمْ)).

لآل البيْتِ عِزٌّ لاَ يَزُولُ * وَفَضْلٌ لا تُحِيطُ به العقولُ

وإجلالٌ ومَجْدٌ قد تَسامَ * ومَكْرُمَةٌ مَا لِغَايَتِهَا وُصُولُ

كفاكُمْ يا بني الزَّهْرَاءِ فَخْرًا * إذا ما قيل جَدُّكُمُ الرّسولُ

أَبُوكُمْ فَارِسُ الْهَيْجَا عَلِيٌّ * وَأُمُّكُمُ الْمُطَهَّرَةُ الْبَتُولُ

عَلَى أَعْتَابِكُمْ عَبْدٌ ذَلِيلٌ * كَثِيرُ الشَّوْقِ نَاصِرُهُ قَلِيلُ

يَمُدُّ إِلَيْكُمُ كَفَّ افْتِقَارٍ * ودَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِرٌ يَسِيلُ

أَكُونُ نَزِيلُكُمْ ويُضَامُ قَلْبِي * وَحَاشَا أَنْ يُضَامَ لَكُمْ نَزِيلُ

إخواني: مَنْ أراد منكم تيسير أَمْرِه وتفريج كَرْبِه. فليكثِرْ من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. فالصلاة عليه في الذنوب شافعة. وفي قضاء الحاجات نافعة. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. النبي المقرَّب المَكين. الذي هو شجرة النور المتفتِّقَةُ بأزاهِرِ النبوّة والرسالة وأسرار الكتاب المستَبين. وعلى بَضْعَتِه الزهراء سيّدة نساء العالمين. وسبطيه الحسن والحسين. وعلى آل بيته أغصان الهداية والتوفيق والرُّشْد والدِّين. وثمار المحبّة والصِّدق والإخلاص واليقين. وصحابته القائمين بشريعته على سَنَنِ الإيضاح والتبيّين. صلاة نكون بها ممَّن نوّرتَ بصائرَهم بنور الفتح المبين. وجعلتَهم من أهل الرسوخ والتمكين. وسلكتَ بهم طريق الأئمّة المهتَدين. ورفعت منازلهم في جنّة الفردوس وأعلى عليّين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين.

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

لا خفاء على مَنْ مارس شيئاً من العِلْم. أو خُصَّ بأدنى لمحة من الفهم. بتعظيم الله سبحانه وتعالى قَدْر آل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وخصوصِه إيّاهم بفضائل ومحاسن لا تنضبط لِزمام، وتنويهِه بعظيم قَدْرِهم بما تكلّ عنه الألسن والأقلام. فمنها ما صرّح به تعالى في كتابه، ونبّه به في جليل خطابه. حيث قال عزّ مِنْ قائل في سورة الأحزاب: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). فكان جلّ جلاله هو الذي تفضّل وأولى، ثم طهّر وزكّى، ثم

مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بَدْءاً وعَوْداً، والحمد لله أُولَى وأُخْرَى، أخرج الإمام أحمد في المسند والطبراني في المعجم الكبير والصغير. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزلت يعني هذه الآية. في خمسة: النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم. وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم .

ولقد أكّدت آية المباهَلة هذا المعنى المقصود من خصوصيّة التشريف والتطهير الظاهري والباطني. فقال سبحانه في سورة آل عمران: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)). قال المفسّرون في سبب نزول هذا الآية ما حاصِلُه: أنّ وفداً من نصارى نَجْران. وهي مدينة قديمة في الجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية بالقرب من الحدود اليمنية. جاءوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يجادلونه في أَمْر سيّدنا عيسى عليه السلام. فلم يقبلوا الحقّ الذي جاء به صلّى الله عليه وآله وسلَّم من عند الله تعالى. وأصرّوا على باطلهم وضلالهم. فأمر الله نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يباهِلَهم.

إذْ معنى المباهلة هي: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء مصطحبين أبناءهم ونساءهم فيدعون الله تعالى بتضرّعٍ واجتهادٍ أن يحلّ لعنته وعقوبته بالكاذب منهما. فقد ذكر البغوي في معالم التنزيل. أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم خرج محتضِناً للحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها. وهو يقول لهم: إذا أنا دعوتُ فأمّنوا، فقال أُسْقُفْ نجران: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يُزيل جبلٍ من مكانه لأزالَه. فلا تبتهلوا.

قال الإمام الرازي صاحب التفسير الكبير: وفي الآية دليل على أنّ الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما وضّحته السُنّة. وصرّحت به في أكثر من موضع. التي منها ما أخرجه الطبراني في الكبير. والحاكم في المستدرك. والخطيب البغدادي في تاريخه. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((كُلُّ بَنِي آدَمَ يَنْتَمُونَ إِلَى عَصَبَةِ أَبِيهِمْ إلا وَلَدَ فَاطِمَةَ، فَإِنِّي أَنَا أَبُوهُمْ وَأَنَا عَصَبَتُهُمْ)). وهذه خصوصيّة لهما ولذريّتهما.

والمقصود بالنساء في آية المباهلة هي: السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

والمقصود بالأنفس هي: نفس سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ونفس سيّدنا علي كرّم الله وجهه ورضي عنه.

وهذه الآية واضحة البيان في فضل ومكانة هؤلاء الأربع من آل البيت، حيث ضمّهم النبي صلى الله عليه وسلم إليه في المباهلة. مع أنّها مختصّة به عليه الصلاة والسلام وبمن يخاصِمُه ويكاذِبُه من النصارى، لأنّ ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله. واستيقانه بصِدْقه. وقد خرج بأعزّ الخلق عليه. وكذلك ليؤكِّد معنى التطهير الذي سبق في عِلْمِ الله تعالى لهؤلاء الأربعة. وأنّ ما انطوت عليه سرائرهم من الإيمان الجازم. والتُّقَى والنّور والصِّدْق واليقين هو نَفْس ما انطوت عليه سريرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. مع مِيزة الرسالة له صلّى الله عليه وآله وسلّم. فكانوا على قَلْب أنقى رَجُل وأنقى مخلوق في هذا الوجود وهو سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وأيّ مكانة أفضل من هذه المكانة. فسبحان مَنْ طهّر منهم الظواهر والبواطن. وجعل قلوبهم محلاًّ لأسراره وأنواره، وهو متعلَّق الآية الكريمة. ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا)).

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ولمزيدِ كرامتهم ومكانتهم عند الله تعالى أوجب المودّةَ لهم. كما جاء في سورة الشورى: ((قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً)). فالنبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم كبقيّة إخوانه من الأنبياء والمرسلين. لا يأخذون أجرًا على تبليغ رسالات الله. والمعنى في الآية هو: إنّي أُذَكِّرُكم المودّة في القربى.

فقد أخرج الإمام أحمد في المناقب والطبراني في الكبير وابن أبي حاتم في التفسير والحاكم في المستدرك في مناقب الإمام الشافعي والواحدي في الوسيط والهيثمي في مجمع الزوائد وأبو حيّان التوحيدي في التفسير والنسفي في مدارك التنزيل وحقائق التأويل. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لمّا نزلت هذه الآية. (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى). قالوا: يا رسول الله مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتُهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما)).

وبعد فريضة هذه المودّة أردفها سبحانه وتعالى بِوَعْد أهلها بزيادة الحُسْنِ عليها فضلا ومَنًّا. بقوله تعالى: ((وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً)). قال بعض أكابر العلماء والأولياء: هذه الحسنة المعبَّر عنها في هذه الآية بالإقتراف. وزيادة الحُسْنِ عليها. هي محبّة ومودّة ساداتنا الأشراف.

وقد أورد نور الدين الهيثمي في مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد والفيروزابادي في فضائل الخمسة من الصِّحاح السّتّة والبلخي في ينابيع المودّة والمحبّ الطبري في ذخائر العُقْبى بألفاظٍ مفادها: أنّه بعدما قُتِل سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه. قام سيّدنا الحسن بن علي رضي الله عنه خطيباً فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واقتصر الخطبة إلى أن قَالَ: مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلُ سيّدنا يُوسُفَ عليه السلام: ((وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)). ثُمَّ أَخَذَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا ابْنُ الْبَشِيرِ، أَنَا ابْنُ النَّذِيرِ، وَأَنَا ابْنُ النَّبِيِّ، أَنَا ابْنُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَأَنَا ابْنُ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ، وَأَنَا ابْنُ الَّذِي أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَوَدَّتَهُمْ وَوِلَايَتَهُمْ؛ فَقَالَ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً)). واقتراف الحسنة مودّتنا آل البيت.

ويوجد بين هذه الآية وما بعدها من الآيات تناسبٌ يفيد وجوب المودّة لآل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. لأنّه لمّا نزلت هذه الآية قال قوم في نفوسهم: ما يُريد إلا أن يحثّنا على أقاربه من بعده. فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّهم اتّهموه. فنزل قولُه تعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً)). فقال القوم: نشهد يا رسول الله أنّك صادق. فنزل قولُه تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ)). فمجرَّد التفكير في التقليل من شأن آل البيت سيّئة لا بدّ لها من توبة. والإستجابة إلاّ بالمودّة في قُرْبَى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم التي هي من الإيمان. لذلك قال بعدها: ((وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)). وهذا التناسب هو الذي حَمَلَ الإمام السدي المفسّر المشهور على أن قال في قوله تعالى: ((قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا

الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)). قال: غفور لذنوب آل محمّد. شكورٌ لحسناتهم. ولله درّ مادحهم إذ يقول:

هُمُ القومُ مَنَ اَصفاهُمُ الْوُدَّ مخلِصا * تمسّك في أُخراه بالسبب الأقوَى

هُمُ القوم فاقوا العالمين مَناقِبا * محاسِنُهُمْ تُجْلى وآثارُهُمْ تُرْوَى

مُوالاتُهُمْ فَرْضٌ وحُبُّهُمُ هُدَى * وطاعتُهُمْ وِدٌّ وَوِدُّهُمُ تَقْوَى

أيّها المسلمون. المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. لهذا اعتنى أئمّة المسلمين من أهل السِّيَر والفقهاء والمحدِّثين، بتبيين وتوضيح ما أوجبه الحقّ تبارك وتعالى على المؤمنين من معرفة حقوق آل البيت ممّا ثبت لهم قرآناً وسنّة تصريحاً وتنويهاً، حيث أفردوا لذلك الأبواب والأجزاء. بل المصنَّفات الخاصّة التي استوعبت ما جاء في حقِّهم من الأثر، وما وفت ما يستحقّونه من القَدْر، وقد أشار الحافظ السخاوي إلى كثرة المصنَّفات في مناقب أهل البيت في مقدّمة كتابه (استجلاب ارتقاء الغُرَف بحبّ أقرباء الرسول وذوي الشَّرَف) بقوله: إذ قد جمع الأئمّة في كلٍّ من عليٍّ والعباس والسبطَيْن تصانيف منتشِرةً في الناس. وكذا قد أُفرِدت مناقب الزهراء وغيرها، مِمَّن قد علا شرَفاً وفخْراً. ولا يَخْفى على ذوي الفنّ والأثر. أنّ الصِّحاح والسُّنَن والمسانيد وغيرها من الكتب. زاخرة بذِكْر فضْلهم، فهذا الإمام البخاري في كتابه الصحيح عَقَد باباً في كتاب الفضائل سمّاه: (باب مناقب قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم). وباباً في مناقب علي بن أبي طالب والسيّدة فاطمة والحسن والحسين. رضي الله عنهم أجمعين. وكذلك الإمام مسلم في صحيحه فعَنْوَن: باب (فضائل أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم). وكذلك في فضائل علي وفاطمة والحسن والحسين والسيّدة عائشة وأمّ سلمة وزينب أمّهات المؤمنين وعبد الله بن عباس وغيرهم من قُرْبَى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ولعلّنا في هذه الرسالة المتواضعة نقف على شاطئ بحر هؤلاء العلماء. ونطوف في حدائق بساتينهم. لنرتشف رَشْفة من إكسير المودّة. أو نعطِّر أجواءنا مِنْ شذى عِطْر القُرْبَى، بفَوْح المِسْك الذَّكِي. من النّسب الزّكي. في سيرة إمامٍ من الدَّوْحة النبوية. وسيّدٍ من العِتْرة المحمدية. مَنْ حاز الشرف من كلّ أطرافه. وجمع المجد

من سائر نواحيه. جدّ السادة الأشراف العلويّين. والسادة الأدارسة. سليل أهل الهدى والتقى. وخامس أهل الكساء. وآخِر الخلفاء. ابن سيّدة النساء. مولاتنا فاطمة الزهراء. إنّه سبط النبي. سيّدنا الإمام أبي محمد الحسن بن مولانا الإمام علي. سلامٌ عليه مِنَ الله العلِي.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

وهذه قَبَسات من سيرته رضي الله عنه. عندما نتأمّل شخصيّة الإمام الحسن رضي الله عنه في التاريخ. نراها شخصيّة متميّزة. سواء في أخلاقه أو أفعاله أو أقواله أو صمته أو مواقفه، فهو وأخيه الإمام الحسين رضي الله عنهما سيّدا شباب أهل الجنّة. وهو أحد اثنَيْن انحصرت فيهما سلالة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وهو أحد الأربعة الذي بَاهَلَ بهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم نصارى نجران. ومن أهل الطُّهْر الذين الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا. وأمرنا الله أَمْر إلزام وطاعة بمودّتهم. وله الكثير من الفضائل بيّنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. كل ذلك يدفعنا إلى تأمّلات ثاقبة من خلال مواقفه العطرة. وحياته الزكيّة. التي تؤكِّد عِلْمه الوافر. فهو بَحْر فيّاض من المُثُل والأخلاق المحمديّة. وفضاء مفتوح من الشريعة السمحة. فهو بِمِنَّة الله لنا بَلْسَم للقلوب، ننهل منه في كل الدروب. وهذه لمحات عن حياته لكي تكون مثلاً يُحتذى. ومنهاجاً يُقتدى.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

ففي الخامس عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثالثة للهجرة، أعلن البيت النبويّ نبأ ميلاد السبط الأوّل، والولد البِكْر لبيت الرسالة، وزُفّت البُشرى إلى المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فنظر إلى السماء فإذ بالوحي ينزل ويقول: إنّ إسم إبن هارون خليفة موسى عليهما السلام كان شُبَّراً. وعَلِيٌّ منك بمنزلة هارون من موسى. فسمِّه حَسَناً، ذلك أنّ شُبَّراً يعني الحَسَن في اللغة العربية.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم لِعَلِيٍّ: ((أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)). قَالَ سَعِيدٌ: فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُشَافِهَ بِهَا

سَعْدًا فَلَقِيتُ سَعْدًا فَحَدَّثْتُهُ بِمَا حَدَّثَنِي عَامِرٌ فَقَالَ: أَنَا سَمِعْتُهُ. فَقُلْتُ: آنْتَ سَمِعْتَهُ؟ فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى أُذُنَيْهِ فَقَالَ: نَعَمْ. وَإِلَّا فَاسْتَكَّتَا. أَيْ صُمَّتَا.

وأخرج ابن سعد في طبقاته عن عمران بن سليمان قال: الحسن والحسين إسمان من أسماء أهل الجنّة. ما سمّت العرب بهما في الجاهلية. وأخرج ابن الأثير في أُسْد الغابة فِي تَرْجَمَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِي رضي الله عنهما قَال: قَالَ أَبُو أَحْمَدِ العَسْكَرِيُّ: سَمَّاهُ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم الْحَسَنَ، وَكَنَّاهُ أَبَا مُحَمَّدٍ، وَلَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ هَذَا الاسْمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وسار في المدينة إسم الحَسَن، كما يسير عَبَقُ الورد.

وعقّ عنه النبي صلى الله عليه وسلم بكبشَيْن يوم السابع، وحَلَق رأسَه. وأمر أن يُتَصدَّق بِزِنَة شَعَرِهِ فضّة. ثمّ أمر بِخَتْنِه فخُتِن.

أخذه جده صلّى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم وقد حضرت عنده السيّدة لُبابة أمّ الفضل زوجة سيّدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عمِّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فيقول لها: رأيتِ رؤيا، في أمري؟ فتقول: نعم يا رسول الله. فيقول لها: قُصّيها عليّ. فتقول: رأيتُ كأنّ قطعةً من جسمك وقعت في حضني. فناولها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم سيّدنا الحسن. الرضيع الكريم، وهو يبتسم ويقول: نعم هذا تأويل رؤياكِ. إنّه بَضْعة منّي. وهكذا أصبحت أمّ الفضل مرضعة لسيّدنا الحسن رضي الله عنه.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لديْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

فتح سيدنا الحسن رضي الله عنه عينيه وتربّى في أحضان جدّه المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وأبيه علي المرتضى. وأمّه السيدة فاطمة الزهراء، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يحبّ حفيده الإمام الحسن حبّا شديدا.

فقد أخرج الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم والحسن على عاتقه وهو يقول: ((اللهم إنّي أُحِبُّهُ فأحِبَّه)). وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: ((سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أيّ أهل بيتك أحبَّ إليك؟ قالّ الحسن والحسين)).

وأخرج الإمام أحمد وغيرُه عن الحسن البصري قال: أخبرني أبو بكرة الثقفي: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم كَانَ يُصَلِّي فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ عَلَى ظَهْرِهِ وَعَلَى عُنُقِهِ فَيَرْفَعُ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم رَفْعًا رَفِيقًا لِئَلَّا يُصْرَعَ. قَالَ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ. فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَهُ. قَالَ إِنَّهُ رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا. وَإِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَعَسَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)). وهذا من أعلام نبوّته صلّى الله عليه وآله وسلَّم. لأنّ المسلمين كانوا يومئذ فرقتَيْن. فرقة مع سيّدنا الحسن رضي الله عنه. وفرقة مع سيّدنا معاوية رضي الله عنه. وهذه معجزة عظيمة من النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر،

وأصل القضية: أنّ سيّدنا عليّا بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه لمّا ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة. وبويع لابنه سيّدنا الحسن بالخلافة في شهر رمضان من هذه السنة. أقام أيّاماً مفكِّراً في أمره. ثم رأى اختلاف الناس فِرْقَة من جهته وفرقة من جهة سيّدنا معاوية. ولا يستقيم الأمر، ورأى النظر في إصلاح المسلمين وحَقْنِ دمائهم أولى من النظر في حقّه. سَلَّم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأوّل من سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً وسمي هذا العام عام الجماعة وهذا الذي أخبره به النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم ((لعلّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْن مِنَ الْمُسْلِمِينَ)). فالحديث فيه عِلْم من أعلام النبوّة، ومنقبة لسيّدنا الحسن بن علي. فإنّه ترك الملك لا لقلّة ولا لذلّة ولا لعلّة. بل لرغبته فيما عند الله تعالى. لِمَا رآه من حقن دماء المسلمين. فراعى أمر الدين ومصلحة الأمّة.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبل النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل فقال: نِعْم المركب ركبتَ يا غلام. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((ونعم الراكب هو)).

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: أشبه أهل النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم به وأحبّهم إليه الحسن بن علي. رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل. ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يدلع لسانه للحسن بن علي فإذا رأى الصبيّ حمرة اللسان يهشّ إليه .

فهذه بعض الأحاديث فيها بيان لفضل سيّدنا الحسن. كما تضمّنت الحثّ على حبّه رضي الله عنه وأرضاه.

وروى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم من الحسن بن عليّ. فكونه رضي الله عنه شَبَهَ جدّه عليه الصلاة والسلام في الخَلْق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة.

وروى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد المقبري قال: كنّا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب علينا فَسَلَّمَ فرددنا عليه السلام. ولم يَعْلَمْ به أبو هريرة. فقلنا له يا أبا هريرة هذا الحسن بن علي قد سَلَّمَ علينا. فلحقه وقال: وعليك السلام يا سيّدي. ثم قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: ((إنّه سيِّد)).

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

أدرك سيّدنا الحسن رضي الله عنه من حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم سبع سنين وأشْهُر، وصحبه إلى أن توفي وهو راضٍ عنه، فكان الأصحاب رضي الله عنهم يكرمونه إكرامًا للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ويحبّونه محبّةً للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم. كيف لا؟!، وقد كان أشبهَ النّاس بالحبيب صلّى الله عليه وآله وسلَّم؟! فقد كان مُحَيَّاه يذكِّر الأصحابَ بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

فكان سيّدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وهو ابن الستّين عامًا يعطف ويحنو على مولانا الحسن الشيءَ الكثير؛ كان إذا رآه يُقْبِل عليه ويبشُّ له، كان رضي الله عنه يقول للناس: ((ارقُبُوا محمّدًا صلّى الله عليه وآله وسلَّم في آل بيته)). وقد

فرض له ولأخيه مولانا الحسن رضي الله عنه من بيت المال فريضة كفريضة أهل بدر، مع صغر سنّهما. محبّةً وإكرامًا للسِّبْطَين الأمجدين.

ثم حذى حذوه سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى خلافته. فرتّب لهما مثل ما رتّبه سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه، روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبّ الحسن والحسين ويقدّمهما على ولده، وقد قسّم يوما مالا، فأعطى كلّ واحد منهما عشرة آلاف، وأعطى ولده عبد الله ألف درهم، فعاتبه إبنه وقال له: قد علمت سبقي في الإسلام وهجرتي وأنت تفضّل عليّ هذين الغلامين، فقال ويحك يا عبد الله، إئتني بجدّ مثل جدّهما، وأب مثل أبيهما، وجدّة مثل جدّتهما، وخال مثل خالهما، وخالة مثل خالاتهما، وعمّ مثل عمّهما، وعمّة مثل عمّتهما. جدّهما رسول لله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وأبوهما علي، وأمّهما فاطمة الزهراء، وجدّتهما خديجة، وخالهما إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وخالاتهما زينب ورقيّة وأمّ كلثوم، وعمّهما جعفر بن أبي طالب، وعمّتهما أمّ هانئ بنت أبي طالب.

ثمّ جاء سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فحفظ لسيّدنا الحسن فضله ومكانته، كما شارك السبطان الكريمان الحسن والحسين في فتح شمال إفريقيا. حيث كانا رضوان الله عليهما في الجيش الذي أرسله سيّدنا عثمان بن عفان في سنة ست وعشرين مددا لعبد الله بن أبي السرح. وَالِيه على مصر بعد أن عزل عمرو بن العاص. وتقابل المدد مع سيّدنا عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة، وفي سنة ثلاثين للهجرة شهدا فتح طبرستان مع سعيد بن العاص. وكذلك كان السبطان الكريمان أوّل المدافعين عن سيّدنا عثمان حين حصره الثوّار في داره ومنعوه الماء.

وكانا السبطان الكريمان مع أبيهما في غزواته. وشهدا معه حرب الجمل وصِفِّين وقتال الخوارج. وكان سيّدنا عليّ يكرِم الحسن إكراماً زائداً. ويعظِّمه ويبجّله. وقد قال له يوماً: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إنّي أستحي أن أخطب وأنا أراك. فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعلي يسمع. فأدّى خطبة بليغة فصيحة. فلمّا انصرف جعل علي يقول: ((ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليم)).

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النعم عليه،

وكانا رضي الله عنهما إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطّمونهما ممّا يزدحمون عليهما للسلام عليهما رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكان ابن الزبير يقول: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي.

وقال غيره : كان الحسن إذا صلّى الغداة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يجلس في مصلاّه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه مَنْ يجلس من سادات الناس يتحدّثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمّهات المؤمنين فيسلِّم عليهنّ وربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. كان سيّدنا الحسن رضي عنه له مناقب كثيرة. كان عابدا جواداً حليماً ذا سكينة ووقار وحشمة. أخرج الحاكم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: لقد حج الحسن خمساً وعشرين حجة ماشياً وإنّ النجائب لتقاد معه.

وأخرج ابن عساكر عن المبرّد قال: قيل للحسن بن علي: إنّ أبا ذرّ يقول: الفقر أحبّ إليّ من الغنى والسُّقْم أحبّ إليّ من الصحّة. فقال: رحم الله أبا ذرّ. أمّا أنا فأقول: مَنِ اتّكل عل حُسْنِ اختيار الله لم يتمنّ أنّه في غير الحالة التي اختارها الله له. وهذا حدّ الوقوف على الرضا بما تصرّف به القضاء.

تزوّج كثيراً رضي الله عنه وترك إثني عشر ذَكَرا. كان منهم الأشراف العلويّين والسادة الأدارسة. أخرج ابن سعد عن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين قال: قال علي: يا أهل الكوفة لا تزوِّجوا الحسن فإنّه رجل مطلاق. فقال رجل من همدان: والله لنزوّجنّه فما رضي أمسك وما كره طلّق.

وكان رضي الله عنه يكره الفتن. وَلِيَ الخلافة بعد قَتْل أبيه. قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: هو آخر الخلفاء الراشدين بنصّ جدّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وَلِيَ الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة

أهل الكوفة. فأقام بها ستّة أشهر وأياماً، خليفة حقّ. وإمام عَدْل وصِدْق. تحقيقاً لما أخبر به جدّه الصادق المصدوق صلّى الله عليه وآله وسلَّم بقوله: الخلافة بعدي ثلاثون سَنَة، فإنّ تلك الستّة أشهر هي المكمِّلة لتلك الثلاثين،

وقال أبو العزّ الحنفي في شرح الطحاوية: وكانت خلافة أبي بكر الصّدّيق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشرة سنين ونصفاً. وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة. وخلافة علي أربعة سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر. وقد روى الترمذي بإسناده إلى مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: الخلافة في أُمّتي ثلاثون سنة ثم مُلْكٌ بعد ذلك، وقد علّق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنّما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنّه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأوّل في سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنّه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النّبوّة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً، وبذلك يكون الحسن خامس الخلفاء الراشدين، رضي الله عنه وأرضاه. وأخرج الحاكم عن جبير بن نفير قال: قلت للحسن إنّ الناس يقولون: إنّك تريد الخلافة. فقال: قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون مَنْ حاربت ويسالمون مَنْ سالمت. فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم ثم أبتزّها بأتياس أهل الحجاز.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

أيّها المحبّون. توفي رضي الله عنه بالمدينة المنوّرة مسموماً. سمّته زوجته جعدة بنت الأشعث ابن قيس. دسّ إليه يزيد بن معاوية أن تسمَّه فيتزوّجها ففعلت. فلما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال: إنّا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا. وكانت وفاته في السابع من شهر صفر سنة خمسين للهجرة. وهو ابن سبع أربعين سنة. وجَهِدَ به أخوه الحسين أن يخبره بمن سقاه السّمّ فلم يخبره وقال: اللهُ أشدّ نقمة إن كان الذي أظنّ. وإلا فلا يُقْتَلُ بي واللهِ بري .

وأخرج ابن سعد عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال: رأى الحسن كأنّ بين عينيه مكتوباً ((قل هو الله أحد)). فاستبشر به أهل بيته فقصّوها على سعيد بن المسيِّب فقال: إن صدقت رؤياه فقلّ ما بقي من أجله. فما بقي إلا أيام حتى مات.

وقال ابن عبد البر وروينا من وجوه: أنّه لما احتضر قال لأخيه: يا أخي إنّ أباك استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ووليّها أبو بكر ثم استشرف لها وصرفت عنه إلى عمر ثم لم يشك وقت الشورى أنّها لا تَعْدُوه فصُرِفت عنه إلى عثمان فلما قُتِل عثمان بويع علي ثم نوزعِ حتى جرّد السيف. فما صفت له. وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة. فلا أعرفن ما استخلفك سفهاء الكوفة فأخرجوك. وقد كنتُ طلبتُ من عائشة رضي الله عنها أن أُدفن مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت نعم. فإذا مِتُّ فاطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سيمنعونك. فإن فعلوا فلا تراجعهم.

فلما مات أتى الحسين إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: نعم وكرامة. فمنعهم مروان. فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى ردّه أبو هريرة. ولمّا أرادوا أن يصلّوا عليه. قدّم أخوه الحسين سعيد بن العاص وكان واليا على المدينة من جهة معاوية. وقال: لولا أنّها سنّة ما قدّمتك. ثم دُفِن بالبقيع إلى جَنْب أمّه رضي الله عنها. فالسلام عليه يوم وُلد ويوم استُشهد ويوم يُبعث حيًّا.

وذكر ابن كثير في تاريخه: أنّه لمّا دُفِن وقف على قبره أخوه محمد بن علي فقال: يرحمك الله يا أبا محمد. فإن عزّت حياتك. لقد هدّت وفاتك. ولنعم الروح روحٌ تضمّنه بدنك. ولنعم البدن بدنٌ تضمّنه كفنك. وكيف لا يكون هكذا وأنت سليل الهدى. وحليف أهل التقى. وخامس أصحاب الكساء. غذّتك أكفّ الحقّ. وربّيت في حِجْر الإسلام. ورضعت ثدي الإيمان. وطِبْت حيّا وميّتا. وأن كانت أنفسنا غير طيّبة بفراقك. فلا نشكّ في الخيرة لك. يرحمك الله. ثم انصرف عن قبره.

ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيته. وهو يرثي سبطي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فيقول.

وَبِرَيْحَانَتَيْنِ طِيبُهُمَا مِنْـــ*ــكَ الذِي أُودِعَتْهُمَا الزَّهْرَاءُ

كُنْتَ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آ * وَتْ مِنَ الْخَطِّ نُقْطَتَيْهَا الْيَاءُ

مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِينِيَ الطَّـ*ــفُّ مُصَابَيْهِمَا وَلاَ كَرْبَلاَءُ

مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرْءُو * سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرُّؤَسَاءُ

أَبْدَلُوا الْوِدَّ وَالْحَفِيظَةَ فِي القُرْ * بَى وَأَبْدَتْ ضِبَابَهَا النَّافِقَاءُ

وَقَسَتْ مِنْهُمُ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ * بَكَتِ الأَرْضُ فَقْدَهُمْ وَالسَّمَاءُ

فَابْكِهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّ قَلِيلاً * فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابِ الْبُكَاءُ

كُلَّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكَرْبِي * مِنْهُمُ كَرْبَلاَ وَعَاشُورَاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي * لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمُ التَّأْسَاءُ

غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللـ*ــهِ وَتَفْوِيضِيَ الأُمُورَ بَرَاءُ

رُبَّ يَوْمٍ بِكَرْبَلاَءَ مُسِيءٍ * خَفَّفَتْ بَعْضَ رُزْئِهِ الزَّوْرَاءُ

وَالأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ * مِنْهُمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ الْـ*ـمَدْحُ لِي فِيكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ

أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحـ***ــتُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ

سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمْ * سَوَّدَتْهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ

وفي هذا القَدْر كفايةٌ. لِمَنْ كتب الله له الهداية.

فلنرفع أكفّ الضراعة والإفتقار. إلى حضرة المجيب الغفار. متوسّلين بالحبيب الشفيع. سيّدِنا ومولانا محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم وأهل بيته ذوي القدر الرفيع. اللهمّ إنّا نُشْهِدُك. ونشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ونحبّ أهل بيته الطاهرين الطيّبين. عليّا وفاطمة. والحسن والحسين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. أن توفّقنا لصالح الأعمال والأقوال المرضية. وتحفّنا باللطف يا مَنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه. وحقّقنا بأسرار أهل البيت واحشرنا في زمرتهم العلية. واجعلنا من المخلصين لهم إلى بلوغ الأجل منتهاه. وأمدّنا بأمدادهم واجعل عيشتنا هنية. واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة وأنلنا شفاعة حبيبك الدّرّة

المنتقاه. سيّدنا ومولانا محمد بن عبد الله. صلّى وسلَّم وبارَك عليه. وعلى آله وأصحابه وآل بيته ومن والاه. صلاة تعرّفنا بها إياه. اللهم انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولاتخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

04- قُرّةُ العَيْن في إزالةِ الرَّيْن عن بعضِ مناقبِ ريحانةِ وسِبْطِ سيّدِ الثَّقَلَيْن سيّدِنا ومولانا الإمامِ الحُسَيْن سلام الله عليه بِلاَ مَيْن

الحمد الذي أطلع شمسَ الحقيقة المحمدية في سماء الأزل ساطعةَ الأنوار. واستخرج من أصداف الدرّة المصطفوية فرائد العِتْرة النبوية السامية المنار. وخَصّ الشرف والسيادة بفروع الزهراء البتول الطاهرة النقيّة. فكانوا شموس الأمّة المحمّديّة. وبدورا في أفلاك السعادة الأبديّة. وكواكب الإهتداء في الكليّة والجزئيّة.

هُمْ مَعشَرٌ حُبُّهُم فَرْضٌ وَبُغْضُهُمُ * كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجًى وَمُعتَصَمُ

إنْ عُدّ أهْلُ التُّقَى كانوا أئِمَّتَهُمْ * أوْ قيل مَنْ خيرُ أهْلِ الأرْض قيل هُمُ

مُقَدَّمٌ بَعْد ذِكْرِ الله ذِكْرُهُمُ * في كلّ بَدْءٍ وَمَختومٌ به الكَلِمُ

يُسْتَدْفَعُ الشرُّ وَالبَلْوَى بحُبّهِمُ * وَيُسْتَرَبُّ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

فسبحانه من إله خصّ العِتْرة الطاهرة بالشرف والسيادة. وجعل نور النبوّة في كريم وجوههم شاهدا على نَيْل السعادة. وأكرمهم بالفخر العظيم بنيل الشهادة. وجعلهم مِمَّن فاز بالحسنى وزيادة.

نحمده تعالى ونشكره شُكْر مَنْ حقّت به السعادة فظَفِر بمأموله. وخُصّ بأحسن الجواهر من أطيب المعادن لكمال تأهيله. على أن نظّمنا في سِلْك محبّيهم المتمسّكين من محبّتهم بأقوى سبب. الداخلين في عموم قَوْل الصادق المصدوق

صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)). حشرنا الله في زُمْرتهم. وأماتنا على محبّتِهم. آمين.

مَحَبَّةُ أهلِ البيت سِرٌّ مطهَّرُ * يُخَصُّ بها القلبُ المضيء المنوَّرُ

ويَحظى بها مَنْ كمّل الله قدرَه * وكان له مِنْ عالِمِ الغيب مظهرُ

ومَنِ مثل هذا البيت في الفخر والعلا * وجدُّهُمُ طهَ الأمين وحيْدرُ

فقل للذي أضحى غبيّا بشأنِهِمْ * أتجهل قوما وَصْفُهم ليس يُحْصَرُ

وهم أَمْنُ أهلِ الأرض والسادة الأُولى * إذا ذُكِروا ما غيرُهُمْ قطّ يُذْكَرُ

فحبُّهُمُ يَحْمِي ويُنجِي من الرَّدَا * وبغضُهُمُ عن رحمة الله يُدْحِرُ

وحَسْبُك ربُّ العرش أثنى عليهِمُ * وهل فوق مَدْح الله عِزٌّ ومَفْخَرُ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. خَصَّ مَنْ شاء بالكمال الغريزي والْمُكْتَسَبْ. وشرّف ذرّيّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم بفضيلة النّسبْ. التي لا تُدْرَكُ بالإكتساب. ولا تنقطع يوم تنقطع الأنساب. وقال مادحُهم:

قال لي قائلٌ رأيتُك تَهْوَى * آلَ طه ودائماً ترتجيهِمْ

كان حقّاً عليك أنْ تقضيَ الـ*ـعُمْرَ مادحاً فيهمُ وفي مَنْ يليهم

قلتُ ماذا أقول والكَوْن طُرّاً * يستمِدّ العطاءَ من أيديهم

أَيُّ معنى للمدح منّي وقد جا * ء الكتابُ العزيز بالمدح فيهم

أنا لا أستطيعُ أمْدح قوما * كان جبريلُ خادِماً لأبيهم

ربّي ما لي وسيلةً غيرَ حُبِّي * آلَ طه وكلَّ مَنْ يقتفيهم

حُبُّهم مذهبي وروحُ فؤادي * وغرامي لِصَحْبِهِمْ وذويهِمْ

فأغثني بحقّهم ياإلهي * أنا ضَيْفٌ نزلتُ في ناديهم

واعفُ عمّا جنَيْتُ فضلا وإحـ*ـساناً فإنّي قد صِرْتُ مِنْ مادحيهم

يا إلهي وَأْذَنْ بِسُحْبِ صلاةٍ * تَتَوَالَى بِمَضْجَعٍ يَحْوِيهِمْ

وأشهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. الذي طهّر الله عنصُرَه الشريف. وخَصَّ ذرّيّتَه الطاهرة من أبي الحَسَنَيْن بكمال السيادة والتشريف. نبيٌّ شرّف الله بالإنتساب إليه أولادَ فاطمة. وجعل ملّتَه لجميع الأديان حاطِمة. المبعوثُ بأشرف الآيات للثقليْن. المتشرَّفُ مَنْ تسمّى باسمه واسمِ أولاده الحَسَن والحُسَيْن. ورحم الله الذي قال:

يا خمسةٌ يُكفى بها * شرُّ الأمورِ الحاطمَهْ

المصطفى والمرتضى * وابناهما وفاطمَهْ

يا سامعين مديحَهم * صلّوا على جدِّهم دائما

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّنا محمد. وعلى آله وأصحابه. وسِبْطَيْه المتخلِّقَيْنِ بأخلاقه المتأدّبَيْنِ بآدابه. المنتسبَيْنِ لِعَلِيِّ جنابه. صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن. ما حنّ مشتاقٌ إلى سماع مناقبِ سيِّدِنا الحُسَيْن. وما وَلِهَ بها مِحبٌّ ففاز بسعادة الدارَيْن. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين.

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

يقول الله تعالى في سورة الأنعام. وقولُه الحقّ: ((وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)). ألا وإنّ من كلمات الله التي قضاها. وحَكَمها وقدّرها. أنّ سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلَّم خاتَم الرسل. وسيِّد الأنبياء. وأنّه جلّ وعلا بعثه على حين فَتْرة من الرسل. ودُرُوسٍ من الكتب. فأتمّ به الرسالات. وختم به النبوّات. فلا نبيّ بعده صلوات الله وسلامه عليه. وقد كتب الله له أنّه صاحب اللواء المعقود. والحوض المورود. وأنّه أوّل مَنْ يحرِّك بيديه حَلَقَةَ باب الجنّة. بل إنّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم أكرم الخَلْق على الله.

قال أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته نهج البردة:

شُمُّ الجِبالِ إذا طاوَلْتَها انخَفَضَتْ * وَالأَنجُمُ الزُّهْرُ ما وَاسَمْتَها تَسِمِ

اللهُ قَسَّمَ بَينَ الناسِ رِزقَهُمُ * وَأَنتَ خُيِّرْتَ في الأَرزاقِ وَالقِسَمِ

فمحبّتُه صلّى الله عليه وآله وسلَّم مع الإيمان به من قبلُ. وتصديقُه وامتثالُ أوامره واجتناب نهيه. هي الدين ُكلُّه. وهو من أعظم أسباب رضوان الله جلّ وعلا على العبد. فإنّ الله تعالى جعل الطريق الموصِل إلى رحمته إنّما يكون بهديه صلوات الله وسلامه عليه.

أيّها المسلمون. المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وإنّ ممّا قضاه الله جلّ وعلا. وحَكَمه وقدّره وأمضاه. أنّ أهلَ البيت. عليهم السلام. آلَ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم لهم من الحقّ ما ليس لغيرهم. لمقامهم وكرامتهم وقرابتهم منه صلوات الله وسلامه عليه. كيف لا وفيهم من دمائه دم، ومن روحه نبض. ومن نوره قبس. ومن شذاه عبق. ومن وجوده بقيّة. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فآلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم الْمَوْئِلُ الكريم. والمقام المبجَّل في الدين. فمودّتُهم ومحبّتُهم جزءٌ من شريعة المسلمين، فهي دين وملّة وقُرْبة.

يقول الله تعالى في سورة الشورى: ((قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)). وهذا أسلوب من أساليب الحصر. فحصر الجزاء في كل ما قام به عليه الصلاة والسلام في جانب تبليغ الرسالة. والقيام بأعباء هذا الأمر. حَصَرَه في مودّة قرابته. الذين هم أهل بيته. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لمّا نزلت هذه الآية. قالوا: يا رسول الله! مَنْ أهل قرابتك هؤلاء، الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما)). أخرجه الإمام أحمد في المناقب. والطبراني في الكبير. وابن أبي حاتم في تفسيره.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها أنّها قَالَتْ: ((خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ. فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)).

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فمحبّة أهل البيت واجبة على البشر، حرمةً وتعظيما لسيِّد البشر، صلّى الله عليه وآله

وسلَّم. أخرج الإمام أَحْمَد عَنْ عَبْد الْمُطَّلِب بْن رَبِيعَة قَالَ: دَخَلَ الْعَبّاس رَضِيَ الله عَنْهُ عَلَى رَسُول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: إِنّا لَنَخْرُج فَنَرَى قُرَيْشًا تُحَدِّث فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا. فَغَضِبَ رَسُول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْن عَيْنَيْهِ. ثُمَّ قَالَ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((وَاللهِ لاَ يَدْخُل قَلْبَ اِمْرِئٍ مُسْلِمٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ وَلِقَرَابَتِي)).

وقال العلامة الجليل ابن عجيبة الحسني في تفسيره (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد): فمحبّة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم ركن من أركان الإيمان، وعقد من عقوده، لا يتمّ الإيمان إلاّ بها، وكذلك محبّة أهل بيته، وفي الحديث: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحبّني، ولا يحبّني حتى يحبّ ذوي قرابتي، أنا حَرْب لِمَنْ حاربهم، وسِلْمٌ لمن سالمهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، ألا مَنْ آذى قرابتي فقد آذاني، ومَنْ آذاني فقد آذى الله تعالى))، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوّا، كتاب الله تعالى وعترتي))، فانظر كيف قَرَنَهم بالقرآن في كَوْن التمسُّك بهم يمنع الضلال.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. هذه قَبَساتٍ من حياة ومناقب. ريحانةِ وسِبْطِ سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. الإمامِ أبي عبد الله الحُسَيْن. عليه سلام الله. والْقَصْدُ من ذلك التبرّك بذِكْر أئمّة الصالحين. لأنّ بِذِكْرِهم تتنزّل الرحمات. قال الإمام أبو حنيفةَ النُّعْمان رحمه الله: لَسِيَرُ الصالحين أحبُّ إلينا من كثيرٍ من الفقه. وقال بعضهم:

أَسْرِدْ حديثَ الصالحين وسَمِّهِم * فبِذِكْرِهِم تتنزّل الرَّحَماتُ

وَاحْضُرْ مَجالِسَهُمْ تَنَلْ بركاتِهِمْ * وقبورَهُمْ زُرْهَا إذا ما ماتُوا

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

فنقول مستعينين بحول الله وقوّته القويّة. مُسْتَمَدِّين من فيوضاته الفَيْضِيّة. مستغيثين بالقُدْرة الأَحَديّة. مُتَيَمِّنِين بفضائل باسم الله. فنقول: هو فَرْعُ الشجرة الزكيّة. وبهاءُ البِضْعة النبويّة. وجدُّ السادة الحُسَيْنيّة. ثاني السِّبْطَيْن. ورَيحانةُ سيِّدِ الثَّقَلَيْن. سيِّدُنا ومولانا أبو عبدِ الله الإمامِ الحُسَيْن. بنُ مَوْلاتِنا فاطمة الزهراء البتول. بنتُ سيِّدِنا الرسول. صلَّى الله وسلَّم عليه في البكور والأُصول. وابنُ إمامِ أهلِ المشارق

والمغارب، أميرِ المؤمنين سيِّدِنا علي بن أبي طالب، ففضائله رضي الله عنه لا تُحصى. ومناقبه نفعنا الله به لا تُستَقْصى.

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: ((هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنْ الدُّنْيَا))، يعني الحَسَن والحُسَين. رضي الله عنهما.

وأخرج الترمذي في صحيحه والحاكم في المستدرَك والإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((الحسن والحسين سيِّدَا شبابِ أهلِ الجنّة)). وفي الترمذي عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: ((طَرَقْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ الْحَاجَةِ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ. فَلَمّا فَرَغْتُ مِنْ حَاجَتِي قُلْتُ: مَا هَذَا الّذِي أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَكَشَفَهُ فَإِذَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عَلَى وَرِكَيْهِ. فَقَالَ: هَذَانِ ابْنَايَ وَابْنَا ابْنَتِي اللّهُمّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا)).

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لديْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. لقد أولى النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم سِبْطَيْهِ رعايَتَه ومحبّتَه؛ لِيُرِي المسلمين مدى مكانَتَهما عنده. حتّى يحفظوا لهما جناح المودّة. ففي تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: إنّ نصراً بنَ علي الأزدي حدّث أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ بيد حَسَنٍ وحُسَيْنٍ فقال: ((مَن أحبّني وأحبّ هذَيْن وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة)). وفي سُنَنِ الترمذي وتيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول لابن الدَّيْبَع الشيباني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ. وَكَانَ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ: ادْعِي لِيَ ابْنَيَّ فَيَشُمُّهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْه)). وأخرج الطبراني في الكبير. والحاكم في المستدرك. والخطيب البغدادي في تاريخه. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

قال: قال رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم:((كُلُّ بَنِي آدَمَ يَنْتَمُونَ إِلَى عَصَبَةِ أَبِيهِمْ إِلا وَلَدَ فَاطِمَةَ، فَإِنِّي أَنَا أَبُوهُمْ وَأَنَا عَصَبَتُهُمْ)).

هُمُ القومُ مَنَ اَصفاهُمُ الْوُدَّ مخلِصا * تمسّك في أخراه بالسبب الأقوَى

هُمُ القوم فاقوا العالمين مناقبا * محاسِنُهُمْ تُجْلى وآثارُهُمْ تُرْوَى

موالاتُهُمْ فَرْضٌ وحُبُّهُمُ هُدَى * وطاعتُهُمْ وِدٌّ وَوِدُّهُمُ تقوى

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وقد تواترت الأخبار عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم. في فضل رَيْحانته الإمام الحسين رضي الله عنه. وهي تحمل جانباً كبيراً من اهتمام الرسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم به. ففي تاريخ ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ((مَن أراد أن ينظر إلى سيِّدِ شبابِ أهلِ الجنّة فلينظر إلى الحسين بن علي)). وأخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو حامل الحسين بن علي. ويقول: ((اللّهمّ إنّي أُحِبُّه. وأحبّ كلَّ مَنْ يحبّه)).

وروى البخاري في التاريخ الكبير. والإمام أحمد في مسنده. وابن ماجة في سننه. وابن حبان. وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم فَدُعِينَا لِطَعَامٍ، قَالَ: فَإِذَا الْحُسَيْنُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أَمَامَ الْقَوْمِ، يَعْنِي ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا، وَالنَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقْنِهِ وَالأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ ثُمَّ اعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: ((حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الأَسْبَاطِ)).

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

وُلِدَ رضي الله عنه بِعِراصي طَيْبَةَ الطّيِّبةِ بساكنها الرسول الأمين. في الثالث من شعبان بعد هجرة جدّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم بأربع سنين. وتربّى في مهد العزّ والدَّلاَل. مُرْتَضِعا ألبان ثدي الإسعاد والإدْلال. مُلاَحَظًا بعين الحفظ والرعاية. مُخْلَعًا عليه لباس العرفان والولاية. وأذّن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم في أُذُنَيْه وسمّاه الحُسَيْن. فبلغ بذلك أعلى رُتْبةٍ وأرفعَها وأعزَّها بلا مَيْن. وعقّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلَّم بكبْشٍ وفي النّسائي بكبشَيْن. وخُتِن يوم السابع وأمر أُمَّه رضي الله عنها بحَلْق رأسه ووَزْن شَعْرِه والتصدُّقِ بزِنَتِه. وأعطت أمُّه القابِلةَ فَخِذَ شاةٍ ودينارا. فكانت عادة أهل المدينة عطيّة ذلك زادهم الله اتّباعا ووقارا.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

وكان رضي الله عنه حليما كريما حيّيا ورِعا زاهدا. حجّ خمسا وعشرين حجة ماشيا على قدميه. وركائبه تقاد بين يديه.

ومن جواهر حِكَمه رضي الله عنه قوله: إعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نِعَمِ الله عزّ وجلّ. فلا تبخلوا بالنعم فتعود عليكم نِقَمًا.

وكان رضي الله عنه يقول: مَنْ جاد ساد. ومَنْ بخل ذلّ. ومَنْ يُعجِّلْ لأخيه خيرا وجده إذا قدِمَ عليه.

وكان رضي الله عنه يقول: صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك. فأكرم أنت وجهك عن ردّه. إلى غير ذلك من جواهره الحِكَمية.

ومن كمال عقله رضي الله عنه ما جاء في ذخائر العقبى للمحبّ الطبري: أنّ أبا هريرة رضي الله عنه روى عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنّه قال: ((لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، والسابق السابق إلى الجنّة))، قال أبو هريرة: فبلغني أنّه كان بين الحسن و الحسين هجران وتشاجر، فقلت للحسين رضي الله عنه: الناس يقتدون بكما فلا تتهاجرا، واقصد أخاك الحسن أدخل عليه وكلِّمْه فأنت أصغر منه سِنًّا، فقال: لولا أنّي سمعتُ رسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: ((السابق السابق إلى الجنّة)) لقصدته، ولكن أكره أن أسبقه إلى الجنّة، فذهب إلى الحسن فأخبره بذلك فقال: صدق أخي، وقام وقصد أخاه وكلَّمَه واصطلحا، رضي الله عنهما.

هذا وقد وقع أمْرٌ مشابه لذلك مع الإمام الحسين وأخيه محمد بن الحنفية، ممّا حملهما على الإفتراق متغاضبَيْن، فلم يلبث محمد أن كتب إلى الإمام الحسين يقول: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي بن أبي طالب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أمّا بعد، فإنّ لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أُدْرِكه، أبونا علي رضي الله عنه، لا أفضلك فيه ولا تفضلني، وأُمُّك فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمّي، ما وافين بأمّك، فإذا قرأت رقعتي هذه فَأَلْبِس رداءك ونعليك وتعالى فَتُرْضِني، وإيّاك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به منّي، والسلام))،

فما أن تلقّى الإمام الحسين هذه السطور من أخيه فَفَهِم مقصودها، وعَلِمَ أنّ أخاه الأصغر يشير في كلامه إلى حديث سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلَّم الذي يُحَرِّمُ فيه التقاطع ويحثّ على التسامح والعفو، فلقد روى البخاري في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال: ((لا يحلّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فيُعْرِض هذا، ويعرض هذا، وخَيْرُهُما الذي يبدأ بالسلام))، فلم يتردّد ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم في الإستجابة لطلب أخيه، ولم يمنعه أنّه الأكبر سِنًّا، والأشرف حسبا ونسبا، أن يأتِيَه ويترضّاه.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

وأمّا أوصافُه رضي الله عنه فإنّه أشبه الناس بجدّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فقد روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده وابن سعد في طبقاته عن سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه قال: ((الحسنُ أشبهُ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ما بين الصدر والرأس، والحسينُ أشبهُ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ما كان أسفل من ذلك)). ولذا أحبّه الصحابة. وعظّمه الخلفاء منذ صغره. رضي الله عنه.

كما ورث شجاعة جدّه وكرمه صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فقد روى الطبراني في الكبير. وابن حجر في الإصابة وأبو نُعَيْم في الحِلْيَة عن زَيْنَب بِنْتِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم، أَنَّهَا أَتَتْ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا أَبَاهَا رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فِي شَكْوَتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَقَالَتْ: تُوَرِّثُهُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: ((أَمَّا الْحَسَنُ فَلَهُ هَيْبَتِي وَسُؤْدُدِي، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَلَهُ جُرْأَتِي وَجُودِي)).

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

ولمّا فتح المسلمون بلاد الفرس، وجِيء ببنت يَزْدَجِرْد مِلِك الفرس إلى سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكانت من أجمل النّساء، فلم يستأثرها سيّدنا عمر لنفسه ولا لذريّته وأقاربه، وإنّما أهداها إلى أحبّ الناس إليه، أهداها لسيّدنا الحسين رضي الله عنه. فتزوَّجها وأنجبت له سيّدنا عليّ زين العابدين، وهو الوحيد الذي بقي من نسل الإمام الحسين رضي الله عنهما. ومنه تفرّعت السلالة الحسينية الشريفة الطاهرة. حشرنا الله في زُمْرَتهم. وأمتانا على محبّتهم. آمين.

أدرك سيّدنا الحسين رضي الله عنه ستّ سنوات من عصر النبوّة. حيث كان فيها موضع الحبّ والحنان من جدّه صلّى الله عليه وآله وسلّم. إلى أن توفي وهو راضٍ عنه،

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلّم. في يوم الجمُعةِ. العاشر من المحرّم سنة إحدى وستّين للهجرة. نال سيّدنا الحسين رضي الله عنه الشهادة. حيث قُتِلَ شهيدا على أيدِي فِئَةٍ ظالمةٍ باغية. بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق. وهو ابن ستة وخمسين سنة. فكانت وفاته مصيبةٌ كبرى فظيعة. ألمّت بالمسلمين وأفجعتهم، وملأت القلوب حُزْنًا وأسى ومرارة. فكانت هذه الحادثة من معجزات النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. التي أخبر عنها.

فقد روت كتب السنّة عن أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم جالسًا ذات يوم في بيتي؛ قال: لا يدخل عليّ أحد. فانتظرت، فدخل الحسين، فسمعت نشيج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يبكي، فاطّلعت فإذا حسين في حجره والنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل. فقال: إنّ جبريل عليه السّلام كان معنا في

البيت؛ قال: أفتحبّه؟ قلت: أما في الدنيا فنعم. قال: إنّ أمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء، فتناول جبريل من تربتها، فأراها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم)). فلمّا أحيط بالحسين رضي الله عنه حين قتل؛ قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء. فقال: صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أرض كَرْبٍ وبلاء.

اللهم انشر نفحات الرِّضْوان عليه. وأمِدَّنا بالأسرار التي أَوْدعتها لدَيْه. اللهم احشرنا مع جدّه وأبيه. وأمّه وأخيه. وذريّته ومحبّيه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وأحسن ما يقال عند ذِكْر هذه المصائب وأمثالِها ما رواه سيّدُنا علي زينُ العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهما عن جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنّه قال: ((ما من مسلم ولا مسلمة تُصِبْه مصيبة فيتذكّرُها وإن قَدِمَ عهْدُها فيُحْدِث لها استرجاعا إلا أحدث الله له عند ذلك أجرا وأعطاه ثواب ما وعده يوم أصيب بها)). رواه الإمام أحمد وابن ماجة.

ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيته يرثي السبطَيْن رضي الله عنهما ومتوسِّلا بهما:

وَبِرَيْحَانَتَيْنِ طِيبُهُمَا مِنْــ*ــكَ الذِي أُودِعَتْهُمَا الزَّهْرَاءُ

كُنْتَ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آ * وَتْ مِنَ الْخَطِّ نُقْطَتَيْهَا الْيَاءُ

مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِينِيَ الطَّـ*ــفُّ مُصَابَيْهِمَا وَلاَ كَرْبَلاَءُ

مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرْءُو * سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرُّؤَسَاءُ

أَبْدَلُوا الْوِدَّ وَالْحَفِيظَةَ فِي الْقُرْ * بَى وَأَبْدَتْ ضِبَابَهَا النَّافِقَاءُ

وَقَسَتْ مِنْهُمُ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ * بَكَتِ الأَرْضُ فَقْدَهُمْ وَالسَّمَاءُ

فَابْكِهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّ قَلِيلاً * فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابِ الْبُكَاءُ

كُلَّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكَرْبِي * مِنْهُمُ كَرْبَلاَ وَعَاشُورَاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي * لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمُ التَّأْسَاءُ

غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللـ*ــهِ وَتَفْوِيضِيَ الأُمُورَ بَرَاءُ

رُبَّ يَوْمٍ بِكَرْبَلاَءَ مُسِيءٍ * خَفَّفَتْ بَعْضَ رُزْئِهِ الزَّوْرَاءُ

وَالأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ * مِنْهُمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ الْـ*ـمَدْحُ لِي فِيكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ

أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحـ*ـتُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ

سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمْ * سَوَّدَتْهُ الْبَيْضَاءُ والصَّفْرَاءُ

وفي هذا القَدْر كفايةٌ. لِمَنْ كتب الله له الهداية.

اللهمّ إنّا نُشْهِدُك. ونشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم. ونحبّ أهل بيته الطاهرين الطيّبين. عليّا وفاطمة. والحسن والحسين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. أن توفّقنا لصالح الأعمال والأقوال المرضية. وتحفّنا باللطف يا مَنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه. وحقّقنا بأسرار أهل البيت واحشرنا في زمرتهم العلية. واجعلنا من المخلصين لهم إلى بلوغ الأجل منتهاه. وأمدّنا بأمدادهم واجعل عيشتنا هنية. واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة وأنلنا شفاعة حبيبك الدّرّة المنتقاه. سيّدنا ومولانا محمد بن عبد الله. صلّى وسلّم وبارَك عليه. وعلى آله وأصحابه وآل بيته ومن والاه. صلاة تعرّفنا بها إياه. اللهم انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولاتخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم:((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

05- سيرة سيّدنا الحسن بن الإمام علي رضي الله عنهما

الحمد لله الذي نظر إلينا بعين عنايته في سابق الأزل. وقسّم لنا من محبّة جنابَ هذا النبيّ الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم الحظّ الأَوْفر والقِسْم الأجلّ. وعمّر قلوبنا بمودّة أهلِ القُرْبَى من نَسَبِهِ الطاهر الكريم. فيا بُشْرَانَا حين نجتمع بهم في جنّات النّعيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. كتب لذرية نبيّنا صلى الله عليه وسلم في قلوب أوليائه تعظيماً وحُبًّا، بقوله تعالى اسمه: ((قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)). وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. نبيٌّ شرّف الله به ذريّتَه على جميع العالمين. خصوصا الزهراء والحسن والحسين. إخواني مَنْ أراد منكم تيسير أَمْرِه وتفريج كَرْبِه. فليكثِرْ من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. فالصلاة عليه في الذنوب شافعة. وفي قضاء الحاجات نافعة. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. وعلى بَضْعَتِه الزهراء وسبطَيْه الحسن والحسين. وعلى آل بيته أجمعين. وصحابته القائمين بشريعته على سَنَنِ الإيضاح والتبيّين. صلاة نكون بها ممَّن نوّرتَ بصائرَهم بنور الفتح المبين. وجعلتَهم من أهل الرسوخ والتمكين. وسلكتَ بهم طريق الأئمّة المهتَدين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لا خفاء على مَنْ مارس شيئاً من العِلْم. أو خُصَّ بأدنى لمحة من الفهم. بتعظيم الله تعالى قَدْر آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ولمزيدِ كرامتهم ومكانتهم عنده سبحانه أوجب المودّةَ لهم. كما جاء في سورة الشورى: ((قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)). وبعد فريضة هذه المودّة أردفها سبحانه وتعالى بِوَعْد أهلها بزيادة الحُسْنِ عليها. بقوله تعالى: ((وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً)). قال بعض أكابر العلماء والأولياء: هذه الحسنة المعبَّر عنها في هذه الآية بالإقتراف. وزيادة الحُسْنِ عليها. هي محبّة ومودّة ساداتنا الأشراف. ويوجد بين هذه الآية وما بعدها من الآيات تناسبٌ يفيد وجوب المودّة لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأنّه لمّا نزلت هذه الآية قال قوم في نفوسهم: ما يُريد إلا أن يحثّنا على أقاربه من بعده. فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنّهم اتّهموه. فنزل قولُه تعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً)). فقال القوم: نشهد يا رسول الله أنّك صادق. فنزل قولُه تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ)). فمجرَّد التفكير في التقليل من شأن آل البيت سيّئة لا بدّ لها من توبة. والإستجابة إلاّ بالمودّة في قُرْبَى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي من الإيمان. لذلك قال بعدها: ((وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)). أيّها المسلمون. وقد أشار الحافظ السخاوي إلى كثرة المصنَّفات في مناقب أهل البيت في مقدّمة كتابه (استجلاب ارتقاء الغُرَف بحبّ أقرباء الرسول وذوي الشَّرَف) بقوله: إذ قد جمع الأئمّة في كلٍّ من عليٍّ والعباس والسبطَيْن تصانيف منتشِرةً في الناس. وكذا

قد أُفرِدت مناقب الزهراء وغيرها، مِمَّن قد علا شرَفاً وفخْراً. ولا يَخْفى على ذوي الفنّ والأثر. أنّ الصِّحاح والسُّنَن والمسانيد وغيرها من الكتب. زاخرة بذِكْر فضْلهم، فهذا الإمام البخاري في كتابه الصحيح عَقَد باباً في كتاب الفضائل سمّاه: (باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم). وباباً في مناقب علي بن أبي طالب والسيّدة فاطمة والحسن والحسين. رضي الله عنهم أجمعين. وكذلك الإمام مسلم في صحيحه فعَنْوَن: باب (فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم). وكذلك في فضائل علي وفاطمة والحسن والحسين والسيّدة عائشة وأمّ سلمة وزينب أمّهات المؤمنين وعبد الله بن عباس وغيرهم من قُرْبَى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولعلّنا في هذه الخطبة نطوف في حدائق بساتين هؤلاء العلماء. لنعطِّر أجواءنا مِنْ شذى عِطْر القُرْبَى، بفَوْح المِسْك الذَّكِي. من النّسب الزّكي. في سيرة إمامٍ من الدَّوْحة النبوية. وسيّدٍ من العِتْرة المحمدية. سليل أهل الهدى والتقى. وخامس أهل الكساء. وآخِر الخلفاء. ابن سيّدة النساء. مولاتنا فاطمة الزهراء. إنّه سبط النبي. سيّدنا الحسن بن الإمام علي. سلامٌ عليه مِنَ الله العلِي. الذي في مثل يومنا هذا السابع من شهر صفر. سنة خمسين من هجرة جدّه سيّد البشر. صلى الله عليه وسلّم. استشهد مقتولا بالسّمّ. وهذه قَبَسات من سيرته رضي الله عنه. ففي الخامس عشر من شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة، أعلن البيت النبويّ نبأ ميلاد السبط الأوّل، والولد البِكْر لبيت الرسالة، وزُفّت البُشرى إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم. فنظر إلى السماء فإذ بالوحي ينزل ويقول: إنّ إسم إبن هارون خليفة موسى عليهما السلام كان شُبَّراً. وعَلِيٌّ منك بمنزلة هارون من موسى. فسمِّه حَسَناً، ذلك أنّ شُبَّراً يعني الحَسَن في اللغة العربية. أخرج ابن الأثير في أُسْد الغابة فِي تَرْجَمَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِي رضي الله عنهما قَال: قَالَ أَبُو أَحْمَدِ العَسْكَرِيُّ: سَمَّاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْحَسَنَ، وَكَنَّاهُ أَبَا مُحَمَّدٍ، وَلَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ هَذَا الاسْمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وأمر أن يُتَصَدَّق بِزِنَة شَعَرِهِ فضّة. ثمّ أمر بِخَتْنِه فخُتِن. ثم يأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم وقد حضرت عنده السيّدة لبابة أمّ الفضل زوجة سيّدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عمِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم. فيقول لها: رأيتِ رؤيا، في أمري؟ فتقول: نعم يا رسول الله. فيقول لها: قُصِّيها عليّ. فتقول: رأيتُ كأنّ قطعةً من جسمك وقعت في حضني. فناولها رسول الله صلى الله عليه وسلم سيّدنا الحسن. الرضيع الكريم، وهو يبتسم ويقول: نعم هذا تأويل رؤياكِ. إنّه بَضْعة منّي. وهكذا أصبحت أمّ الفضل مرضعة لسيّدنا

الحسن رضي الله عنه. فتح سيدنا الحسن عينيه وتربّى في أحضان جدّه المصطفى صلى الله عليه وسلم. وأبيه علي المرتضى. وأمّه السيدة فاطمة الزهراء، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّ حفيده الإمام الحسن حبّا شديدا. فقد أخرج الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه وهو يقول: ((اللهم إنّي أُحِبُّهُ فأحِبَّه)). وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: ((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ أهل بيتك أحبَّ إليك؟ قالّ الحسن والحسين)). وأخرج الإمام أحمد وغيرُه عن الحسن البصري قال: أخبرني أبو بكرة الثقفي: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم كَانَ يُصَلِّي فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ عَلَى ظَهْرِهِ وَعَلَى عُنُقِهِ فَيَرْفَعُ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم رَفْعًا رَفِيقًا لِئَلَّا يُصْرَعَ. قَالَ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ. فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَهُ. قَالَ إِنَّهُ رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا. وَإِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَعَسَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)). وهذا من أعلام نبوّته صلى الله عليه وسلم. لأنّ المسلمين كانوا يومئذ فرقتَيْن. فرقة مع سيّدنا الحسن رضي الله عنه. وفرقة مع سيّدنا معاوية رضي الله عنه. وهذه معجزة عظيمة من النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر، وأصل القضية: أنّ سيّدنا عليّا بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه لمّا ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة. وبويع لابنه سيّدنا الحسن بالخلافة في شهر رمضان من هذه السنة. أقام أيّاماً مفكِّراً في أمره. ثم رأى اختلاف الناس فِرْقَة من جهته وفرقة من جهة سيّدنا معاوية. ولا يستقيم الأمر، ورأى النظر في إصلاح المسلمين وحَقْنِ دمائهم أولى من النظر في حقّه. سَلَّم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأوّل من سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً وسمي هذا العام عام الجماعة وهذا الذي أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم ((لعلّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)). فالحديث فيه عِلْم من أعلام النبوّة، ومنقبة لسيّدنا الحسن بن علي. فإنّه ترك الملك لا لقلّة ولا لذلّة ولا لعلّة. بل لرغبته فيما عند الله تعالى. لِمَا رآه من حقن دماء المسلمين. فراعى أمر الدين ومصلحة الأمّة. وروى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن عليّ. أدرك سيّدنا الحسن رضي الله عنه من حياة النبيّ صلى الله عليه

وسلم سبع سنين وأشْهُر، وصحبه إلى أن توفي وهو راضٍ عنه، فكان الأصحاب رضي الله عنهم يكرمونه إكرامًا للنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم. ويحبّونه محبّةً للنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم. كيف لا، وقد كان أشبهَ النّاس بالحبيب صلَّى الله عليه وسلَّم؟! فقد كان مُحَيَّاه يذكِّر الأصحابَ بالنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم. فكان سيّدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وهو ابن الستّين عامًا يعطف ويحنو على مولانا الحسن الشيءَ الكثير؛ كان إذا رآه يُقْبِل عليه ويبشُّ له، كان رضي الله عنه يقول للناس: ارقُبُوا محمّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم في آل بيته. وقد فرض له ولأخيه مولانا الحسن رضي الله عنه من بيت المال فريضة كفريضة أهل بدر، مع صغر سنّهما. محبّةً وإكرامًا للسِّبْطَين الأمجدين. ثم حذى حذوه سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى خلافته. فرتّب لهما مثل ما رتّبه سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه، ثمّ جاء سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فحفظ لسيّدنا الحسن فضله ومكانته، أيّها المسلمون. كان سيّدنا الحسن رضي عنه له مناقب كثيرة. كان عابدا جواداً حليماً ذا سكينة ووقار وحشمة. أخرج الحاكم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: لقد حج الحسن خمساً وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه. تزوّج رضي الله عنه كثيراً وترك إثني عشر ذكرا. كان منهم الأشراف العلويّين والسادة الأدارسة. أخرج ابن سعد عن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين قال: قال علي: يا أهل الكوفة لا تزوِّجوا الحسن فإنّه رجل مطلاق. فقال رجل من همدان: والله لنزوّجنّه فما رضي أمسك وما كره طلّق. وكان رضي الله عنه يكره الفتن. وَلِيَ الخلافة بعد قَتْل أبيه. قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: هو آخر الخلفاء الراشدين بنصّ جدّه صلى الله عليه وسلم، وَلِيَ الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة. فأقام بها ستّة أشهر وأياماً، خليفة حقّ. وإمام عَدْل وصِدْق. تحقيقاً لما أخبر به جدّه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله: الخلافة بعدي ثلاثون سَنَة، فإنّ تلك الستّة أشهر هي المكمِّلة لتلك الثلاثين، وقال أبو العزّ الحنفي في شرح الطحاوية: وكانت خلافة أبي بكر الصّدّيق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشرة سنين ونصفاً. وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة. وخلافة علي أربعة سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر. وقد روى الترمذي بإسناده إلى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخلافة في أُمّتي ثلاثون سنة ثم مُلْكٌ بعد ذلك، وقد علّق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنّما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن

علي، فإنّه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأوّل في سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنّه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النّبوّة، وبذلك يكون الحسن خامس الخلفاء الراشدين، رضي الله عنه وأرضاه.أيّها المسلمون. توفي رضي الله عنه بالمدينة المنوّرة مسموماً. سمّته زوجته جعدة بنت الأشعث ابن قيس. دسّ إليه يزيد بن معاوية أن تسمَّه فيتزوّجها ففعلت. فلما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال: إنّا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا. وكانت وفاته في السابع من شهر صفر سنة خمسين للهجرة. وهو ابن سبع أربعين سنة. وجَهِدَ به أخوه الحسين أن يخبره بمن سقاه السّمّ فلم يخبره وقال: اللهُ أشدّ نقمة إن كان الذي أظنّ. وإلا فلا يُقْتَلُ بي واللهِ بريء. ولمّا أرادوا أن يصلّوا عليه. قدّم أخوه الحسين سعيد بن العاص وكان واليا على المدينة من جهة معاوية. وقال: لولا أنّها سنّة ما قدّمتك. ثم دُفِن بالبقيع إلى جَنْب أمّه رضي الله عنها. فالسلام عليه يوم وُلد ويوم استُشهد ويوم يُبعث حيًّا. اللهم انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولاتخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم:((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

06- القول المختصر عن استشهاد سيّدنا الحسين سبط خير البشر في يوم عاشوراء الأغر

الحمد لله المجْمِل في بلائه، المجزِل في عطائه، العَدْل في قضائه، المكرِم لأوْليائه، المنتقِم من أعدائه، النّاصِر لدينه بإيضاح الحق وتبيينه، المبيد للإفك وأهله، المجتثّ للباطل من أصله، فسبحانه من إله معزّ الإسلام بنَصْره، ومذِلّ الشِّرْك بقَهْره، ومُصَرِّف الأمور بأَمْره، ومُدِيم النِّعَم بشُكْره، ومُسْتَدْرِج الكافرين بمَكْره، الذي قَدَّر الأيّام دُوَلاً بعَدْله، وجعل العاقبة للمتّقِين بفَضْله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمَانَع، والظاهر على خليقته فلا ينازَع، والآمر بما يشاء فلا يراجَع، والحاكِم بما يريد فلا يدافَع. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وعد الصالحين المصلحين بالفوز والفلاح،

وحفظهم في ذريّاتهم وذويهم بالتقوى والبِرّ والصلاح، ووعدهم بجَمْع الشمل وقرّة العين في دار القرار، فقال سبحانه في سورة الرعد: ((جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلَٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلّ بَابٍ. سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ ٱلدَّارِ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ وصفيّه من خلقه وخليله. عينُ الرحمة الربانية. والواسطةُ العظمى في جميع النِّعَم المتوالية من الحضرة الإحسانية. حبيبُ الحقّ. وأفضلُ حامد ومحمود من الخلق. وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ. وَالدَّافِعِ لجَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ. وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ. صاحب القدر والمقدار العظيم. مَنْ هُدِيَتِ بِهِ الْقُلُوبُ إلى الصراط المستقيم.

مُحَمَّدٌ مَا لَهُ مِثْلٌ يُشَابِهُهُ * مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ عَظُمَتْ مَرَاتِبُهُ

هُوَ الحَبِيبُ الذِي أَغْنَتْ مَوَاهِبُهُ * وَعَزَّ مِقْدَارُهُ في الْمَجْدِ وَارْتَفَعَا

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى يَا كُلَّ مَنْ سَمِعَا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. كَنْز الإدّخار. المبعوث بالبشارة والإنذار. لكل فاجر وبارّ. وعلى آله السادة الأطهار. وصحابته الأجلّة الأخيار. صلاة نستجلب بها رضى مولانا الحليم الغفار. ونُكسى بها بين المحبّين حُلّة مرقومة بمواهب المعارف المحمدية ولطائف الأسرار. مُوَشّاة بحقائق العوارف الأحمدية وشوارق الأنوار. نفتخر بمحاسنها النبوية في محافل الصلحاء الأخيار. ونجرّ ذَيْل التِّيهِ بكمال عنايتها المصطفوية في هذه الدار وفي تلك الدار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. شهرُكم هذا هو شهرُ الله المحرَّم، فإضافةُ الله له إضافةُ تعظيمٍ وتشريف، فمِن حُرمَته تحريمُ القتال فيه؛ فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ فَعَن أبي بَكْرَةَ رضي اللهُ عنه عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ الزمانَ قد استَدَار كهيْئَتِه يومَ خَلَق اللهُ السمواتِ والأرضَ، السنةُ اثنا عَشَرَ شهرًا، منها أربعةٌ حُرُم، ثلاثةٌ متواليات: ذو القَعدةِ، وذو الحِجَّة، والمُحَرَّم، ورجبُ مُضَر، الذي بين جُمادَى وشعبان))؛ فيَحرُم ابتداءُ القتال في شهرِ الله المُحَرَّم، وبقية الأشهرِ الحُرُم، أمَّا قتالُ الدَّفع فيجوزُ فيها. وكان مع كفَّار مكَّةَ بقايا مِن مِلَّة سيّدنا إبراهيم عليه السلام، فكانوا يُعظِّمون الأشهرَ الحُرُم، ومِن ذلك تحريمُ القتال في شهر الله المحرَّم، لكنَّهم رُبَّما احتاجوا إلى الحرب في المحرَّم، فيُؤخِّرون تحريمَه إلى صَفَر؛ كما أَخبرَ ربُّنا تبارك وتعالى في سورة

التوبة فقال: ((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)). ومِن تعظيمهم له: صيامُ عاشُوراء؛ روى البخاريُّ عن أمّ المؤمنين السيّدة عائشةَ رضي الله عنها قالت: ((كان يومُ عاشوراءَ تصومُهُ قريشٌ في الجاهلية، وكان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يصومُه، فلمَّا قَدِم المدينةَ، صامَه، وأمَر بصيامِه، فلمَّا فُرِض رمضانُ تَرَك يومَ عاشوراء، فمَن شاءَ صامَه، ومَن شاء تَرَكه))؛ فكان في أوَّل الأمر عاشوراءُ واجبًا، ثم نُسِخ الوجوبُ برمضان، وبقِيَ صيامُه على الإستحباب. وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق وأولى بموسى منكم)). فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه. أيّها المسلمون. في يومِ عاشوراءَ سنة إحدى وستين من الهجرة. جرت حادثة مروّعة مفجعة، ومصيبةٌ كبرى فظيعة. ألمّت بالمسلمين وأفجعتهم، وملأت القلوب حزنًا وأسى ومرارة. إنّها حادثة كربلاء. حيث قُتِل شهيدا سِبْط رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وابن بِنْتِهِ السيّدة فاطمةَ الزهراء رضيَ اللهُ عنها، أبي عبدِ الله الإمام الحسينِ بن سيّدنا علي رضي الله عنهما. على أيدِي فِئَةٍ ظالمةٍ باغية. فكانت هذه الحادثة من معجزات النبيّ صلى الله عليه وسلم. التي أخبر عنها. فقد روت كُتُب السنّة عن أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالسًا ذات يوم في بيتي؛ قال: لا يدخل عليّ أحد. فانتظرت، فدخل الحسين، فسمعت نشيج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبكي، فاطّلعت فإذا حسين في حِجْره والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمتُ حين دخل. فقال: إنّ جبريل عليه السّلام كان معنا في البيت؛ قال: أفتحبّه؟ قلت: أما في الدنيا فنعم. قال: إنّ أمّتك ستقتُل هذا بأرضٍ يقال لها: كربلاء، فتناول جبريل من تربتها، فأراها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم)). فلمّا أحيط بالحسين رضي الله عنه حين قُتل؛ قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء. فقال: صدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أرض كربٍ وبلاء. فحديثنا اليوم عن الإمام الحسين رضي الله عنه. وُلِد بعد أخيه سيّدنا الحسن رضي الله عنهما، في المدينة المنورة في

الخامس من شعبان بعد هجرة جدّه صلى الله عليه وسلم بأربع سنين. وأذّن النبيّ صلى الله عليه وسلم في أُذُنَيْه وسمّاه الحُسَيْن. وعقّ عنه صلى الله عليه وسلم بكبْشٍ وفي النّسائي بكبشَيْن. وخُتِن يوم السابع وأمر أُمَّه رضي الله عنها بحَلْق رأسه ووَزْن شَعْرِه والتصدُّقِ بزِنَتِه. وأعطت أمُّه القابِلةَ فَخِذَ شاةٍ وديناراً. فكانت عادة أهل المدينة عطيّة ذلك. أدرك سيدنا الحسين من حياة النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنين، وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبّ الحسين حبًا شديدًا، فقد روى البخاري في التاريخ الكبير. والإمام أحمد في مسنده. وابن ماجة في سننه. وابن حبان. وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَدُعِينَا لِطَعَامٍ، قَالَ: فَإِذَا الْحُسَيْنُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَمَامَ الْقَوْمِ، يَعْنِي ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقْنِهِ وَالأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ ثُمَّ اعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: ((حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ)). وأدرك رضي الله عنه خلافة الصّدّيق رضي الله عنه وكان يكرمه ويعظّمه، وكذلك سيدنا عمر وسيدنا عثمان رضي الله عنهما، كيف لا يكرمونه؟! وقد كان أشبهَ النّاس بالحبيب المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم؟! فقد كان مُحَيَّاه يذكِّر الأصحابَ بالنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم. رَوَى التِّرْمِذِيّ وَابْن حِبَّان مِنْ طَرِيق هَانِئ بْن هَانِئ عَنْ عَلِيّ كرّم الله وجهه قَالَ:"الْحَسَن أَشْبَهَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم مَا بَيْن الرَّأْس إِلَى الصَّدْر. وَالْحُسَيْن أَشْبَهَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم مَا كَانَ أَسْفَل مِنْ ذَلِكَ. وصحب رضي الله عنه أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، وكان معظَّماً موَقَّراً. وقد عُرف عنه رضي الله عنه الشجاعة والجهاد في سبيل الله، وقد ساهم في فتح شمال إفريقيا في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان، وساند أباه في حروبه في الجمل وصِفّين والخوارج، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قُتل، فلمّا آلت الخلافة إلى أخيه الحسن، وقف الحسين مع أخيه يناصره ويؤازره، فلمّا تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين. وجمعًا لكلمتهم. قال الحسين لأخيه الحسن في أدب ووقار: أنت أكبر ولد عليّ، وأمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك. وعكف سيدنا الحسين رضي الله عنه بعد ذلك على طلب العلم والجهاد حتى مات سيدنا معاوية بعد أن أخذ البيعة لابنه يزيد مخالفًا بذلك إحدى

شروط الصّلح مع أخيه الحسن، وهو أن يترك أمر الخلافة من بعده شورى بين المسلمين، عندها لم يسكت الحسين، وبايعه كثير من الناس، وطلبوا منه أن يكون خليفتهم، فخرج من المدينة إلى مكة. ولم يكن على وجه الأرض يومئذٍ أحد يساويه في الفضل والمنزلة. أيها المسلمون. بلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع يزيد بن معاوية، فأرسلوا إليه الرسل والكتب يدعونه فيها إلى البيعة؛ وينادونه باللحاق بهم، وأنّهم سينصرونه. لأنّهم لا يريدون يزيدًا. عند ذلك أرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليتقصّى الأمور، فلما وصل إلى الكوفة تيقّن أن الناس يريدون الحسين، فبايعه الناس على بيعة الحسين، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً. فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمّت له البيعة، فتجهّز رضي الله عنه خارجاً من مكة قاصداً الكوفة. تسامع الناس بهذا الخبر، واعترضه كثير من الصحابة رضي الله عنهم ونهوه عن الخروج، ولكن الحسين كان عازما على الخروج، وفي يوم التروية الثامن من ذي الحجة سنة ستين من الهجرة، خرج رضي الله عنه وأرضاه، وعلى بُعد ثلاث مراحل أدركه ابن عمر رضي الله عنهما وقال له: أين تريد؟! قال: العراق، قال ابن عمر: لا تأتيهم، فأبى. فقال له: يا حسين إني محدّثك بحديث لم أحدّث به أحدا قبل، إنّ جبرائيل أتى جدّك عليه الصلاة والسلام، فخيّره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، يا حسين وإنّك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما يليها أحد منكم أبدًا، وما صرفها الله عنكم إلاّ للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر رضي الله عنهما وبكى، وقال له: أستودِعك الله من قتيل. استودعتك الله من قتيل. سار الحسين، ولقي في بعض الطريق الفرزدق الشاعر المعروف بمحبّته لقرابة النبي عليه الصلاة والسلام، قال له: أين تريد يا حسين؟. قال: أريد الكوفة. قال: يخذلونك لا تذهب، فإنّك تأتي قوما قلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أمية. ثُمَّ في نهاية الأمر، حينما قَدِم رضي الله عنه إليهم خَذَلُوه، وانْفَضُّوا مِن حوله، كما خَذَلوا قبل ذلك أباه عليًّا رضي الله عنه وابنَ عمِّه مسلمَ بنَ عَقِيل؛ وفي يوم الجمعة العاشر من محرَّمٍ من سنة إحدى وستين، استُشْهِد رضي اللهُ عنه وعن آله بأمر عُبَيْدِ الله بنِ زيادٍ أميرِ يزيدَ بنِ معاويةَ على الكوفة. أيّها المسلمون. لأمرٍ ما ولحكمة بالغة. شاءت إرادة الله تعالى أن تختلط دماء الحسين رضي الله عنه بأرض كربلاء. شاءت إرادة الله تعالى أن يلق هذا العبد الصالح هذه المنزلة من منازل الشهداء. وأحسن ما يقال عند ذِكْر هذه المصائب وأمثالِها ما رواه الإمام

أحمد وابن ماجة. عن سيّدنا علي زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهما عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((ما من مسلم ولا مسلمة تُصِبْه مصيبة فيتذكّرُها وإن قَدِمَ عهْدُها فيُحْدِث لها استرجاعا إلا أحدث الله له عند ذلك أجرا وأعطاه ثواب ما وعده يوم أصيب بها)). ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيته وهو يرثي السبطين رضي الله عنهما:

وَبِرَيْحَانَتَيْنِ طِيبُهُمَا مِنْــ*ــكَ الذِي أُودِعَتْهُمَا الزَّهْرَاءُ

كُنْتَ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آ * وَتْ مِنَ الْخَطِّ نُقْطَتَيْهَا الْيَاءُ

مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِينِيَ الطَّــ*ــفُّ مُصَابَيْهِمَا وَلاَ كَرْبَلاَءُ

مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرْءُو * سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرُّؤَسَاءُ

أَبْدَلُوا الْوِدَّ وَالْحَفِيظَةَ فِي الْقُرْ * بَى وَأَبْدَتْ ضِبَابَهَا النَّافِقَاءُ

وَقَسَتْ مِنْهُمُ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ * بَكَتِ الأَرْضُ فَقْدَهُمْ وَالسَّمَاءُ

فَابْكِهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّ قَلِيلاً * فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابِ الْبُكَاءُ

كُلَّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكَرْبِي * مِنْهُمُ كَرْبَلاَ وَعَاشُورَاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي * لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمُ التَّأْسَاءُ

غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللــ*ــهِ وَتَفْوِيضِيَ الأُمُورَ بَرَاءُ

رُبَّ يَوْمٍ بِكَرْبَلاَءَ مُسِيءٍ * خَفَّفَتْ بَعْضَ رُزْئِهِ الزَّوْرَاءُ

وَالأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ * مِنْهُمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ الْــ*ـمَدْحُ لِي فِيكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ

أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحــ*ــتُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ

سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمْ * سَوَّدَتْهُ الْبَيْضَاءُ والصَّفْرَاءُ

اللهم انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولاتخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). اللهمّ إنّا نُشْهِدُك. ونشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم. ونحبّ أهل بيته الطاهرين الطيّبين. عليّا وفاطمة. والحسن والحسين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. ونسألك اللّطفَ والتوفيق في أمورِ ديننا ودنيانا. إلهنا، أنت حسبنا ونعمَ الوكيل على كلّ من أرادنا وأراد ديننا وأمنَنا وبلادنا بسوء. إلهنا، وقد عصفتِ الفتنُ بالأمّة واستحكمَت فيها الخطوبُ المدلهمّة، فإنّا نسألك باسمك الأعظمِ الذي إذا دُعيتَ به أجبتَ وإذا سئلتَ به أعطيتَ أن تكشِف الغمّة وتصلِح حالَ الأمّة، ونسألك نعمةً تدفع بها النقمةَ، ومنحةً تبدِّد بها المحنة، وأملاً يدفع اليَأس، وفضلاً ونصرًا يرُدّ البَأس. اللهمّ ارحَم العَبرة، وألهِمنا العِبرة، وأقِلِ العثْرَة، وأزِل الحسرة، وأذهبِ السَّكرة، وأدِم الفكرة، ولا تدَعنا في غَمرة، ولا تأخُذنا على غِرَّة، واحفَظ بلادنا وبلادَ المسلمين من كيد الكائدين وعُدوان المعتدين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

07- القولُ المنتخَب في مناقب سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلّب

الحمد لله الذي خصّ مَنْ شاء مِنْ عباده بمناقب العِرفان. وحَلَى جِيدَ فَضْلِهم بحِلْية الكمال في كلّ آن. وروّح أهلَ وِداده بسماع صفاتهم العظيمة الشّان. فسبحانه مِنْ إله خَصَّ مَنْ شاء بما شاء مِنْ كراماته. واختار مَنِ ارتضاه مِنْ خُلَّص عباده بعظيم هباته. ففازوا برضوانه وكمال إحسانه. وفاقوا باصطفائه وظفِروا بعفوه وغفرانه. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. المتفضِّل علينا بإشراق شمس الحقيقة المحمّديّة. من سماء فَلَكِ الرِّفْعة الهاشميّة. وأزهر لنا نُوّارَ الرِّيَّاضِ الإيمانيّة. من خمائل وُرود الأزاهر القُرَشيّة. فَجَلِيَتْ في محبٍّ أفرغ سِجَال محبّته. وأَوْدع سرّ بديعِ كمالات نبوّته. في قلوب قوالب العِتْرة الْمُطَّلِبِيَّة. فرفع لهم بذلك على جميع الخلائق شأنا. ونصب لسامي مَجْدهم على أصناف الموجودات برهانا. فصاروا لإيداع الدّرّة اليتيمة فيهم صفوة البشر. وغدوا بأشرف المناقب والغُرر. وبمزايا لم تُبْق لغيرهم فخرا ولم تذر. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. بعثه ربّه بالنِّعَم المستدامة. وأرسله هاديا إلى موارد السلامة. وخصّ أهل

بيته بالشرف والسيادة. وجعل نور النبوّة في كريم وجوههم دليلا على نَيْل السعادة. وأكرمهم بالفخر العظيم بنيل الشهادة. وجعلهم مِمَّن فازوا بالحسنى وزيادة.

آلَ بيتِ الرسول أنتم عياذي * وملاذي ولا أخاف اغتيالا

آلُ بيت النبيّ حِصْني وذُخْري * عند كَرْبي إذا خشيتُ النِّزالا

عطفة على طالب الوصل منكم * كي ينال الوصول والإقبالا

وأختم القول بالصلاة على مَنْ * خصّه الله بالكمال تعالى

صلّوا على المصطفى تبلغوا الآمالا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. زين العشيرة والآل والصحب والأتباع. وعلى آله الأجلّة المتّفَق على محبّتهم بالإجماع. وصحابته القاطعين بحبّهم ظهور أهل الزيغ والإبتداع. صلاة تجعلنا بها من أهل النفع والإنتفاع. السالكين طريق السنّة والإتّباع. وتشفينا ببركتها من جميع العاهات والأسقام والأوجاع. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ النّفوس لتكلُّ عن العمل، وتفترُ عن الطاعة، كما تكلُّ الأبدانُ وتفترُ، وإنّ ممّا يبعثُ نشاطَها. ويزيدُ قوّتَها ويقوّي يقينَها. قراءةُ سِيَرِ الصالحين. ومعرفةُ أحوالِهم؛ ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لَسِيَرُ الصالحين أحبُّ إلينا من كثيرٍ من الفقه. وقال بعض الصالحين:

أسرِد حديث الصالحين وسَمِّهِم * فبِذِكْرهم تتنزّل الرحماتُ

واحضُر مجالسهم تنل بركاتِهم * وقبورَهم زُرْها إذا ما ماتوا

واعلموا رحمني الله وإيّاكم. أنّ أكملَ الناس خِلالاً. وأفضلَهم حالاً. وأفصحَهم مقالاً. مَنِ اصطفاه ربّ البريّة. ليكون هاديًا للبشريّة. سيّدنا محمّد. عليه من ربّه أفضل الصلاة وأزكى التحية. حيث امتنّ الله عزّ وجلّ علينا ببعثته. فقال في سورة التوبة: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ)). وزكّاه ربّه بما كان عليه من مكارم الأخلاق. فقال في سورة القلم: ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)). ثم أمرنا الله عزّ وجلّ بالإقتداء به صلى الله عليه وسلم. والإهتداء بهديه. والتخلّق بأخلاقه. فقال في سورة الأحزاب: ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). وكما اختار الله نبيّه صلى الله عليه وسلم للنبوّة والرسالة. اختار له من الأُمَم أفضلها، ومن الأصحاب أفضل الناس بعد النبيّين، أبرّ هذه الأمّةِ قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقومها عملاً، وأقلّها تكلّفًا، وأحسنها حالاً، جاهدوا في الله حقّ جهاده. في حياة نبيّهم وبعد وفاته، فنصر الله بهم الدين، ونصرهم به، وأظهرهم على كل الأديان والملل. عربهم وعجمهم، أثنى عليهم ربّهم، وأحسن الثناء عليهم، ورفع ذِكْرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، ووعدهم عظيم الأجر. وجميل الغفران. قال تعالى في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)). فكان منهم الخلفاء الراشدون. والأمراء الحازمون. والعلماء الربانيّون. والقادة الفاتحون. والعبّاد الزاهدون، والشهداء المخلصون. الذين باعوا أرواحهم في سبيل الله. إبتغاء نيل الشهادة. ففازوا بالحسنى وزيادة. أيّها المسلمون. ونحن في منتصَف شهر شوّال. في ذكرى استشهاد سيّدِ الشهداء. أسدُ الله وأسدُ رسولِه. وناصرُ دينه وعمُّ رسوله. سيّدنا حمزة بن عبد المطلِّب. رضي الله عنه. فحريّ بنا أن نتعرّف على قبسات من حياته ومناقبه. والقصد من ذلك التبرّك بذكر الصالحين. لأنّ بذكرهم تتنزّل الرحمات.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

حبيبُ رسولِ الله ناصرُ دينِه * يضيء محيّا الكائنات به حُسْنا

هو السيّد المفضال من آل هاشم * له الرتبة العلياءُ والمنزل الأسنا

هو الأسد الضرغام في ساحة الوغى * فكم قد أباد الكافرين وكم أفنى

حباه إله العرش مجدا مؤثّلا * وأورده من فضله المورد الأهنى

وشدّ به أَزْرَ الشريعة والهدى * فعنه العُلى يروي فضائله الحسنى

عليه رضى الرحمان ما ذرّ شارق * وما جُلِيَ الكرب العظيم به عنّا

فنقول مستعينين بحول الله وقوّته: هو سيّدنا حمزة بنُ عبد المطلب بنِ هاشم رضي الله عنه. عمُّ النبيّ صلى الله عليه وسلم وأخوهُ من الرضاعة. أرضعتهما ثُوَيْبَةُ مولاة أبي لهب مع أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي. وكان سيّدنا حمزة رضي الله عنه أسنَّ من النبيّ صلى الله عليه وسلم بسنَتَيْن، وقيل بأربع. فنشأ وتربّى بين قومه بني هاشم. سادة قريش ومكة. معزّزاً مكرّماً. وكان سيّدنا حمزة صديقًا لابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قبل البعثة، حيث عاشا سويًّا، وتربيا معًا. وكان له رضي الله عنه من الأولاد خمسة. منهم: سادتنا يَعْلَى، وعِمارة، وبهما كان يُكَنَّى، وعمرو، وعامر. وكانوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعوانٌ بعد أبيهم، ومن الإناث: سيّداتنا أمُّ الفضل، وأُمامة، ولا عقب له الآن. وكان رضي الله عنه شجاعاً، كريماً، سَمْحاً، أشدَّ فتىً في قريش، وأعزّهم شكيمة، أسلم في السنة السادسة من البعثة، بعد دخول النبيّ صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم. روى ابن أبي حاتم في تفسيره عَنِ الْأَجْلَحِ، قَالَ: كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ، حَسَنَ الْهَيْئَةِ، صَاحِبَ صَيْدٍ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى أَبِي جَهْلٍ فَوَلَعَ بِهِ وَآذَاهُ، فَرَجَعَ حَمْزَةُ مِنَ الصَّيْدِ، وَامْرَأَتَانِ تَمْشِيَانِ خَلْفَهُ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا: لَوْ عَلِمَ ذَا مَا صُنِعَ بِابْنِ أَخِيهِ؟ أَقْصَرَ عَنْ مِشْيَتِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمَا فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَبُو جَهْلٍ فَعَلَ بِمُحَمَّدٍ كَذَا وَكَذَا، فَدَخَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَفِيهِ أَبُو جَهْلٍ، فَعَلَا رَأْسَهُ بِقَوْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَامْنَعُونِي، فَقَامَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: يَا أَبَا يَعْلَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ في سورة الفتح قولَه: ((إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)). قَالَ الْأَجْلَح: أراد حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وقال ابن عباس رضي الله عنها: إنّ هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى في سورة الأنعام: ((أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)). يعني حمزة. ((كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)). يعني أبا جهل، وقال للنبي صلى الله عليه وسلّم: يا ابن أخي! أظهر دينك، واللهِ ما أختارُ أنّ لي ما أظلّت الغبراء وأنا على دين قومي. وعزَّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بإسلامه، وكفَّ المشركون عن بعض ما كانوا ينالون منه. وهاجر رضي الله عنه مع أوّل مَنْ هاجر من المؤمنين إلى المدينة المنوّرة. وأوّل لواءٍ عقده رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان له حين بعثه إلى سِيف البحر من أرض جُهَيْنَة في السنة الثانية من الهجرة. وشهد رضي الله عنه غزوةَ بدْرٍ وهو مُعَلَّمٌ بريشةِ نَعامة،

وأَبلَى فيها بلاءاً عظيماً، وقاتل بسَيْفَيْن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وبدّد صناديد الكفر، وفعل بأهل الشرك الأفاعيل. وكان رضي الله عنه في يوم غزوة أُحُدٍ مثل الجملِ الأوّرق، والأسدِ الضاري، يهدُّ المشركين بسيفه هدّاً. ما يقوم له شيء. وَقَتلَ في يوم أُحُدٍ إحدى وثلاثين رَجُلا من المشركين. كما قاله النووي رحمه الله، ثم عَثَر رضي الله عنه عثرة وقع منها على ظهره. ببطن الوادي عند جبل الرماة. فانكشف الدرع عن بطنه، فَزَرَقَه وحشي بن حرب. مولى جبير بن مطعم. قبل إسلامه. بحربةٍ أكرمه الله تعالى بالشهادة بها على يديه، وكان ذلك في يوم السبت منتصف شوّال سنة ثلاث من الهجرة النبوية، وكان عمره رضي الله عنه سبع وخمسين سنة، على الصحيح. ثم مَثَّلَ به المشركون. وبقروا بطنه، وأخرج بعض نسائهم كَبِدَه. فلاكتها، ومضغتها فلم تستطع أن تُسيغَها وتبْتلِعها، فألقتها مِنْ فِيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا بلغه ذلك: ((لو دخل بطنها لم تدخل النار، لأنّ حمزةَ أكرمُ على الله مِنْ أنْ يُدخِل شيئاً من جسده النار)).

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما مَنَنتَ عليه.

أيّها المسلمون. و لَمّا وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، ورأى ما به من التمثيل، فوجده ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنُه. ومُثِّل به. فجُدِع أنفُه وأذناه، وقُطِّعَت مذاكيرّه، نَظر إلى شيء لم يَنْظُر إلى شيء قطّ كان أوجعَ إلى قلبه منه، وغاظه ذلك. وقال:((لن أصاب بمثلك أبدا، ما وقفتُ موقفاً قَطُّ أغيظَ لي من هذا)). وقال:((لولا أن تجزع عمّتي صفيّة ونساؤها. أي يتطاول جزعَهُن ويدوم. لم أدفنه حتى يُحشَر في بطون السباع، وحواصل الطيور. أي ليشتدّ غضبُ الله على مَنْ فعل ذلك)). وفي رواية أخرى. قال صلى الله عليه وسلم:((أَمَا واللهِ لئن ظفرني الله تعالى بقريش في موطن من المواطن. لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك))، فأنزل الله عليه في ذلك قوله في سورة النحل:((وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ))، فقال صلى الله عليه وسلم:((بل نصبر يا رَبّ)). وكَفَّر عن يمينه. وقال صلى الله عليه وسلم:((رحمة الله عليك أي عَمّ. فإنّك كنتَ ما عملتُك فعولا للخير، وصولا للرحم)). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:((ما رأينا رسولَ الله صلى الله عليه

وسلم باكيّا أشدّ من بكائه على حمزة رضي الله عنه. فإنّه وضعه في القبلة. ثم وقف على جنازته. وانتحب حتى شهق. وبلغ به الغشيّ. وقال: يا عمّ رسول الله، وأسد الله، وأسد رسوله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذابّا عن وجه رسول الله))، وروى الطبراني برجال الصحيح. والبغوي في مُعْجمه. أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((والذي نفسي بيده، إنّه مكتوب عند الله عزّ وجلّ في السماء السابعة. حمزة بن عبد المطلّب أسد الله وأسد رسوله)). وروى الحاكم وابن هشام عن محمد بن عمر عن شيوخه. أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((جاءني جبريل عليه السلام، فأخبرني أنّ حمزة مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله، وأسد رسوله)). وروى الحاكم في المستدرك عن سيدنا جابر رضي الله عنه مرفوعاً:((سيّد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة بنُ عبد المطلب)). وعن الإمام السدي في قوله تعالى في سورة القصص:((أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ)).) أنّه نزل في حقّ سيّدنا حمزة رضي الله عنه. وكفّنه صلى الله عليه وسلم في نَمِرَة إذا مدّوها على رأسه انكشفت رجلاه، وإن مدّوها على رجليه انكشف رأسه، فمدّوها على رأسه، وجعلوا على رجليه الإذخر، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فدُفِن في موقع المعركة. في بطن جبل أُحُد. ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش. وقبره معروف حتى اليوم. يُزار ويُتَبَرَّك به. وتسمّى المنطقة منطقة سيّد الشهداء، وأمّا بقيّة مَنْ قيل إنّهم أدركوا في ذلك اليوم الشهادة، وكان لهم بما أحسنوا من الله الحسنى وزيادة، سبعون على القول الراجح السالم من الإلتباس، والزيادة في هذا ناشئة على الخلاف في التفصيل، كما قاله صاحب عيون الأثر. الإمام ابن سيّد الناس. ولمّا رجع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة. بعد الواقعة. سمع نساء الأنصار يبكين على قتلاهنّ، فذرفت عيناه فبكى. ثم قال:((ولكنّ حمزة لا بواكي له)). فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما إلى دار بني عبد الأشهل. أمرا نساءهما أن يتحزّمن. ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففعلن. فلمّا سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بكاءهنّ على حمزة. خرج عليهنّ وهنّ على باب المسجد يبكين عليه. فقال:((رضي الله عنكنّ وعن أولادكنّ، إرجعن رحمكنّ الله، لقد واسيتنّ معي، رحم الله الأنصار، فإنّ المواساة فيهم كما علمت قديمة)). وصارت الواحدة من نساء الأنصار بعد ذلك لا تبكي على ميّتها إلاّ بدأت بالبكاء على حمزة رضي الله عنه. ثم بكت على ميّتها.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المسلمون. وقد كُشف عن شهداء أُحُد بعد أربعين سنة، فوُجِدوا رِطاباً تنثني أطرافهم، وفاحت من قبورهم رائحة المسك، وأصابت المسحاة قَدَم سيّدنا حمزة رضي الله عنه فانبعث دماً، وأمطيت يدُ والدِ سيّدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن جرح في وجهه، فانبعث الدّمّ. فَرُدَّت مكانَها فسكن. كما في السيرة الحلبية. وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن شهداء أُحُد. أنَّ مَنْ زارهم وسلَّم عليهم. إلى يوم القيامة. ردّوا عليه. وقد سُمِع ردُّهم السلام على مَنْ سَلَّم عليهم جماعة من الأخيار. وفي وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. صلى الله عليه وسلم. للسمهودي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قبور الشهداء بأُحُد على رأس كل حول فيقول: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ. قال: وجاءها أبوبكر. ثم عمر. ثم عثمان. رضي الله عنهم. وفي طبقات إبن سعد: أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر حمزة رضي الله عنه. ترمّه وتصلحه. فتصلّي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت. رضي الله عنها. وروى الحاكم والبيهقي: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم زار قبور الشهداء بأُحُد. فقال: اللهم إنّ عبدك ونبيّك يشهد أنّ هؤلاء شهداء. وأنّهم مَنْ زارهم أو سَلَّم عليهم إلى يوم القيامة ردّوا عليه. أيّها المسلمون. وحيث وقف بنا جواد المقال عن الإطِّراد، ووضح لكل ذي لبّ من حياتهم الحقيقيةِ ما رامه من المراد، فلندع الله متوسّلين بهم وبسيّدهم سيّدنا حمزة رضي الله عنه وأرضاه.

يا ربّ قد لُذْنا بعمّ نبيّنا * ربّ المظاهر قُدِّسَتْ أسرارُهُ

فأقِلْ عَثار مَنِ اِستجار بعمِّه * أَوْ زاره لَتُكَفَّرَنَّ أوزارُهُ

وَالْطُفْ بنا في المعضلات فإنّنا * بِجِوار مَنْ لا شَكَّ يُكْرَمُ جارُه

واخْتِم لنا بالصالحات إذا دنا * منّا الحِمام وأنشب أظفارُه

ثم الصلاة على سلالة هاشم * مَنْ طاب مُحْتَدُهُ وطاب نجارُهُ

والآلِ والصّحب الكرام أولي التّقى * صِيدِ الأنام ومَنْ هُمُ أنصارُهُ

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين. اهـ

08- قُرّةُ العَيْن في معرفة بعضِ مناقبِ مولانا الإمامِ الحُسَيْن

الحمد الذي خَصّ مَنْ شاء بالكمال الغريزي والْمُكْتَسَبْ. وشرّف ذرّيّة نبيّه صلى الله عليه وسلم بفضيلة النّسبْ. التي لا تُدْرَكُ بالإكتساب. ولا تنقطع يوم تنقطع الأنساب. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. شرّف العِتْرة الطاهرة بالشرف والسيادة. وجعل نور النبوّة في كريم وجوههم شاهدا على نَيْل السعادة. وأكرمهم بالفخر العظيم بنيل الشهادة. وجعلهم مِمَّن فاز بالحسنى وزيادة. وأشهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، نبيٌّ شرّف الله بالإنتساب إليه أولادَ فاطمة. وجعل ملّتَه لجميع الأديان حاطِمة. المبعوثُ بأشرف الآيات للثقليْن. المتشرَّفُ مَنْ تسمّى باسمه واسمِ أولاده الحَسَن والحُسَيْن. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه. وعلى آله وأصحابه. وسِبْطَيْه المتخلِّقَيْنِ بأخلاقه المتأدّبَيْنِ بآدابه. المنتسبَيْنِ لِعَلِيِّ جنابه. صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن. ما حنّ مشتاقٌ إلى سماع مناقبِ سيّدِنا الحُسَيْن. وما وَلِهَ بها محِبٌّ ففاز بسعادة الدارَيْن. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة الأنعام. وقولُه الحقّ: ((وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)). ألا وإنّ من كلمات الله التي قضاها. وحَكَمها وقدّرها. أنّ أهلَ البيت. آلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقّ ما ليس لغيرهم. لمقامهم وكرامتهم وقرابتهم منه صلوات الله وسلامه عليه. فمودّتُهم ومحبّتُهم جزءٌ من شريعة المسلمين، فهي دين وملّة وقُرْبة. يقول الله تعالى في سورة الشورى: ((قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)). وهذا أسلوب من أساليب الحصر. فحصر الجزاء في كل ما قام به عليه الصلاة والسلام في جانب تبليغ الرسالة. والقيام بأعباء هذا الأمر. حَصَرَه في مودّة قرابته. الذين هم أهل بيته. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لمّا نزلت هذه الآية. قالوا: يا رسول الله! مَنْ أهل قرابتك هؤلاء، الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما)). أخرجه الإمام أحمد في المناقب. والطبراني في الكبير. وابن أبي حاتم في تفسيره. وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَة رضي الله عنها أنّها قَالَتْ: ((خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ

شَعْرٍ أَسْوَدَ. فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). وقال العلامة الجليل ابن عجيبة الحسني في تفسيره (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد): فمحبّة الرسول صلى الله عليه وسلم ركن من أركان الإيمان، وعقد من عقوده، لا يتمّ الإيمان إلاّ بها، وكذلك محبّة أهل بيته، وفي الحديث: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحبّني، ولا يحبّني حتى يحبّ ذوي قرابتي، أنا حَرْب لِمَنْ حاربهم، وسِلْمٌ لمن سالمهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، ألا مَنْ آذى قرابتي فقد آذاني، ومَنْ آذاني فقد آذى الله تعالى)، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوّا، كتاب الله تعالى وعترتي))، فانظر كيف قَرَنَهم بالقرآن في كَوْن التمسُّك بهم يمنع الضلال. أيّها المسلمون. إنّنا في شهر الله المحرَّم. ولاَزِلْنا في أيّام عاشوراء. التي تذكّرنا باستشهاد ريحانةِ وسِبْطِ سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. الإمامِ أبي عبد الله الحُسَيْن رضي الله عنه . وذلك في كربلاء يوم الجمُعةِ. العاشر من المحرّم سنة إحدى وستّين للهجرة. فَحَرِيٌّ بنا أن نتعرَّف على قَبَساتٍ من حياته ومناقبه. والْقَصْدُ من ذلك التبرّك بذِكْر الأئمّة الصالحين. لأنّ بِذِكْرِهم تتنزّل الرحمات. قال الإمام أبو حنيفةَ النُّعْمان رحمه الله: لَسِيَرُ الصالحين أحبُّ إلينا من كثيرٍ من الفقه. فنقول: مستعينين بحول الله وقوّته القويّة. مُتَيَمِّنِين بفضائل باسم الله: هو ثاني السِّبْطَيْن. ورَيْحانةُ سيّدِ الثَّقَلَيْن. سيِّدُنا ومولانا أبو عبدِ الله الإمامِ الحُسَيْن. بنُ مَوْلاتِنا فاطمة الزهراء البتول. بنتُ سيِّدِنا الرسول. صلَّى الله وسلَّم عليه في البكور والأُصول. وابنُ إمامِ أهلِ المشارق والمغارب، أميرِ المؤمنين سيِّدِنا علي بن أبي طالب، ففضائله رضي الله عنه لا تُحصى. ومناقبه نفعنا الله به لا تُستَقْصى. أخرج البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنْ الدُّنْيَا))، يعني الحَسَن والحُسَين. رضي الله عنهما. أيّها المسلمون. لقد أولى النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم سِبْطَيْهِ رعايَتَه ومحبّتَه؛ لِيُرِي المسلمين مدى مكانَتَهما عنده. حتّى يحفظوا لهما جناح المودّة. ففي تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: إنّ نصْراً بنَ علي الأزدي حدّث أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ بيد حَسَنٍ وحُسَيْنٍ فقال:

((مَن أحبّني وأحبّ هذَيْن وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة)). وقد تواترت الأخبار عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في فضل رَيْحانته الإمام الحسين رضي الله عنه. وهي تحمل جانباً كبيراً من اهتمام الرسول صلّى الله عليه وسلّم به. ففي تاريخ ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله وسلّم: ((مَن أراد أن ينظر إلى سيِّدِ شبابِ أهلِ الجنّة فلينظر إلى الحسين بن علي)). وأخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو حامل الحسين بن علي. ويقول: ((اللّهمّ إنّي أُحِبُّه. وأُحِبُّ كلَّ مَنْ يحبّه)). وروى البخاري في التاريخ الكبير. والإمام أحمد في مسنده. وابن ماجة في سننه. وابن حبان. وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَدُعِينَا لِطَعَامٍ، قَالَ: فَإِذَا الْحُسَيْنُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَمَامَ الْقَوْمِ، يَعْنِي ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقْنِهِ وَالأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ ثُمَّ اعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: ((حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ)). وُلِدَ رضي الله عنه بالمدينة المنوّرة في الخامس من شعبان بعد هجرة جدّه صلى الله عليه وسلم بأربع سنين. وتربّى في مهد العزّ والدَّلاَل. مُلاَحَظًا بعين الحفظ والرعاية. وأذّن النبيّ صلى الله عليه وسلم في أُذُنَيْه وسمّاه الحُسَيْن. فبلغ بذلك أعلى رُتْبةٍ وأرفعَها وأعزَّها بلا مَيْن. وعقّ عنه صلى الله عليه وسلم بكبْشٍ وفي النّسائي بكبشَيْن. وخُتِن يوم السابع وأَمَر أُمَّه رضي الله عنها بحَلْق رأسه ووَزْن شَعْرِه والتصدُّقِ بزِنَتِه. وكان رضي الله عنه حليما كريما حيّيا ورِعا زاهدا. حجّ خمسا وعشرين حجة ماشيا على قدميه. وركائبه تقاد بين يديه. ومن كمال عقله رضي الله عنه ما جاء في ذخائر العقبى للمحبّ الطبري: أنّ أبا هريرة رضي الله عنه روى عن النبي صلي الله عليه و سلم أنّه قال: ((لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، والسابق السابق إلى الجنّة))، قال أبو هريرة: فبلغني أنّه كان بين الحسن و الحسين هجران وتشاجر، فقلت للحسين رضي الله عنه: الناس يقتدون بكما فلا تتهاجرا، واقصد أخاك الحسن أدخل عليه وكلِّمْه فأنت أصغر منه سِنًّا، فقال: لولا أنّي سمعتُ رسول الله صلي الله عليه و سلم يقول: ((السابق السابق إلى الجنّة)) لقصدته، ولكن أكره أن أسبقه إلى الجنّة، فذهب إلى الحسن فأخبره بذلك فقال: صدق أخي، وقام وقصد أخاه وكلّمه

واصطلحا، رضي الله عنهما. وأمّا أوصافُه رضي الله عنه فإنّه أشبه الناس بجدّه صلى الله عليه وسلم. فقد روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده وابن سعد في طبقاته عن سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه قال: ((الحسنُ أشبهُ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما بين الصدر والرأس، والحسينُ أشبهُ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما كان أسفل من ذلك)). ولذا أحبّه الصحابة. وعظّمه الخلفاء منذ صغره. رضي الله عنه. كما ورث شجاعة جدّه وكرمه صلى الله عليه وسلم. فقد روى الطبراني في الكبير. وابن حجر في الإصابة وأبو نُعَيْم في الحِلْيَة عن زَيْنَب بِنْتِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا أَتَتْ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَبَاهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي شَكْوَتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَقَالَتْ: تُوَرِّثُهُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: ((أَمَّا الْحَسَنُ فَلَهُ هَيْبَتِي وَسُؤْدُدِي، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَلَهُ جُرْأَتِي وَجُودِي)). ولمّا فتح المسلمون بلاد الفرس، وجِيء ببنت يَزْدَجِرْد مَلِك الفرس إلى سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكانت من أجمل النّساء، فلم يستأثرها سيّدنا عمر لنفسه ولا لذريّته وأقاربه، وإنّما أهداها إلى أحبّ الناس إليه، أهداها لسيّدنا الحسين رضي الله عنه. فتزوَّجها وأنجبت له سيّدنا عليّ زين العابدين، وهو الوحيد الذي بقي من نسل الإمام الحسين رضي الله عنهما. ومنه تفرّعت السلالة الحسينية الشريفة الطاهرة. حشرنا الله في زُمْرَتهم. وأمتانا على محبّتهم. آمين. أدرك سيّدنا الحسين رضي الله عنه ستّ سنوات من عصر النبوّة. حيث كان فيها موضع الحبّ والحنان من جدّه صلى الله عليه وسلم. إلى أن توفي وهو راضٍ عنه، أيّها المسلمون. في يوم الجمُعةِ. العاشر من المحرّم سنة إحدى وستّين للهجرة. نال سيّدنا الحسين رضي الله عنه الشهادة. حيث قُتِلَ شهيدا على أيدِي فِئَةٍ ظالمةٍ باغية. بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق. وهو ابن ستة وخمسين سنة. فكانت وفاته مصيبةٌ كبرى فظيعة. ألمّت بالمسلمين وأفجعتهم، وملأت القلوب حُزْنًا وأسى ومرارة. فكانت هذه الحادثة من معجزات النبيّ صلى الله عليه وسلم. التي أخبر عنها. فقد روت كتب السنّة عن أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالسًا ذات يوم في بيتي؛ قال: لا يدخل عليّ أحد. فانتظرت، فدخل الحسين، فسمعت نشيج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبكي، فاطّلعت فإذا حسين في حجره والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل. فقال: إنّ جبريل عليه السّلام كان معنا في البيت؛ قال: أفتحبّه؟ قلت: أما في

الدنيا فنعم. قال: إنّ أمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء، فتناول جبريل من تربتها، فأراها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم)). فلمّا أحيط بالحسين رضي الله عنه حين قتل؛ قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء. فقال: صدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أرض كَرْبٍ وبلاء. أيّها المسلمون. إنّ أحسن ما يقال عند ذِكْر هذه المصائب وأمثالِها ما رواه سيّدُنا علي زينُ العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهما عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((ما من مسلم ولا مسلمة تُصِبْه مصيبة فيتذكّرُها وإن قَدِمَ عهْدُها فيُحْدِث لها استرجاعا إلا أحدث الله له عند ذلك أجرا وأعطاه ثواب ما وعده يوم أُصيب بها)). رواه الإمام أحمد وابن ماجة. اللهمّ إنّا نُشْهِدُك. ونشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم. ونحبّ أهل بيته الطاهرين الطيّبين. عليّا وفاطمة. والحسن والحسين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. أن توفّقنا لصالح الأعمال والأقوال المرضية. وتحفّنا باللطف يا مَنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه. وحقّقنا بأسرار أهل البيت واحشرنا في زمرتهم العلية. واجعلنا من المخلصين لهم إلى بلوغ الأجل منتهاه. وأمدّنا بأمدادهم واجعل عِيشتنا هنية. واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة وأنلنا شفاعة حبيبك الدّرّة المنتقاة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

09- إستنشاقُ أطيبِ الرّياحين من أشرف البساتين في بعض مناقب الإمام السّجّاد سيّدنا علي زَيْن العابِدين سلام الله عليه أبد الآبدين

الحمد لله الذي اختار لشرف النبوّة والرسالة سيّدنا ومولانا محمدا صلّى الله عليه وآله وسلَّم. واختار لاختياره أهلَ بيته فاعترف كلٌّ بمنزلتهم وسلَّم. وجعلهم خيرَ الناس بكل اعتبارٍ وكيفيّة. فجمّل بهم وجه الملّة الحنيفيّة. وأخبر بأنّهم مع القرآن الكريم لا يفترقان حتى يَرِدَا عليه الحوض. إعلاما بكمال التنويه بذِكْر رتبتهم العليّة.

فسبحانه من إله جعل وُدَّ وتعظيمَ أقارب محبوبه الأكرم. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. من أعظم ذخائر العقبى. ولوّح إلى ذلك بشريف قوله تعالى في سورة

الشورى:((قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)). فكان ودادهم وتعظيمهم دين وملّة وقُرْبة.

هُمْ مَعشَرٌ حُبُّهُمْ فَرْضٌ وَبُغْضُهُمُ * كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجًى وَمُعتَصَمُ

إنْ عُدّ أهْلُ التُّقَى كانوا أئِمَّتَهُمْ * أوْ قيل مَنْ خيرُ أهْلِ الأرْض قيل هُمُ

مُقَدَّمٌ بَعْد ذِكْرِ الله ذِكْرُهُمُ * في كلّ بَدْءٍ وَمَختومٌ به الكَلِمُ

يُسْتَدْفَعُ الشرُّ وَالبَلْوَى بحُبّهِمُ * وَيُسْتَرَبُّ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جعل أهلَ بيتِ نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم غرّةَ جبهةِ هذا الوجود. ودرّةَ صدفتِه بلا منازعة ولا جحود. فأسقاهم زلال العرفان من رحيق حياض السعادة. وأعطاهم جزيل نعمه فقطفوا بأناملِ الإحسان من أنيق رياض الإجلال نُوَارَ الشرف والسيادة. وأكرمهم بالفخر العظيم بنيل الشهادة. وجعلهم مِمَّن فاز بالحسنى وزيادة.

وأشهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. نبيّ شرّف الله به ذريّته على جميع العالمين. خصوصا الزهراء والسّبطَيْن وعليًّا السّجّادَ زينَ العابدين. أفاض الله علينا من بركاته الغزار. وحشرنا في زمرته مع جدّه سيّد الأبرار. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ما تعاقب الليل والنهار.

آلَ بيتِ الرسول أنتم عياذي * وملاذي ولا أخاف اغتيالا

آلُ بيت النبيّ حِصْني وذُخْري * عند كَرْبي إذا خشيتُ النِّزالا

عطفة على طالب الوصل منكم * كي ينال الوصول والإقبالا

وأختم القول بالصلاة على مَنْ * خصّه الله بالكمال تعالى

يا مرتَجين لفضله ونوالِهِ * صلّوا على المصطفى تبلغوا الآمالا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الذي طُهِّرَت بماء قُدْس العناية أصوله وفروعه. فهم عرائس تجلّي الكريم في حضرة الجمال. الآمنون مع مَنْ أحبّهم من شدائد يوم الخزي والنَّكال. وعلى أهل بيته سُفُن النجاة وأمنة لأهل الأرض من جميع المخاوف والأهوال. وعلى أصحابه نجوم الهداية وحملة الشرع وحماة الدين

فكانوا بذلك كمّل الرجال. صلاة تغيّبنا بها في أنوار الجلال والجمال. وتلبسنا بها من رضاك ورضاه حُلَّتَيِّ البهاء والكمال. وتنظمنا بها في سِلْك أهل الأنس والإدلال. وترقّينا بها إلى مقامات خوّاصّ الأولياء من الأقطاب والأبدال. بفضلك وكرمك يا أرحم الرّاحمين. يا ربّ العالمين.

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلّم.

إنَّ مِنْ دَلاَئِلِ إِجْلاَلِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم وَحُبِّهِ. حُبَّ آلِ بَيْتِهِ الأَطْهَارِ وَتَوْقِيرَهُمْ؛ لأَنَّهُمْ غُصُونُ تِلْكَ الدَّوْحَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ الَّتِي أَصْلُهَا فِي الأَرْضِ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، الَّتِي اصْطَفَاهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ، واصطنعها على عينه، وَهُمْ بِضْعَةُ وَقَرَابَةُ أَشْرَفِ الْخَلْقِ وَأَكْرَمِ الأَنْبِيَاءِ صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم يَقُولُ: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))،

وَهَا هُوَ التَّارِيخُ يَشْهَدُ لِذَلِكَ، فَإِنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَعْرِفْ أَهْلَ بَيْتٍ أَحَبَّهُمُ النَّاسُ مِنْ قَوْمِيَّاتٍ وَمَذَاهِبَ شَتَّى كَآلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فَقَدْ أَحَبُّوهُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً، كَمَا قَدْ أَلَّفَ الْعُلَمَاءُ الْكُتُبَ فِي مَنْزِلَتِهِمْ عند الله والناس، وَنَظَّمَ الشُّعَرَاءُ الْقَصَائِدَ والدواوين فِي مَدِيحِهِمْ، وَرَدَّدَ الْخُطَبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ وَفِي الْمَحَافِلِ فَضَائِلَهُمْ، وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ فِي شَرْقِ الأَرْضِ أَوْ غَرْبِهَا يُصَلِّي لِلَّهِ؛ إِلاَّ وَيَذْكُرُ رَسُولَ اللهِ وَآلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ، ورحم الله الإمام الشافعي إذ قول في مدح آل البيت النبويّ الطاهر:

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُ * فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ

يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنَّكُمُ * مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لاَ صَلاَةَ لَهُ

وصدق الله إذ يقول في سورة الحديد: ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))،

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلّم. إِنَّ لآلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم مَنَاقِبَ شَتَّى، وَمَآثِرَ كُبْرَى؛ لَمْ تَكُنْ لأَحَدٍ

سِوَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، مِنْ أَعْظَمِهَا. فَضْلُ النَّسَبِ، وَطَهَارَةُ الْحَسَبِ؛ كَمَا تَقَدَّمَ قَرِيباً فِي حَدِيثِ وَاثِلَةَ رضي الله عنه.

كفاكُمْ يا بني الزَّهْرَاءِ فَخْرًا * إذا ما قيل جَدُّكُمُ الرّسولُ

أَبُوكُمْ فَارِسُ الْهَيْجَا عَلِيٌّ * وَأُمُّكُمُ الْمُطَهَّرَةُ الْبَتُولُ

وَمِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ الْعُلْيَا. والْمَنَاقِبِ الْعُظْمَى. وَصِيَّةُ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم بِهِمْ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا. بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: ((أَمَّا بَعْدُ: أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ؛ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)). وجاء في رواية الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنّه قال: ((إنّي أُوشَكُ أنْ أُدْعى فأُجيبُ، وإنيّ تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ: كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وعِتْرَتي. كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمدودٌ مِن السَّماءِ إلى الأرض. وَعِترَتي أهلُ بيتي؛ وَإنّ اللّطيفَ الخَبيرَ أخْبَرني أنَّهما لَن يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ؛ فانْظُروني بِم تَخْلُفوني فِيهِما)). وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله تعالى وعترتي))،

أيّها المسلمون. لَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ السَّلَفِ الصالح لهذه الأُمَّةِ شَاهِدَةً عَلَى رِعَايَتِهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم فِي أَهْلِ بَيْتِهِ الأطهار، وَالْوَقَائِعُ كَثِيرَةٌ لاَ تُحْصَى،

فمنها ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها عن أبيها سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنّه قال: ((واللهِ؛ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أَحَبُّ إِليَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي)).

وروى الطَّبَرَانِيُّ أنّ سيّدنا عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه في فتح مكة قال لِسيّدنا الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((وَاللهِ؛ لإِسْلاَمُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِليَّ مِنْ إِسْلاَمِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ؛ لأَنَّ إِسْلاَمَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم

مِنْ إِسْلاَمِ الْخَطَّابِ)). وروى ابن سعد في الطبقات عن الواقدي بسنده عن الزهري عن سعيد عن قومٍ آخرين قالوا: ((لمّا أجمع سيّدنا عمر على تدوين الديوان وذلك في المحرّم سنة عشرين، بدأ ببني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. فكان القوم إذا استووا في القرابة قدّم أهل السابقة، ثم انتهى إلى الأنصار. فقالوا: بمن نبدأ؟ فقال: إبدؤوا برهط سعد بن معاذ من الأوس. ثم الأقرب فالأقرب لسعد، وفرض سيّدنا عمر لأهل الديوان، فقدّم أهل السوابق والمشاهد من الفرائض)).

وكان سيّدنا أبو بكر قد سوّى بين الناس في القسم. فقيل لسيّدنا عمر في ذلك. فقال: ((لا أجعل مَنْ قاتل رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم كمَنْ قاتل معه))، فبدأ بمن شهد بدرا من المهاجرين والأنصار، وفرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة. حليفهم ومولاهم معهم بالسواء. وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر ومن مهاجرة الحبشة ممّن شهدوا أُحُدا أربعة آلاف درهم، وفرض لأبناء البدريّين ألفَيْن ألفَيْن. إلا الحسن والحسَيْن. فإنّه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف. وفرض لسيّدنا العباس خمسة آلاف لقرابته برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

ولم يكن الخليفة الراشد سيّدنا عثمان بن عفان رضي لله عنه بأقلّ حبّا لآل البيت من صاحبَيْه، وظلّ الحبّ والإحترام متبادلا بينه وبين آل البيت. وآية ذلك أنّ سيّدنا علي أرسل ولدَيْه الحسن والحسين، للدفاع عن سيّدنا عثمان عندما حوصر في داره. وقد أصيب سيّدنا الحسن بسهم فخضّبه الدم،

أيّها المسلمون. أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وكان أئمّة المذاهب الأربعة من أكثر الناس حبّا لآل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم،

فلقد اشتهر الإمام أبو حنيفة النعمان بحبّ آل البيت وبذل الأموال الطائلة لهم، وكان يأمر أصحابه برعاية أحوالهم. واقتفاء آثارهم. والإقتداء بأنوارهم.

وكان الإمام مالك بن أنس من محبّي آل البيت، وقيل إنّه أفتى بخَلْع المنصور لأنّ القوم بايعوه كرهًا ولا بيعة لمكرَه.

كما يرى الكثيرون من أمثال ابن حجر الهيثمي في الصواعق. وأبو نُعَيْم في حلية الأولياء، وابن الصبّاغ في الفصول، والشبلنجي في نور الأبصار. والشيخ سليمان في الينابيع. وغيرهم، يَرَوْوا أنّ الإمامان أبو حنيفة ومالك من تلامذة الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر،

وأمّا الإمام الشافعي فحبّه لأهل البيت أشهر من أن يُذْكَر، وقد أُغْرِق في هذا الحب حتى نسبه الخوارج إلى الرفض، ومن شعره في آل البيت الطاهرين:

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُ * فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ

يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنَّكُمُ * مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لاَ صَلاَةَ لَهُ

وأمّا الإمام أحمد بن حنبل، فكتابه (مسند أحمد) مشحون بفضائل سيّدنا علي، أمّا كتابه (فضائل الصحابة) فلا شكّ أنّ فضائل أهل البيت تمثّل الجزء الأكثر منه، ونُقِل أنّه تتلمذ على يد الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق،

هذا وقد ألّف الإمام الحافظ النسائي كتابا سمّاه (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. إنّ من نعم الله تعالى على أهل البيت الكرام. أن جعل فيهم الكثير من العلماء والأولياء والصالحين. الذين ذاع صيتهم في البلاد. فانتفع بهم العباد. بل وفُتِحت على أيديهم البلاد. ومن هؤلاء المشاهير:

سيدنا ومولانا الإمام السّجّاد علي زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهما. أحد كواكب البيت النبوي الطاهر، وعَلَماً من أعلام الهداية، جمع الفضائل، وحاز المكارم، كان من أجمل الناس خَلْقًا. ومن أحسنهم خُلُقًا. الناس من حُسْن حاله ومنظره كانوا يهابونه أكثر من الملوك، الذي في مثل هذا الشهر أعني في الثاني عشر من شهر محرّم سنة أربع و تسعين للهجرة. استُشْهِد مقتولاً بالسّمّ. رضي الله عنه وأرضاه.

فَحَرِيٌّ بنا أن نتعرَّف على قَبَساتٍ من حياته ومناقبه. والْقَصْدُ من ذلك التبرّك بذِكْر الأئمّة الصالحين. لأنّ بِذِكْرِهم تتنزّل الرحمات. قال الإمام أبو حنيفةَ النُّعْمان رحمه الله: ((لَسِيَرُ الصالحين أحبُّ إلينا من كثيرٍ من الفقه)). وقال بعضهم:

أَسْرِدْ حديثَ الصالحين وسَمِّهِمْ * فبِذِكْرِهِم تتنزّل الرَّحَماتُ

وَاحْضُرْ مَجالِسَهُمْ تَنَلْ بركاتِهِمْ * وقبورَهُمْ زُرْهَا إذا ما ماتُوا

وهذه تنزّهاتٌ لأرواح المحبّين. في بساتين آل البيت الطّيّبين الطاهرين. نستنشق من خلالها شذى الرياحين. المنبعث من بعض مناقب الإمام السّجّاد سيّدنا علي زَيْن العابِدِين بن الإمام السِّبْط سيّدنا الحُسَيْن.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه.

وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

فنقول مستعينين بفضائل باسم الله:

هو رابع الأئمّة الأطهار عند الشيعة الإمامية. وهو عند أهل السنّة واحد من أهل البيت النبوي الطاهر. له من الفضل والعلم ما لا ينكره أحد.

أبوه سيّد شباب أهل الجنّة. وسبط الرسول المصطفى. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وريحانته من هذه الدنيا. شهيد كربلاء. سيّدنا ومولانا الإمام الحسين. عليه من ربّه السلام والرضى.

وأمّهُ: شاه زُنَان، كلمة فارسية معناها: ملكة النساء. بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى،

وقد ذكر الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) أنّه لمّا أُتِيَ بِسَبْيِ فارس في خلافة سيّدنا عمر رضي الله عنه. كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد. مَلِكُ فارس. فباعوا السبايا وأمر سيّدنا عمر ببيع بنات يزدجرد. فقال له الإمام علي كرّم الله وجهه ورضي عنه: ((إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهنّ. قال: كيف الطريق إلى العمل معهنّ؟ قال: تقوّمهنّ ومهما بلغ ثمنهنّ قام به مَنْ يختارهنّ)). فقوّمهنّ فأخذهنّ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فدفع واحدة لولده الإمام الحسين فولدت له الإمام عليّا زين العابدين رضي الله عنه. وواحدة لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فولدت له سالما. وواحدة لمحمد بن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما فولدت له القاسم. فهؤلاء الثلاثة بنو خالة. وكانوا من العلماء الأجلاّء. ذوي الفضل في العلم والتقى.

وُلِد رضي الله عنه بالمدينة المنوّرة في الخامس من شعبان، سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، في أيّام جدّه الإمام سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبل وفاته بسنتَيْن.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. نشأ الامام علي زين العابدين رضي الله عنه في أرفع بيت وأسماه. ألا وهو بيت النبوّة والإمامة. الذي أذن الله أن يُرْفَع ويُذْكَر فيه اسمه. فكان الحفيد بحقٍّ صورة صادقة عن جدّه الإمام أمير المؤمنين سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه، يحاكيه ويضاهيه في شخصيّته ومكوّناته النفسية.

كما عاش الإمام زين العابدين في كنف عمّه الإمام الحسن بن علي. السبط الأوّل لرسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ كان يغدق عليه من عطفه وحنانه، ويغرس في نفسه مُثُلَه العظيمة وخصاله السامية،

وكان الإمام زين العابدين طوال هذه السنين تحت ظلّ والده العظيم الإمام الحسين. الذي أولاه المزيد من رعايته وعنايته، وقدّمه على بقية أبنائه، وصاحَبَه في أكثر أوقاته.

وتؤكّد المصادر التاريخية أنّ الإمام علي زين العابدين كان حاضراً في كربلاء مع أبيه الإمام الحسين رضي الله عنهما. وقد كان في الثالثة والعشرين من عمره وكان مريضا آنذاك. نائما على الفراش فلم يقاتِل،

ولعلّ الله تعالى أنجاه من هذه السيوف الآثمة. لتبقى ذرّيّة الحسين من بعده في عقب هذا الإمام. ومنه تفرّعت السلالة الحسينيّة الشريفة الطاهرة.

وعندما أدخلوا الإمام زين العابدين على ابن زياد سأله من أنت؟ فقال: أنا عليّ بن الحسين، فقال له: أليس قد قَتَل الله عليّ بن الحسين؟ فقال الإمام زين العابدين: قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال الإمام علي زين العابدين: (الله يتوفّى الأنفس حين موتها)، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للردّ عليّ؟! إذهبوا به فاضربوا عنقه. فتعلّقت به عمّته زينب

بنت الإمام علي بن أبي طالب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: لا والله لا أُفارقه. فإن قتلته فاقتلني معه،

فقال لها الإمام زين العابدين: اسكتي يا عمّة حتى أُكلّمه، ثمّ أقبل عليه فقال: أبالقتل تهدّدني يابن زياد؟ أما علمتَ أنّ القتل لنا عادة. وكرامتنا من الله الشهادة؟ ثمّ أمر ابن زياد بالإمام زين العابدين وأهل بيته فحملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. لقد عاش الإمام زين العابدين رضي الله عنه في المدينة المنوّرة، حاضرة الإسلام الأُولى، ومهد العلوم والعلماء، فكان بشهادة أكابر أبناء طبقته والتابعين لهم، الأَعلم والأَفقه. والأَوثق بلا تردّد. هذا وقد كانت مدرسته تعجّ بكبار أهل العلم. يحملون عنه العلم والأَدب، وينقلون عنه الحديث.

فبرز رضي الله عنه على الصعيد العلمي والديني، إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجِعاً ومثَلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى. حتى سلّم المسلمون جميعاً في عصره بأنّه أفقه أهل زمانه. وأورعهم وأتقاهم.

روى الحديث عن أبيه وعمّه الحسن. وجابر بن عبد الله. وابن عباس. والمسور بن مخرمة. وأبي هريرة. وصفية وعائشة وأمّ سلمة أمّهات المؤمنين رضي الله عنهم .

قال الزهري، وهو من معاصريه: ما رأيتُ قرشياً أفضل منه،

وقال سعيد بن المسيّب وهو من معاصريه أيضاً: ما رأيتُ قطّ أفضل من علي بن الحسين،

وقال الإمام مالك: إنّ علي بن الحسين كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة إلى أن مات.

وكان يسمّى زين العابدين لكثرة عبادته،

وقيل سُمِّيَ بالسَّجَّاد لأنّه ما ذكر لله نعمة عليه إلا سَجَدَ، ولا قرأ آية من كتاب الله فيها سجدة إلا سجد، ولا دفع الله عنه شرّاً يخشاه أو كيد كائد إلا سجد، ولا فرغ من

صلاته المفروضة إلا سجد، ولا وُفِّق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان كثير السجود في جميع مواضع سجوده. فَسُمِّيَ السَّجَّاد لذلك.

وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه،

وعدّه الشافعي أنّه: أفقه أهل المدينة.

وعلّق الإمام أحمد بن حنبل على سندٍ فيه الإمام علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. قائلاً: لو قرأتَ هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جِنَّتِه.

ومن محبّته رضي الله عنه للعلماء. أنّه كان يتخطّى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم مولى سيّدنا عمر. فلامه بعضهم. فقال: ينبغي للعلم أن يُتْبَع حيث كان. إنّما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المحبّون. لقد كان الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه دائم الحزن شديد البكاء. لأنّه عاش بعد أن قُتِل الأحبّة من قومه وآله. وقد قيل له في ذلك فقال: أنّ يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضّت عيناه على يوسف. ولم يعلم أنّه مات. وإنّي رأيتُ بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون أمامي في غداة واحدة. أفترون حزنهم يذهب من قلبي؟.

وكان رضي الله عنه إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً ولا أَمَة. وإذا أذنبَ عبدٌ أو أَمَةٌ سجَّل ذلك. فإذا كانت آخِر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثمّ يعرض عليهم سيّئاتهم فيعترفون بها، فيقول لهم: قولوا: يا عليَّ بن الحسين إنَّ ربَّك أحصى عليك كلَّ ما عملتَ كما أحصيتَ علينا كلَّ ما عملنا، ولديه كتابٌ ينطق عليك بالحق ولا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، وتجد كلَّ ما عملتَ لديه حاضرا، فاعفُ واصفحْ يعف عنك المليك ويصفح، فيردّدون هذا وهو واقف بينهم يبكي ويقول: ربَّنا إنك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا وقد عفونا كما أمرتَ فاعف

عنّا، فإنّك أولى بذلك منّا. ثمَّ يُقبل عليهم ويقول: لقد عفوتُ عنكم، فهل عفوتم ما كان منّي إليكم؟ فيقولون: نعم عفونا. فيقول: إذهبوا فقد أعتقتُ رقابكم طمعاً في عفو الله وعتق رقبتي من النار. ثمَّ يخرجون يوم العيد أحراراً وقد أعطاهم جوائز تغنيهم عن مسألة الناس.

وقال أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء: كانت بيوتٌ في المدينة المنوّرة تعيش على صدقات علي بن الحسين رضي الله عنه، فلمّا مات فَقَدوا ما كان يأتيهم، فعلموا أنّه هو الذي كان يُعطيهم، وقالوا: ما فقدنا صدقة السرِّ حتى فقَدْنا علي بن الحسين. وكانوا مائة بيت.

وقد وُجِد في ظهره عند غسله في موته آثارٌ كالتي توجد في ظهور الحمّالين، وذلك لأنّه كان يخرج في كلِّ ليلة وعلى ظهره جِراب يوزِّع الطعام على المساكين. وكانوا إذا رأوه قالوا: جاء صاحب الجِراب. وكانوا لا يعرفون مَنْ يكون.

وقال سفيان ابن عيينة: رأى محمد بن شهاب الزهري الإمام علي زين العابدين وهو يمشي في ليلةٍ باردة وعلى ظهره دقيق، فقال: يا بن رسول الله ما هذا؟ قال: أريد سفراً أعددت له زاداً أحمله إلى مكان حريز، فقال: هذا غلامي يحمله عنك، فأبى عليه الإمام علي، فقال: إذن أحمله أنا عنك فإني أجلّك عن حمله. فقال: ولكني لا أُجلُّ نفسي عمّا ينجّيني في سفري ويحسِّن ورودي على ما أردُ عليه، أسألك بحقِّ الله لَمَا مضيت لحاجتك وتركتني. فلما كان بعد أيام لقيه الرجل فقال له: لستُ أرى لذلك السفر الذي ذكرتَهُ أثرا؟ قال: بلى يا زهري ليس هو ما ظننتَ ولكنه الموت وله استعد، إنّما الإستعداد للموت تجنُّب الحرام وبذل الندى في الخير.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المسلمون. ومن الروايات المشهورة عن فضله وحلمه وحسْن خُلُقه رضي الله عنه. لمّا شتمه رجل في وجهه فأعرض عنه الإمام علي زين العابدين. ثم كرّر ذلك وهو يُعْرِض عنه. فقال له الرجل: إيّاك أعني. فأجابه الإمام: وعنك أُغضي .

وهو صاحب القصّة المشهورة: أنّ جارية كانت تسكب الماء لوضوئه. فسقط منها الإبريق على وجهه. فشجَّه حتى سال دمه، فرفع رأسه ونظر إليها لائما. فقالت: إنّ الله تعالى يقول: ((والكاظمين الغيظ)). فقال: قد كظمت غيظي. فقالت: ((والعافين

عن الناس)). فقال: عفا الله عنك. فقالت: ((والله يحب المحسنين)). فقال: أنتِ حرة لوجه الله تعالى.

وقال الشيخ عبد الجواد الشربيني في كتاب (درر الأصداف في مناقب الأشراف): أنّه رأى الإمام عليّا زين العابدين خرج من المسجد فلقيه رجل فسبّه وبالغ في سبّه وأفرط. فعاد إليه العبيد والموالي فكفّهم الإمام عنه. وأقبل عليه وقال: ما سُتِرَ عنك من أمرنا أكثر. ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل. فألقى إليه الإمام زين العابدين خميصة وألقى إليه خمسة آلاف درهم. فقال الرجل: أشهد أنّك من أولاد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

ويروى أنّه رضي الله عنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يعودونه. فقالوا: كيف أصبحت يا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فدتك أنفسنا؟ قال: في عافية واللهُ المحمود على ذلك. فكيف أصبحتم أنتم جميعا؟ قالوا: أصبحنا واللهِ لك يا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم محبّين وادّين. فقال لهم: مَنْ أحبّنا لله أسكنه الله في ظلّ ظليل يوم القيامة. يوم لا ظلّ إلا ظلّه. يعني في ظلّ العرش. ومَنْ أحبّنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنّا الجنّة. ومن أحبّنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب.

وقد كان رضي الله عنه لا يساير الذين يذمّون الخلفاء الراشدين المهديّين رضي الله عنهم. ولم يُعْلَم عنه أنّه قال في سادتنا أبي بكر وعمر وعثمان إلاّ خيرا .

ورُوِي أنّه قَدِم على الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه نفر من أهل العراق. فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان. يعني طعنوا فيهم. فلمّا فرغوا من كلامهم. قال لهم: ألا تخبروني مَنْ أنتم؟ أنتم المهاجرون الأوّلون. الذين قال الله فيهم: ((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)). قالوا: لا. قال: فأنتم من الذين قال الله فيهم: ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). قالوا: لا. فقال: أَمَا إنّكم قد أقررتم على أنفسكم. وتبرّأتم أن تكونوا من أحد هذَيْن الفريقَيْن. وأنا أشهد أنّكم لستم من الذين قال الله فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ

سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)). أُخرجوا عنّي لا بارك الله فيكم. أنتم تتستّرون بالإسلام ولستم من أهله.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. بهذه الخلال السمحة الكريمة. وبهذه التقوى التي لا تعرف سوى الله. اشتُهِر الإمام علي زين العابدين. فأحبّه الناس وأجلّوه. حتى إنّه كان إذا سار في مزدحم أفسح الناس له الطريق.

ويروى من عدّة طرق أنّ هشام بن عبد الملك حجّ قبل أن يتولّى الخلافة. فطاف حول البيت وحاول استلام الحجر الأسود فلم يقدر على الإستلام من شدّة الزحام، فجلس ينتظر. ووقف حوله أهل الشام. فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه. وعليه إزار ورداء، من أحسن الناس وجها. وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجادة كأنّها ركبة عنز، فجعل يطوف فإذا بلغ إلى موضع الحجر الأسود تنحّى عنه الناس. ووقفوا له إجلالا وتعظيما واحتراما. حتى إذا استلم الحجر الأسود وقبّله وانصرف عاد الناس إلى طوافهم. فقال شامي: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق وهو من شعراء بني أميّة وكان حاضرا: لكنّي أنا أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فأنشأ قصيدة يقول فيها:

هَذَا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ * وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ كلِّهِمُ * هذا التّقيُّ النّقيُّ الطّاهِرُ العَلَمُ

هَذَا الذي أحْمَدُ المُخْتَارُ وَالِدُهُ * صَلَّى عَلَيهِ إلَهِي مَا جَرَى القَلَمُ

لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلْثِمُهُ * لَخَرَّ يَلْثِمُ مِنْهُ مَا وَطَى القَدَمُ

هَذَا علي رَسُولُ اللهِ وَالِدُهُ * أَمْسَتْ بِنُورِ هُدَاهُ تَهْتَدِي الأُمَمُ

هَذَا الَّذِي عَمُّهُ الطَّيّارُ جَعْفَرٌ * وَالمَقْتُولُ حَمْزَةُ لَيْثٌ حُبُّهُ قَسَمُ

هَذَا ابْنُ سَيِّدَةِ النِّسْوَانِ فَاطِمَةٍ * وَابْنُ الوَصِيِّ الَّذِي في سَيْفِهِ نِقَمُ

إذَا رَأتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا * إلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الكَرَمُ

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ راحتِه * رُكْنُ الحَطِيمِ إذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وَلَيْسَ قُولُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ * العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أنْكَرْتَ وَالعَجَمُ

يُنْمَى إلَى ذَرْوَةِ العِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ * عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الإسْلاَمِ وَالعَجَمُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ * فَمَا يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

يَنْجَابُ نُورُ الدُّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ * كَالشّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إشْرَاقِهَا الظُّلَمُ

بِكَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ * مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

مَا قَالَ لاَ قَطُّ إلاَّ فِي تَشَهُّدِهِ * لَوْلاَ التّشَهُّدُ كَانَتْ لاَؤهُ نَعَمُ

مُشتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ * طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالخِيمُ وَالشِّيَمُ

حَمّالُ أثْقَالِ أَقْوَامٍ إذَا فُدِحُوا * حُلْوُ الشّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ

إنْ قَالَ قَالَ بِمِا يَهْوَى جَمِيعُهُمُ * وَإنْ تَكَلَّمَ يَوْماً زَانَهُ الكَلِمُ

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ * بِجَدِّهِ أنبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا

اللهُ فَضّلَهُ قِدْماً وَشَرّفَهُ * جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ القَلَمُ

مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الأنْبِيَاءِ لَهُ * وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهَا الأُمَمُ

عَمَّ البَرِيّةَ بِالإحْسَانِ وَانْقَشَعَتْ * عَنْهَا العِمَايَةُ وَالإمْلاَقُ وَالظُّلَمُ

كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا * يُسْتَوْكَفَانِ وَلاَ يَعْرُوهُمَا عَدَمُ

سَهْلُ الخَلِيقَةِ لاَ تُخْشَى بَوَادِرُهُ * يَزِينُهُ خَصْلَتَانِ الحِلْمُ وَالكَرَمُ

لاَ يُخْلِفُ الوَعْدَ مَيْمُوناً نَقِيبَتُهُ * رَحْبُ الفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يُعْتَرَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ * كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ

يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالبَلْوَى بِحُبِّهِمُ * وَيُسْتَزَادُ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ * فِي كُلِّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ

إنْ عُدَّ أهْلُ التُّقَى كَانُوا أئمَّتَهُمْ * أوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الارْضِ قِيلَ هُمُ

لاَ يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ * وَلاَ يُدَانِيهِمُ قَوْمٌ وَإنْ كَرُمُوا

هُمُ الغُيُوثُ إذَا مَا أزْمَةٌ أزَمَتْ * وَالأُسْدُ أُسْدُ الشَّرَى وَالبَأْسُ مُحْتَدِمُ

يَأبَى لَهُمْ أَنْ يَحِلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ * خِيمٌ كَرِيمٌ وَأيْدٍ بِالنَّدَى هُضُمُ

لاَ يَقْبِضُ العُسْرُ بَسْطاً مِنْ أكُفِّهِمُ * سِيَّانِ ذَلِكَ إنْ أثْرَوْا وَإنْ عَدِمُوا

أيُّ القَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمُ * لأَوَّلِيَّةِ هَذَا أوْ لَهُ نِعَمُ

مَنْ يَعْرِفِ اللهَ يَعْرِفْ أوَّلِيَّةَ ذَا * فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الأُمَمُ

بُيُوتُهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا * فِي النَّائِبَاتِ وَعِنْدَ الحُكْمِ إنْ حَكَمُوا

فَجَدُّهُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أُرُومَتِهَا * مُحَمّدٌ وَعليٌّ بَعْدَهُ عَلَمُ

بَدرٌ له شَاهِدٌ وَالشِّعْبُ مِنْ أُحُدٍ * والخَنْدَقَانِ وَيَومُ الفَتْحِ قَدْ عَلِمُوا

وَخَيْبَرٌ وَحُنَيْنٌ يَشْهَدَانِ لَهُ * وَفِي قُرَيْضَةَ يَوْمٌ صَيْلَمٌ قَتَمُ

مَوَاطِنٌ قَدْ عَلَتْ فِي كُلِّ نائِبَةٍ * على الصَّحَابَةِ لَمْ أَكْتُمْ كَمَا كَتَمُوا

فغضب هشام ومنع جائزته وقال: أَلاَ قُلْتَ فِينَا مِثْلَهَا؟ قال: هَاتِ جَدّاً كَجَدِّهِ، وَأَبًا كَأَبِيهِ، وَأُمًّا كَأُمِّهِ حَتّى أَقُولَ فِيكُمْ مِثْلَهَا! فأمر هشام بحبسه بعُسفَان بين مكّة والمدينة. ولكنّه أطلق سراحه خوفا من لسانه. فبلغ ذلك الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه، فبعث إليه باثني عشر ألف درهم، وقال: أَعْذِرْنَا يَا أَبَا فِرَاسٍ، فَلَوْ كَانَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ هَذَا لَوَصَلْنَاكَ بِهِ! فردّها وقال: يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ! مَا قُلْتُ الّذِي قُلْتُ إلاَّ غَضَباً لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ! وَمَا كُنْتُ لأَرْزَأَ عَلَيهِ شَيْئاً. فردّها إليه وقال: بِحَقِّي عَلَيكَ لَمّا قَبِلْتَهَا. فَقَدْ رَأَى اللهُ مَكَانَكَ وَعَلِمَ نِيَّتَكَ! إنّا أهل بيتٍ إذا وهبنا شيئا لا نعيده. فقبلها الفرزدق.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما مننتَ عليه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلّم. وترك الإمام زين العابدين خمسة عشر من الأولاد. أحد عشر من الذكور وأربع إناث. وارثه منهم علما وزهادة وعبادة سيّدنا محمد الباقر رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين. وكانت وفاة الإمام علي زين العابدين في الثاني عشر من شهر محرّم سنة أربع و تسعين. من هجرة جدّه سيّد المرسلين. صلّى الله وسلّم عليه وعلى آل بيته أجمعين. صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن ما تُلِيت مناقب هذا السيّد الكريم. وما فنى بها محبّ فنال الخير الجسيم.

توفي رضي الله عنه شهيدا مسموما. سمّه الوليد بن عبد الملك الأموي. ودُفِن في البقيع الشريف. مع جدّته السيّدة فاطمة الزهراء وعمّه الإمام الحسن أُولِي القدر المنيف. ودُفِن بعده معه إبنه محمد الباقر وابن إبنه جعفر الصادق. فرحمه الله برحمته الواسعة ذات الفخامة. وأجزل له المثوبات وأسعد مبداه وختامه. وأناله فوق المطالب وأجزل سؤله ومرامه. وأحلّه جنان الخلود والكرامة.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما مننتَ عليه.

فلنرفع أكفّ الضراعة والإفتقار. إلى حضرة المجيب الغفار. متوسّلين بالحبيب الشفيع. وأهل بيته ذوي القدر الرفيع. بادئين بالصلاة والتسليم. على النبي المصطفى الكريم. بصلاة الإمام السّجّاد زين العابدين. سيّدنا علي بن سيّدنا الحسين. اللّهمَّ فَصلِّ عَلَى سيّدنا مُحَمّد أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إمَامِ الرّحْمَةِ. وَقَائِدِ الْخَيْرِ. وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ، كَمَا نَصَبَ لأِمْرِكَ نَفْسَهُ، وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إلَيْكَ حَامَّتَهُ. وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أسْرَتَهُ. وَقَطَعَ فِي إحْياءِ دِينِكَ رَحِمَهُ. وَأقصَى الأدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الأقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ. وَوالَى فِيكَ الأبْعَدِينَ، وَعَادى فِيكَ الأقْرَبِينَ، وَأدْأبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ. وَأتْعَبَهَا بِالدُّعاءِ إلَى مِلَّتِكَ. وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لأِهْلِ دَعْوَتِكَ، وَهَاجَرَ إلَى بِلاَدِ الْغُرْبَةِ وَمحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ. وَمَسْقَطِ رَأسِهِ. وَمَأنَسِ نَفْسِهِ. إرَادَةً مِنْهُ لإعْزَازِ دِينِكَ، واسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ، حَتّى اسْتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ، وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أوْلِيَآئِكَ، فَنَهَدَ إلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ. وَمُتَقَوّياً عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ، فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ. وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ. حَتّى ظَهَر أَمْرُكَ، وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

اللَهُمّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ، حَتّى لاَ يُسَاوَى فِي مَنْزِلَةٍ. وَلا يُكَافَأَ فِي مَرْتَبَةٍ. وَلاَ يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرّبٌ. وَلا نبيٌّ مُرْسَلٌ، وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطّاهِرِينَ. وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ. مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ. يَا وَافِيَ الْقَوْلِ. يَا مُبَدِّلَ السّيِّئات بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ. إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. الْجَوَادُ اَلْكَرِيمُ. نسألك اللهم أن تجعل لنا من كل ضيق فرجا. ومن كل شدّة مخرجا. وارحم آباءنا والأجداد. واحفظنا في الأهل والمال والأولاد. والأشياخ والأحباب والأحفاد. ولا تخزنا يوم القيامة إنّك لا تخلف الميعاد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

10- الرَّوْضُ الزّاهِر والعِطْرُ الفاخِر المستَخْلَصُ مِنْ شَذَى سيرة الزّكيّ الطاهر والعَلَمِ الباهر مولانا الإمام سيّدنا محمد الباقر

الحمد لله الذي يَخْلُق ما يشاء ويختَار. ويَصطفِي للشَّرف مَنْ شاءَ مِنَ الأخيَار، جعل أهل بيت نبيّه الكريم خلاصة الأنام. وخصّهم بمزيد إكرام على الخاصّ والعام. وفرَّعهم من روضة الزهراء البتول الطاهرة النّقيّة، فروعَ صِدْقٍ طيّبة زكيّة، أرضعتهم الرسالة المحمدية بدَرِّها، وطوّقتهم العناية الإلهية شمسَها، فكانوا لقرابتهم من أشرف الورى. أحقَّ الناس بالشرف وأولى،

مَنْ مِثْلُكُم لرسولِ الله يَنْتَسِبُ * لَيْتَ الملوكَ لها مِنْ جَدِّكمْ نَسَبُ

يا سادةَ الخلق إنْ أَطْرِبْ بِحُبِّكُمُ * آلَ الرسولِ فَهَلْ في ذَلِكُمْ عَجَبُ

اللهُ فضّلَكمْ اللهُ طهّرَكمْ * يا عِتْرة المصطفى بل حبُّكمْ يَجِبُ

ما للسّلاطين أحسابٌ بجانِبِكُمْ * هذا هو الشَّرَفُ المعروفُ والحَسَبُ

ساداتُنا الْغُرُّ مِنْ أبناءِ فاطمةٍ * طُوبَى لِمَنْ كان للزّهراء يَنْتَسِبُ

أَكْرِمْ بفاطمةٍ أَنْعِمْ بفاطمةٍ * مِنْ أَجْلِ فَاطِمَةٍ قَدْ شُرِّفَ النَّسَبُ

فسبحانه من إله زيّن ذريّة نبيّنا سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالشرف والكرامة. وألبسهم حُلل الفضائل والشرف والإستقامة. وخصّهم بمراتب الرِّفْعة والإمامة. وجبلهم على مكارم الأخلاق فجعلها عليهم علامة. وفضّلهم بالتكريم

والتعظيم إلى يوم القيامة. نحمده تعالى أن نظر إلينا بعين عنايته في سابق الأزل. وقسّم لنا من محبّة جنابَ هذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلَّم الحظّ الأَوْفر والقِسْم الأجلّ. وعمّر قلوبنا بمودّة أهلِ القُرْبَى من نَسَبِهِ الطاهر الكريم. فيا بُشْرَانَا حين نجتمع بهم في جنّات النّعيم. مع المنتظِمِين في سِلْك محبّتهم. المتمسِّكين منها بأقوى سبب. الداخلين في عموم قَوْل الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم:((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)). حشرنا الله في زُمْرتهم. وأماتنا على محبّتِهم. آمين.

ربّي ما لي وسيلةً غيرَ حُبِّي * آلَ طه وكلَّ مَنْ يقتفيهِمْ

حُبُّهمْ مذهبي وروحُ فؤادي * وغرامي لِصَحْبِهِمْ وذويهِمْ

فأغثني بحقّهِمْ يا إلهي * أنا ضَيْفٌ نزلتُ في ناديهِمْ

واعفُ عمّا جنَيْتُ فضلا وإحس*ــاناً فإنّي قد صِرْتُ مِنْ مادحيهِمْ

يا إلهي وَأْذَنْ بِسُحْبِ صلاةٍ * تَتَوَالَى بِمَضْجَعٍ يَحْوِيهِمْ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جعل ذِكْرَ أئمّةِ آلِ بيتِ نبيّنا المصطفى المختار. نزهةً لذوي البصائر والإستبصار. وسَرْدَ فضائلهم ومناقبهم يُحْيِي مَوَاتَ القلوب ويشوّقها إلى حضرة المواهب والأسرار. والعضَّ بالنواجذ على محبّتهم يُثْمِرُ في القلوب الأنوار. ويومَ القيامة يُورِثُ مجاورتَهُمْ في الجنّة دار الأبرار. فقد روى الحاكم في المستدرَك عن كتاب الفردَوْس وكتاب السمعاني بإسنادهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ((أَنَا شَجَرَةٌ وَفَاطِمَةُ حِمْلُهَا، وَعَلِيٌّ لِقَاحُهَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَمَرُهَا، وَمُحِبُّونَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَقُهَا، وّكُلُّنَا فِي الْجَنَّةِ حَقًّا حَقًّا)). وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خَلْقه وخليله. نبيٌّ خصّ الله عِتْرته الطاهرة بالشرف والسيادة. وجعل نور النبوّة في كريم وجوههم شاهدا على نَيْل السعادة. وأكرمهم بالفخر العظيم بنيل الشهادة. وجعلهم مِمَّن فاز بالحسنى وزيادة.

يا مرتَجين لفضله ونوالِهِ * ما خاب مَنْ يشكو إليه بحالِهِ

يُعطيه ما يُغنيه قبل سؤالِهِ * فَلَنَا الهدى والرُّشْدُ في إرسالِهِ

صلّوا على هذا الحبيب وآلِهِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. النبي المقرَّب المَكين. وعلى آل بيته ثمار المحبّة والصِّدق والإخلاص واليقين. وصحابته القائمين بشريعته على سَنَنِ الإيضاح والتبيّين. صلاة نكون بها ممَّن نوّرتَ بصائرَهم بنور الفتح المبين. وجعلتَهم من أهل الرسوخ والتمكين. وسلكتَ بهم طريق الأئمّة المهتَدين. ورفعت منازلهم في جنّة الفردوس وأعلى عليّين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيقول الحقّ تبارك وتعالى في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). أيّها المسلمون. إنّ سِيرَةَ الصالحين سيرةٌ تتعطَّر بها المجالس. وتنشرِح لها القلوب. وتُهذَّب بها النفوس، وخاصّة إذا كان الحديث في سيرة الأئمّةِ الأطهار. من آلِ بيتِ نبيّنا المصطفى المختار. صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار. فالحديثُ عنهم حَدِيثٌ لا تَمَلُّهُ الأسماعُ؛ ولا تَضْجَرُ مِنْهُ الطِّباعُ، كيفَ لا؛ وهُمُ الأُسْوَةُ في الصلاحِ؛ والقُدْوَةُ في الفلاحِ، وهم الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم محلّ وصيّته. إذْ قَرَنَهم بالقرآن. في كَوْن التمسُّك بهم يمنع الضلال. كما في الحديث الذي أخرج الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده والبيهقي وابن حبّان وابن خزيمة في صحيحيهما وابن كثير في تفسيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: ((قام رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مَكَّة والمَدينَةِ فحَمِدَ اللهَ وأثْنى عَليهِ ووَعَظَ وذَكَّرَ ثمّ قالَ: أمّا بَعدُ! ألا أيّها النّاسُ فإنّما أنا بَشَرٌ يُوشَكُ أنْ يأتيَ رَسولُ رَبّي فأُجيبُ، وأنا تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْن؛ أوَّلُهما كِتابُ اللهِ فيهِ الهُدى وَالنُّورُ، فَخُذوا بِكِتابِ اللهِ وَاستَمْسِكوا بهِ. فَحَثَّ على كِتابِ اللهِ ورغَّبَ فيهِ ثُمّ قالَ: وأهْلُ بَيتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي)). وجاء في رواية الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَن النّبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنّه قال: ((إنّي أُوشَكُ أنْ أُدْعى فأُجيبُ، وإنيّ تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ: كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وعِتْرَتي. كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمدودٌ مِن السَّماءِ إلى الأرض. وَعِترَتي أهلُ بَيتي؛ وَإنّ اللّطيفَ الخَبيرَ أخْبَرني أنَّهُما لَن يَفْتَرِقا حَتىّ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ؛ فانْظُروني بِمَ تَخْلُفوني فِيهِما)). وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله تعالى وعترتي))، فَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ الشَّرِيفَةُ؛ وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ الْمُنِيفَةُ: حُبَّ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَتَعْزِيرَهُمْ، وَمُوَالاَتَهُمْ وَالدُّعَاءَ لَهُمْ وَتَوْقِيرَهُمْ؛ كيف لا. وفيهم من

دمائه صلى الله عليه وسلم دم، ومن روحه نبض. ومن نوره قبس. ومن شذاه عبق. ومن وجوده بقيّة. صلى الله عليه وسلم. فآلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم الْمَوْئِلُ الكريم. والمقام المبجَّل في الدين. فمودّتُهم ومحبّتُهم جزءٌ من شريعة المسلمين، فهي دين وملّة وقُرْبة. يقول الله تعالى في سورة الشورى: ((قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)). كما سَطَّرَتْ نُصُوصُ الْوَحْيِ فَضْلَ آلِ البيت تَسْطِيراً، تشريفا لهم وتوقيرا، وقال سبحانه في مَعْرَض الثّناء عليهم كما في سورة الأحزاب. تنبيها للأُمّة وتذكيرا: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). فَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَةُ الْمُحْكَمَةُ بِلا الْتِبَاسٍ، فَضْلَ آلِ الْبَيْتِ وَأَنَّهُمْ مُطَهَّرُونَ مِنَ الأَرْجَاسِ. أيّها المسلمون. إنّ سيرة كلِّ إمام من أئمّة أهل البيت عِظَة وعِبْرة، وفي اقتفاء أثر أحدِهم هداية، وفي الحِياد عن طريقِهم غِواية. وإنّنا اليوم على موعِد مع واحدٍ من هؤلاء الأئمّة الطاهرين، من آلَ بَيْتِ إمامِ المرْسَلينَ؛ صلَّى عَلَيْهِمْ وسَلَّمَ رَبُّ العالَمِينَ، الذين قَيَّضَهُمُ اللهُ تَعالَى لِلذَّوْدِ عَنْ شَرْعِهِ المُبِينِ، فَنَفَوْا عَنْهُ تَحْرِيفَ الغالِينَ، وَانْتِحالَ المُبْطِلينَ، وتَأْوِيلَ الجاهِلِينَ. الذي في مثل هذا الشهر. أعني في السابع من شهر ذي الحجّة سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمائَةٍ للهجرة استُشْهِد مقتولاً بالسّمّ. إنّه شمس العلوم. وقمر العموم، صاحب المعرفة الكاملة. والحقيقة الشاملة. العَلَوِيُّ، الفَاطِمِيُّ، المَدَنِيُّ، الزّكيُّ الطاهر. والعَلَمُ الباهر. مولانا الإمام أَبُو جَعْفَرٍ سيّدنا محمد الباقر. بنُ سيّدنا عَلِيّ زَيْنِ العَابِدِيْنَ بن سيّدنا الحُسَيْنِ السبط. رضي الله عنه وعن آبائه الطيّبين الطاهرين. أيّها المسلمون. نحن بحاجة إلى معرفة سيرة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومعرفةِ محاسِنِهم العظيمة. حتى نحبَّهم وتخالط محبّتُهم بشاشةَ قلوبِنا. وهذه قبسات من رَوْضٍ زاهِر. وعِطْرٍ فاخِر. مستَخْلَصٍ مِنْ شَذَى حياة ومناقب. سيّدنا محمد الباقر. والقصد من ذلك التبرّك بذِكْر الصالحين. لأنّ بذكرهم تتنزّل الرحمات. اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه. فنقول مستعينين بحول الله وقوّته: هو خامس الأئمّة الأطهار عند الشيعة الإمامية. انحدر الإمام الباقر من سلالة طاهرة مطهَّرة. ارتقت سلّم المجد والكمال. وكان أفرادها قِمماً شامخة في دنيا الفضائل والشرف العالْي. وُلِد رضي الله عنه من أبوَيْن علويّيْن. طاهرَيْن زكيَّيْن. فاجتمعت فيه خصال جدَّيْه السّبطَيْن. الحَسَن والحُسَيْن. أمّا والده فسليل بيت النبوّة، وأحد كواكب البيت العلوي الطاهر، وعَلَماً من أعلام الهداية، ذلك هو الإمام علي بن الحسين، الملقّب بزين

العابدين. لكثرة عبادته. أمّا والدته فهي السيّدة الشريفة العفيفة. أمّ عبد الله، فاطمة بنت الحسن السبط رضي الله عنها وعن آبائها الأكرمين. كانت من سيّدات النساء، لم تُدرك في آل الحسن امرأة مثلها. كان الإمام زين العابدين يسمّيها بالصدّيقة. وُلِد الإمام محمد الباقر بالمدينة المنوّرة سنة سبع وخمسين من الهجرة. فكانت أسرته مرابع نور، تفيّأ في ظلالها. وإلتمس من رعايتها، وقد شهد استشهاد جدّه الحسين بكربلاء مع أبيه زين العابدين وعمره أربع سنوات. وقد برزت فيه معالم الإيمان والمواهب. وإشراقات الفضائل والمكارم. وهو في إنطلاقته الأولى، لقد كان رضي الله عنه في طفولته آية من آيات الذكاء. حتى أنّ جابر ابن عبد الله الأنصاري على شيخوخته كان يأتيه فيجلس بين يديه فيعلّمه. وقد بُهِر جابر من سعة علوم الإمام الباقر ومعارفه. وطفق يقول: يا باقر لقد أُوتِيتَ الحُكْم صبيّاً. وقد عَرَف الصحابة رضي الله عنهم ما يتمتّع به الإمام الباقر منذ نعومة أظفاره من سعة الفضل والعلم الغزير. فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها. ويقول المؤرّخون أنّ رجلاً سأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن مسألة فلم يقف على جوابها. فقال للرجل: إذهب إلى ذلك الغلام. وأشار إلى الإمام الباقر. فاسأله، وأعلمني بما يجيبك. فبادر الرجل نحوه. وسأله فأجابه رضي الله عنه عن مسألته. وخَفَّ إلى ابن عمر فأخبره بجواب الإمام، وراح ابن عمر يُبْدِي إعجابه بالإمام قائلاً: إنّهم أهل بيت مُفَهَّمون. أيّها المسلمون. فمكانة الإمام الباقر شهد بها البعيد والقريب، فهذا المحدِّث الفقيه أحمد بن حجر الهيثمي المكي يقول في كتابه (الصواعق المحرِقة على أهل الرّفض والضّلال والزّندقة) بعد أن ذكر أنّ عليَّ بن الحسين توفي عن أحد عشر ذَكَراً وأربع بنات ما نصّه: وارثه منهم عبادة وعلماً وزهادة أبو جعفر محمد الباقر سمّي بذلك: مِنْ بَقَرَ الأرض أيْ شقّها وأثار مخبّآتها ومكامنها، فلذلك هو أظهرَ مِنْ مخبّآت كنوز المعارف. وحقائق الأحكام والحِكَم واللطائف. ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة. أو فاسد الطوية والسريرة، ومِنْ ثَمَّ قيل فيه: هو باقرُ العلمِ وجامِعِه. وشاهرُ عَلَمِه ورافِعِه، صفا قلبُه. وزكا عِلْمُه وعَمَلُه، وطَهُرَتْ نفسُه. وشَرُفَ خُلُقُه. وعُمِّرَتْ أوقاتُه بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين. ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف. لا تحتملها هذهِ العجالة. وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روى عن جابر أنّه قال له وهو صغير: رسول الله صلى الله عليه وسلّم يسلِّم عليك. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنتُ جالساً عنده والحسين في حِجْرِه وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولَدُ له مولود اسمه

علي إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ لِيَقُمْ سيّد العابدين. فيقوم ولدُه، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإنْ أدركته يا جابر فاقرِئْه منّي السلام. وقال عنه الإمام النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات): سميّ بذلك أيْ بالباقر لأنّه بَقَر العلم أيْ شقَّه. فعَرَف أصلَه. وعرف خفِيَّه. وهو تابعي جليل، إمام بارع، مُجْمَع على جلالته، معدود في فقهاء المدينة وأئمّتهم. وقال عنه محمد أبو زهرة في كتابه (الإمام الصادق): ورث الباقر إمامة العلم، ونبل الهداية، عن أبيه زين العابدين، ولذا كان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية، وما زار أحد المدينة، إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه، وكان ممن يزوره علماء من الذين يتشيّعون لآل البيت، وعلماء من أهل السنّة، وكان يقصده بعض المنحرفين الغلاة في تشيّعهم الذين أفرطوا، فكان يبيّن لهم الحق، فإن اهتدوا أخذ بيدهم إلى الحق الكامل، وإن استمرّوا على غيّهم صدّهم، وأخرجهم من مجلسه. وكان يقصده من أئمّة الفقه والحديث كثيرون، منهم: سفيان الثوري. وسفيان بن عُيَيْنَة محدّث مكة، ومنهم الإمام أبو حنيفة فقيه العراق، وكان يرشد كل مَنْ يجيء إليه، ويبيّن له الحق، الذي لا عِوَجَ فيه. وقال أبو زهرة أيضا: كان رضي الله عنه مفسّرا للقرآن، ومفسّرا للفقه الإسلامي، مدرِكًا حكمة الأوامر والنواهي، فَاهِمًا كلّ الفهم لمراميها، وكان راوية للأحاديث، يروي أحاديث آل البيت، ويروي أحاديث الصحابة من غير تفرقة، ولكمال نفسه، ونور قلبه، وقوّة مداركه، أنطقه الله تعالى بالحِكَم الرائعة، ورُوِيَت عنه عبارات في الأخلاق الشخصية والإجتماعية، ما لو نُظِّم في سِلْك لتكون فيه مذهب خُلُقي سام، يعلو بمن يأخذ به إلى مدارج السموّ الإنساني. أيّها المسلمون. لقد كان الإمام الباقر رضي الله عنه يجلّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويخصّ بالفضل والإجلال الشيخَيْن. سيّدنا أبا بكر وسيّدنا عمر رضي الله عنها. وكان يقول في حقّهما: أَجْمَعَ بَنُو فَاطِمَةَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ القَوْلِ. وقال أيضا في ذلك: مَنْ لم يعرف فضل أبي بكر وعمر. فقد جهل السّنّة. وعَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي حَفْصَةَ قال: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَابْنَهُ جَعْفَرًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالاَ لِي: يَا سَالِمُ، تَوَلَّهُمَا، وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدًى. وعَنْ بَسَّامٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأَتَوَلاَّهُمَا، وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، وَمَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي إِلاَّ وَهُوَ يَتَوَلاَّهُمَا. وعَنْ عُرْوَةَ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ عَنْ حِلْيَةِ السُّيُوْفِ، فَقَالَ: لاَ بَأْسَ بِهِ، قَدْ حَلَّى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ سَيْفَهُ. قُلْتُ: وَتَقُولُ الصِّدِّيقُ؟

فَوَثَبَ وَثْبَةً، وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ الصِدِّيقُ، نَعَمْ الصِدِّيقُ، فَمَنْ لَمْ يَقُلِ الصِدِّيقَ، فَلاَ صَدَّقَ اللهُ لَهُ قَوْلاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وقال الإمام الباقر لجابر الجعفي من أصحابه: يا جابر بلغني أنّ قوما من العراق يزعمون أنّهم يحبّوننا. ويتناولون أبا بكر وعمر. رضي الله عنهما. ويزعمون أنّي أمرتهم بذلك. فأبلغهم أنّي إلى الله بريء منهم. والذي نفس محمد بيده. لو وُلِّيتُ لتقرّبت إلى الله بدمائهم. لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما. وأترحّم عليهما. إنّ أعداء الله عنهما لغافلون. أيّها المسلمون. كان الإمام الباقر رضي الله عنه يحمل أخلاق أبيه وأجداده العظيمة الراقية السامية. التي تحاكي الكمال. والذروة في جَوْدتها وسموّها. فقد كان يُعرَف الإمام الباقر بحلمه وصبره. وكرمه وسخائه. وعبادته المخلِصة الحقّة. ومناجاته المليئة بالخشوع والخضوع والدموع. خوفاً من الله تعالى.وحُبّاً له. وشوقاً إليه. وكان رضي الله عنه زاهداً في الدنيا. معرِضاً عنها وعن متاعها. أيّها المسلمون. لقد عانى الإمام الباقر من ظُلْم الأمويّين منذ أن وُلِد وحتى استشهد، ما عدا فترة قصيرة جدّاً هي مدّة خلافة عمر بن عبد العزيز التي ناهزت السنتَيْن والنصف. فعاصر أشدّ أدوار الظلم الأموي، ولكنّه استطاع أن يربّي أعداداً كثيرة من الفقهاء والعلماء والمفسّرين. حيث كان المسلمون يقصدونه من شتّى بقاع العالم الاسلامي. وقد دانوا له بالفضل بشكل لا نظير له، ولم يعش منعزلاً عن أحداث الساحة الإسلامية. وإنّما ساهم بشكل ايجابي في توعية الجماهير وتحريك ضمائرها. وسعى لرفع شأنها وإحياء كرامتها بالبذل المادي والعطاء المعنوي. كآبائه الكرام. وأجداده العظام. ولم يقصّر عنهم عبادة وتقوى وصبراً وإخلاصاً. فكان قدوة شامخة للجيل الذي عاصره ولكل الأجيال التي تلته. ثم لاقى الإمام الباقر نفس مصير آبائه وأجداده، عندما دُسَّ إليه السّمّ عن طريق الأيدي الآثمة للسلطة الأموية الحاكمة. وكان ذلك في السابع من ذي الحجة عام أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ للهجرة. في المدينة المنوّرة، وهناك دُفِن في مقبرة البقيع بملابسه التي كان يصلّي فيها بوصيّة منه. وكان قد بلغ من العمر سبع وخمسين عاما. ودفن بجوار أهل البيت الطيّبين الطاهرين. أبيه سيّدنا علي زين العابدين. وجدّه من أمّه سيّدنا الحسن السبط. اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه. فسلام عليه يوم وُلِد ويوم جاهد بالعلم والعمل ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً. اللهمّ إنّا نُشْهِدُك. ونشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم. ونحبّ أهل بيته الطاهرين الطيّبين. عليّا

وفاطمة. والحسن والحسين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. أن توفّقنا لصالح الأعمال والأقوال المرضية. وتحفّنا باللطف يا مَنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه. وحقّقنا بأسرار أهل البيت واحشرنا في زمرتهم العلية. واجعلنا من المخلصين لهم إلى بلوغ الأجل منتهاه. وأمدّنا بأمدادهم واجعل عيشتنا هنية. واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة وأنلنا شفاعة حبيبك الدّرّة المنتقاة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

11- نزهةُ الْمُحِبِ العاشِق في حدائق المعاني والحقائق للإستمتاع لبعض مناقِب الإمام مولانا جعفر الصّادق

الحمد لله الذي جعل ذِكْرَ أئمّةِ آلِ بيتِ نبيّنا المصطفى المختار. نزهةً لذوي البصائر والإستبصار. وسَرْدَ فضائلهم ومناقبهم يُحْيِي مَوَاتَ القلوب ويشوّقها إلى حضرة المواهب والأسرار. والعضَّ بالنواجذ على محبّتهم يُثْمِرُ في القلوب الأنوار. ويومَ القيامة يُورِثُ مجاورتَهُمْ في الجنّة دار الأبرار. حشرنا الله في زُمْرتهم. وأماتنا على محبّتِهم. وجعلنا من المتمسّكين من محبّتهم بأقوى سبب. الداخلين في عموم قَوْله صلى الله عليه وسلم: ((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)). وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. يخلُق ما يشاء ويختَار. ويَصطفِي للشَّرف من شاءَ مِنَ الأخيَار، شرَّف رسولَه سيِّدَنا محمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلَّم على كلِّ البريَّة، وجعل ذرِّيّتَه أشرفَ ذرّيّة، وعِترته خير العِتَر، وأسرته خير الأُسُر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حَرَم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثَمَر لا يُنال،

وَمَنِ مثل هذا البيت في الفخر والعلا * وجدُّهُمُ طهَ الأمين وحيْدرُ

فقل للذي أضحى غبيّا بشأنِهِمْ * أتجهل قوما وَصْفُهم ليس يُحْصَرُ

وهم أَمْنُ أهلِ الأرض و السادة الأُولَى * إذا ذُكِروا ما غيرُهُمْ قطّ يُذْكَرُ

فحبُّهُمُ يَحْمِي ويُنجِي من الرَّدَا * وبغضُهُمُ عن رحمة الله يُدْحِرُ

وحَسْبُك ربُّ العرش أثنى عليهِمُ * وهل فوق مَدْح الله عِزٌّ ومَفْخَرُ

وأشهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. خَصَّ ذرّيّتَه الطاهرة بكمال السيادة. وأكرمهم بالفخر العظيم بنيل الشهادة. وجعلهم مِمَّن فاز بالحسنى وزيادة.

واللهِ ما ذَرَأَ الإلهُ ولا بَرَا * بشرًا ولا مَلَكًا كأحمدَ في الورى

فعليه صلّى الله ما قَلَمٌ جرى * وجلا الدياجِرَ نُورُه المتبَسّمُ

فبحقِّه صلّوا عليه وسلِّموا

اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِك على سيّدنا محمّد. عُنْصُرِ شجرة النبوءة التي عذُبَت في المسامع أحاديثها وأذكارها. وتنافست الرجال في خدمتها. وعلى آله الحائزين شرف السيادة وعظيم مِقْدارها. كما ورد ذلك في آيات القرآن وصحيح السنّة وأخبارها. وعلى أصحابِه الذين كسّروا جيوش الكُفْر، وهجروا في محبّة داعيهم إلى الله الأوطار والأوطان، ولم يرجعوا إليها بَعْدَ فراقها وَوَدَاعِها، وحَفَظُوا على أتباعهم أقوالَه وأفعالَه وأحوالَه حتى أَمِنَتْ بهم السُّنَنُ الشريفة من ضياعها. صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن ما دامت السماءُ في سُمُوِّها، والأرضُ في اتّساعها، ويكونان لنا سببا لدخول الجنّة والتمتّع برياضها وأعذب أنهارها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الحديث عن سيرة أهل بيت نبيّنا المصطفى المختار صلى الله عليه وآله وسلم. وبيان فضلهم. وتعريفهم للناس بالصورة اللائقة بهم. والدفاع عنهم. لمن أبواب الخير التي يتقرّب المسلم بها إلى ربّه جلّ وعلا. لهذا اعتنى أئمّة المسلمين من أهل السِّيَر والفقهاء والمحدِّثين، بتبيين وتوضيح ما أوجبه الحقّ تبارك وتعالى على المؤمنين من معرفة حقوق آل البيت ممّا ثبت لهم قرآناً وسنّة تصريحاً وتنويهاً، حيث أفردوا لذلك الأبواب والأجزاء. بل المصنَّفات الخاصّة التي استوعبت ما جاء في حقِّهم من الأثر، وما وقّت ما يستحقّونه من القَدْر، وقد أشار الحافظ السخاوي إلى كثرة المصنَّفات في مناقب أهل البيت في مقدّمة كتابه (استجلاب ارتقاء الغُرَف بحبّ أقرباء الرسول وذوي الشَّرَف) بقوله: إذ قد جمع الأئمّة في كلٍّ من عليٍّ والعباس والسبطَيْن تصانيف منتشِرةً في الناس. وكذا قد أُفرِدت مناقب الزهراء وغيرها، مِمَّن قد علا شرَفاً وفخْراً. ولا يَخْفى على ذوي الفنّ والأثر. أنّ الصِّحاح والسُّنَن والمسانيد وغيرها من الكتب. زاخرة بذِكْر فضْلهم، فهذا الإمام البخاري في كتابه

الصحيح عَقَد باباً في كتاب الفضائل سمّاه: (باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم). وباباً في مناقب علي بن أبي طالب والسيّدة فاطمة والحسن والحسين. رضي الله عنهم أجمعين. وكذلك الإمام مسلم في صحيحه فعَنْوَن: باب (فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم). وكذلك في فضائل علي وفاطمة والحسن والحسين والسيّدة عائشة وأمّ سلمة وزينب أمّهات المؤمنين وعبد الله بن عباس وغيرهم من قُرْبَى رسول الله صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. فسبحان مَنْ طهّر منهم الظواهر والبواطن. وجعل قلوبهم محلاً لأسراره وأنواره، وهو متعلّق الآية الكريمة من سورة الأحزاب: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا)). ولمزيدِ كرامتهم ومكانتهم عند الله تعالى أوجب المودّةَ لهم. كما جاء في سورة الشورى: ((قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)). فهم محلّ وصيّة جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم. إذْ قَرَنَهم بالقرآن. في كَوْن التمسُّك بهم يمنع من الضلال. أخرج الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده والبيهقي وابن حبّان وابن خزيمة في صحيحيهما وابن كثير في تفسيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: ((قام رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مَكَّة والمَدينَةِ فحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عَليهِ ووَعَظَ وذَكَّرَ ثمّ قالَ: أمّا بَعدُ! ألا أيّها النّاسُ فإنَّما أنا بَشَرٌ يُوشَكُ أنْ يأتيَ رَسولُ رَبّي فأُجيبُ، وأنا تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْن؛ أَوَّلُهُما كِتابُ اللهِ فيهِ الهُدى وَالنُّورُ، فَخُذوا بِكِتابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكوا بهِ. فَحَثَّ على كِتابِ اللهِ ورغَّبَ فيهِ ثُمّ قالَ: وأهْلُ بيتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي)). وجاء في رواية الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَن النّبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنّه قال: ((إنّي أُوشَكُ أنْ أُدْعى فأُجيبُ، وإنيّ تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ: كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وعِتْرَتي. كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمدودٌ مِن السَّماءِ إلى الأرض. وَعِترَتي أهلُ بَيتي؛ وَإنّ اللّطيفَ الخَبيرَ أخْبَرني أنَّهُما لَن يَفْتَرِقا حَتىّ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ؛ فانْظُروني بِم تَخْلُفوني فِيهِما)). أيّها المسلمون. ولعلّنا في هذه الخطبة المتواضعة نقوم بجولة تنزّهيّة في حدائق حقائق أولي القربى. لنرتشف رَشْفَة من إكسير المودّة. ونعطّر أجواءنا ببعض مناقب إمامٍ من الدَّوْحة النبوية. وسيّدٍ من العِتْرة المحمدية. مَنْ حاز الشرف من كلّ أطرافه. وجمع المجد من سائر نواحيه. الذي في مثل هذا الشهر. أعني في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ثمانين للهجرة وُلِد بالمدينة النبوية المنوّرة. إنّه الإمام الجليل. والفقيه المسدَّد. شهد له فقهاء زمانه، جمع إلى سعة العلم، أطراف

الحكمة وبليغ المقال. وحَسَن السمت. ورُزِق هيبة لا تدانيها هيبة أقوى ملوك الأرض في زمانه. تبوّأ منزلة عظيمة عند أئمّة أهل السنّة والجماعة، إنّه الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين السجّاد بن الإمام السبط مولانا الحسين شهيد كربلاء بن أمير المؤمنين سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه. وابن مولاتنا فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين بنت سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. هذا نسبه من جهة آبائه الأكرمين، وأمّا من جهة أمّه وأخواله؛ فهو ابن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه من جهتين، حيث كان يقول الإمام جعفر الصادق: ولدني أبو بكر الصديق مرّتين. فأمّه هي: أمّ فَرْوَة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمّها أيْ جدّته لأمّه رضي الله عنه هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين. لُقِّب رضي الله عنه بالإمام، ولُقِّب بالفقيه، لكن أشهر لَقَبٍ عُرِفَ به هو الصادق، وغَلَب هذا اللقب عليه، فلا يكاد يُذْكَر إلا وانصرف إليه؛ وسبب هذا اللقب أنّه كان صادقاً في حديثه وقوله وفعله، ولا يُعرفُ عنه سوى الصدق. ولم يُعْرَف عنه كَذِب قط. فهو من آل بيت النبيّ الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، وجدّه لأمّه هو الصّدّيق الذي نزل فيه قوله تعالى في سورة التوبة: ((يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اِتّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ)). أيّها المسلمون. نشأ الإمام الصادق رضي الله عنه في المدينة المنوّرة. حيث اغترف من ثلاثة مناهل عذْبة. هي أبوه سيّدنا محمد الباقر. الذي كان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية. وما زار أحد المدينة المنوّرة إلا عرج على بيت الإمام الباقر يأخذ عنه العلم. والمنهل الثاني الذي اغترف منه هو جدّه الإمام سيّدنا علي زين العابدين السّجّاد. الذي كان إمام المدينة نُبْلا وعلما. كانت الجموع تنازح بين يديه من غير سلطان ولا حُكْم إلا حُكْم الشرف والفضل. والمنهل الثالث الذي اغترف منه هو جدّه لأمّه سيّدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أحد الفقهاء السبعة الذين حملوا العِلم المدني إلى أصقاع الأرض. كما أخذ الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه العلمَ والحديثَ عن عاليةٍ من علماء زمانه، حيث أدرك أواخرَ الصحابةِ؛ منهم الصحابيان الجليلان سهل بن سعد الساعدي، وأنس بن مالك رضي الله عنهما. وأكثرُ رواياتهِ من طريقِ أبيهِ الإمام محمد الباقر عن جدّهِ الإمام علي زين العابدين عن الإمام الحسينِ عن أمير المؤمنين سيّدنا علي بنِ أبي طالب عن رسولِ الله صلى اللهُ عليه وآله وسلم، وهي أعلى مروياتهِ سنداً، وهي أمثلُ نماذجِ روايةِ

الأبناءِ عن آبائهم! ومن شيوخهِ سيّدُ التابعين عطاءُ بنُ أبي رباحٍ، ومحمدِ بنِ شهابٍ الزهري، وعروةَ بنِ الزبير، ومحمدِ بنِ المنكدر، وعبدِ الله بنِ أبي رافع، وعكرمةَ مولى ابنِ عباس. كما روى عن جدّهِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ أبي بكر، وأكثرُ شيوخهِ من علماءِ المدينةِ. وهؤلاءِ كلهم أئمّةٌ ثقاتٌ. أهلُ ديانةٍ وصدقٍ وأمانةٍ وعدالةٍ رضي اللهُ عنهم. ففي هذا النبع الصافي من عِلم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين ترعرع الإمام الصادق ونما. وفي ظلّ ذلك البيت الطاهر عاش. وقد اتّجه منذ نعومة أظفاره إلى العلم. كشأن أهل البيت في ذلك الزمان. ومن أبرز تلاميذه الذين أخذوا عنه العلمَ روايةً وفقهاً جمعٌ كبيرٌ من العلماءِ الحفّاظِ الثقاةِ من أشهرِهم: إبنه الإمام موسى الكاظم، ويحيى بنُ سعيدٍ الأنصاري القطّان، ويزيدُ بنُ عبدِ الله بنِ الهاد الليثي المدني، وهما أكبرُ منه سِنّا، وعبدُ الملك بنُ عبدِ العزيز بنِ جريج، وهو من أقرانهِ، وأبانُ بنُ تغلب، وأيوبُ السختياني، وأبو عمرو بنُ العلاء، والإمام مالكُ بنُ أنسٍ إمامُ دار الهجرةِ، وسفيانُ الثوري، وشعبةُ بنُ الحجاجِ إمامُ النقّادِ، وسفيانُ بنُ عيينةَ، ومحمدُ بنُ ثابتٍ البناني، وغيرهم كثيرٌ، لكن منهم المتفقّهُ عليه والراوي عنه والمجالسُ له وهم: الإمام مالك والإمام أبوحنيفة خصوصاً. والإمام جعفر الصادق ثقة عند أهل الحديث يقبلون حديثه، ووثّقه الشافعي ويحيى بن معين وغيرهما، ويصفه ابن حبان بقوله: كان من سادات أهل البيت فقها وعلمًا وفضلا، يحتج بحديثه من غير رواية أولاده عنه، وأخرج له مسلم في صحيحه، وأصحاب السنن الأربعة: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. والبخاري في غير الصحيح بل في كتاب الأدب وغيره. أيّها المسلمون. ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم في أمرٍ كما أجمعوا على فضلِ الإمام الصادق رضي الله عنه وعِلْمِه، فأئمّة السنّة الذين عاصروه تلقّوا عنه وأخذوا عنه. لذلك نطقت ألسنة العلماء جميعاً بفضله، وبذلك استحقّ الإمامة العلمية في عصره كما استحقّها أبوه وجدّه من قبله. فقد كانوا جميعاً أئمّة الهدى يُقتدى بهم ويُقتبَس من أقوالهم. وقد عكفوا على عِلْم الإسلام عكوف العابد على عبادته. فخلّفوا علماً، وخلّفوا رجالاً. وتناقل الناس علمَهم وتحدّثوا به. قال الإمام مالك رحمه الله: ولقد كنتُ أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسّم فإذا ذُكِرَ عنده النبيّ صلى الله عليه وسلّم اصفرَّ واخضرّ حتى ينكره مَنْ لا يعرفه، وما رأيته يُحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلاّ على طهارة، ولقد اختلفتُ إليه زماناً، فما كنت أراه إلاّ على ثلاث خصال: إمّا صائماً وإمّا مصليّاً وإمّا يقرأ القرآن، ولا يتكلّم فيما

لا يعنيه. وكان من العلماء والعبّاد الذين يخشون الله عزّ وجلّ. وكان كثير الحديث. طيّب المجالسة. كثير الفوائد. وقال أيضا: ما رأتْ عين ولا سمعت أُذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً. وسئل الإمام أبو حنيفة النعمان: مَنْ أفقه مَنْ رأيتَ؟ قال: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَفْقَهَ مِنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ، لَمَّا أَقدَمَهُ المَنْصُورُ الحِيرَةَ، بَعَثَ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ! إِنَّ النَّاسَ قَدْ فُتِنُوا بِجَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ، فَهَيِّئْ لَهُ مِنْ مَسَائِلِكَ الصِّعَابِ. فَهَيَّأْتُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَجَعْفَرٌ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِه، فَلَمَّا بَصُرتُ بِهِمَا، دَخَلَنِي لِجَعْفَرٍ مِنَ الهَيْبَةِ مَا لاَ يَدْخُلُنِي لأَبِي جَعْفَرٍ، فَسَلَّمتُ، وَأَذِنَ لِي، فَجَلَستُ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى جَعْفَرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! تَعْرِفُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ ، هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ . ثُمَّ أَتْبَعَهَا: قَدْ أَتَانَا. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ! هَاتِ مِنْ مَسَائِلِكَ، نَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ اللهِ. فَابتَدَأْتُ أَسْأَلُه، فَكَانَ يَقُولُ فِي المَسْأَلَةِ: أَنْتُم تَقُولُونَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَأَهْلُ المَدِينَةِ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، وَنَحْنُ نَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَرُبَّمَا تَابَعنَا، وَرُبَّمَا تَابَعَ أَهْلَ المَدِينَةِ ، وَرُبَّمَا خَالَفَنَا جَمِيعاً، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى أَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، مَا أَخْرِمُ مِنْهَا مَسْأَلَةً. ثُمَّ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: أَلَيْسَ قَدْ رَوَينَا أَنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ أَعْلَمُهم بِاخْتِلاَفِ النَّاسِ؟. وقال أيضا: لولا السنتان لهلك النعمان. أيْ السنتان اللتان قضاهما أبو حنيفة النعمان في مصاحبة الإمام الصادق وأخذ من بحر علمه. وهذا نزرٌ يسيرٌ من ثناءِ الأئمّةِ عليهِ. وكان الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه واسع العلم والفهم. سريع البديهة. فقيه بمقاصد الشرع وأسراره. فقد سألهُ تلميذهُ سفيانُ الثوري بمكةَ في موسمِ الحجِ، فقال: قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ قَدْ أَنَاخَ بِالأَبْطَحِ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! لِمَ جُعِلَ المَوْقِفُ مِنْ وَرَاءِ الحَرَمِ، وَلَمْ يُصَيَّرْ فِي المَشْعَرِ الحَرَامِ؟ فَقَالَ: الكَعْبَةُ بَيْتُ اللهِ، وَالحَرَمُ حِجَابُه، وَالمَوْقِفُ بَابُه، فَلَمَّا قَصَدَه الوَافِدُونَ، أَوْقَفَهم بِالبَابِ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَمَّا أَذِنَ لَهُم فِي الدُّخُولِ، أَدْنَاهُم مِنَ البَابِ الثَّانِي وَهُوَ المُزْدَلِفَةُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى كَثْرَةِ تَضَرُّعِهِم، وَطُولِ اجْتِهَادِهِم، رَحِمَهُم، أَمَرَهُم بِتَقْرِيبِ قُربَانِهِم، فَلَمَّا قَرَّبُوا قُربَانَهم، وَقَضَوا تَفَثَهُم، وَتَطَهَّرُوا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي كَانَتْ حِجَاباً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم، أَمَرَهُم بِزِيَارَةِ بَيْتِه عَلَى طَهَارَةٍ. قَالَ: فَلِمَ كُرِهَ الصَّومُ أَيَّامَ التَّشرِيقِ؟ قَالَ: لأَنَّهم فِي ضِيَافَةِ اللهِ، وَلاَ يَجِبُ عَلَى الضَّيفِ أَنْ يَصُومَ عِنْدَ مَنْ أَضَافَه. وروى أبو نعيم في الحليةِ بسندهِ قال: وقع الذبابُ على أبي جعفر المنصور الخليفةِ العباسي فذبّهُ عنهُ، فعاد فذبّهُ حتى أضجرهُ. فدخل الإمام جعفرُ بنُ محمدٍ عليه، فقال المنصورُ: يا أبا عبدِ اللهِ لِمَ خَلَقَ اللهُ الذُّبَابَ؟ قَالَ: لِيُذِلَّ بِهِ الجَبَابِرَةَ. وقال مرّةً يوصي ابنه الإمام موسى الكاظم: يا

بُنَيَّ! مَنْ قَنعَ بِمَا قُسِمَ لَهُ، اسْتَغْنَى، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِه، مَاتَ فَقِيراً، وَمَنْ لَمْ يَرضَ بِمَا قُسِمَ لَهُ، اتَّهمَ اللهَ فِي قَضَائِهِ، وَمَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غَيْرِه، اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِه، وَمَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِه، انكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ، قُتِلَ بِهِ، وَمَنِ احْتَفَرَ بِئْراً لأَخِيهِ، أَوقَعَهُ اللهُ فِيهِ، وَمَنْ دَاخَلَ السُّفَهَاءَ، حُقِّرَ، وَمَنْ خَالطَ العُلَمَاءَ، وُقِّرَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ، اتُّهِمَ. ومن دُرره رضي الله عنه قوله: عجبت لمن فزع من أربع كيف لا يفزع إلى أربع. عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ((حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)); فإنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول بعقبها: ((فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)). وعجبت لمن اغتمّ كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ((لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)). فإنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول بعقبها: ((فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)). وعجبت لمن مُكِر به كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ((وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)). فإنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول بعقبها: ((فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا)). وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ((مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)). فإنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول بعقبها: ((إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّيَ أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ)). وعسى مُوجِبة. وهذا في الحقيقةِ من فواتحِ اللهِ له في معرفةِ مقاصدِ الشرائعِ. وهذا لا يحصلُ بالتكسّبِ والتعليمِ. ولكنّه فضلٌ يهبهُ اللهُ لمن يشاء من عبادهِ، وربنا ذو فضلٍ عظيمٍ. أيّها المسلمون. كان الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه محبّاً للشيخينِ أبي بكرٍ وعمرَ. ومعظّماً ومزكيّاً لهما، مبغِضاً لمن أبغضهما، فلأجله كان يبغضُ الرافضةَ ويمقتها لموقفهم من جدّهِ أبي بكر وصاحبهِ الفاروق. وكلاهما وزيرا جدّهِ، سيّدنا رسول الله صلى اللهُ عليه وآله وسلّم. قَالَ زُهَيْرُ بنُ مُعَاوِيَةَ: قَالَ أَبِي لِجَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ: إِنَّ لِي جَاراً يَزْعُمُ أَنَّكَ تَبرَأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: بَرِئَ اللهُ مِنْ جَارِكَ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللهُ بِقَرَابَتِي مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَلَقَدِ اشْتَكَيتُ شِكَايَةً، فَأَوصَيتُ إِلَى خَالِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ. وقال مُحَمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ: عَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَابْنَه جَعْفَراً عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: يَا سَالِمُ! تَوَلَّهُمَا، وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدَىً. ثُمَّ قَالَ جَعْفَرٌ: يَا سَالِمُ! أَيَسُبُّ الرَّجُلُ جَدَّه، أَبُو بَكْرٍ جَدِّي، لاَ نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَتَوَلاَّهُمَا، وَأَبرَأُ مِنْ عَدوِّهِمَا. وروى الدارقطني بإسنادهِ إلى حَنَانَ بنِ سَدِيرٍ، سَمِعْتُ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ، وَسُئِلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: إِنَّكَ تَسْأَلُنِي عَنْ رَجُلَيْنِ قَدْ أَكَلاَ

مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ. أيْ إنّ أرواحهما في الجنّة تغدو وتروحُ كما تشاءُ، أيّها المسلمون.
وعلى الرغم من إعراض الإمام الصادق رضي الله عنه عن غمار السياسة والدخول في متاعبها والإصطلاء بنارها، تلك الحياة القلقة. وركونه إلى ما هو أبقى وأخلد، فإنّ أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي كان يتوجّس منه خيفة. لِمَا رأى من إلتفاف الناس حولَه. وتقديرهم لعلمه ومكانته، ويبثّ مِنْ حولِه العيون التي ترصد حركاته وسكناته، لكن الإمام الصادق كان بعيدًا عن كل شبهة، لا همّ له سوى العلم والعبادة. وظلّ مقيمًا في المدينة المنوّرة ملجأً للناس وملاذًا للفُتْيا، ومرجِعًا لطلاّب العلم. حتى توفِّي شهيدا مثل أبيه وجدّه مسموماً بالعنب يوم الإثنين في الخامس والعشرين من شهر شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة هجرية، ودُفن في البقيع مع أبيه محمد الباقر وجدّه السجّاد عليّ زين العابدين. وآل البيت النبوي الطاهر الشريف. وترك عدّة أبناء. وكان الخليفة من بعده إبنه الإمام موسى الكاظم. أجَلَّ ولد الإمام الصادق قدراً، وأعظمَهم محلاًّ، وأبعدَهم في الناس صيتاً. ولم يُر في زمانه أسخى منه ولا أكرم نَفْساً وعِشْرة، وكان أعبدَ أهل زمانه، وأورعهم وأجلّهم وأفقههم. أيّها المسلمون. هذه بعض من الجونب لحياة الإمام العظيم سيّدنا جعفر الصادق رضي الله عنه. ولنختم كلامنا بدعاء الإمام الصادق: اللَّهُمَّ احرُسْنا بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامُ، وَاكْنُفْنا بِرُكنِكَ الَّذِي لاَ يُرَامُ، وَاحْفَظْنا بِقُدرَتِكَ عَلَينا، وَلاَ تُهلِكْنا وَأَنْتَ رَجَاؤنا، رَبّنا كَمْ مِنْ نَعمَةٍ أَنْعَمتَ بِهَا عَلَينا قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا شُكرنا، وَكَم مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنا بِهَا قَلَّ لَهَا عِنْدَك صَبْرنا؟ فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعمَتِه شُكرنا، فَلَمْ يَحرِمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْرنا، فَلَمْ يَخْذُلْنا، وَيَا مَنْ رَآنا عَلَى المَعَاصِي، فَلَمْ يَفضَحْنا، وَيَا ذَا النِّعَمِ الَّتِي لاَ تُحصَى أَبَداً، وَيَا ذَا المَعْرُوْفِ الَّذِي لاَ يَنْقَطِعُ أَبَداً، أَعِنّا عَلَى دِينِنا بِدُنْيَانا، وَعَلَى آخِرَتِنا بِالتَقْوَى، وَاحفَظْنا فِيمَا غِبنا عَنْهُ، وَلاَ تَكِلْنا إِلَى أَنْفُسِنا فِيمَا حَضرناه، يَا مَنْ لاَ تَضُرُّه الذُّنُوبُ، وَلاَ تَنقُصُه المَغْفِرَةُ، اغْفِرْ لنا مَا لاَ يَضُرُّكَ، وَأَعْطِنا مَا لاَ يَنْقُصُكَ، يَا وَهَّابُ! نسْأَلُك فَرَجاً قَرِيباً، وَصبراً جَمِيلاً، وَالعَافِيَةَ مِنْ جَمِيعِ البَلاَيَا، وَشُكرَ العَافِيَةِ. والسلامة من كل شرّ. ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

12- تحفة اللّبيب الحاذِق بالرَّوْض الأنيق الفائق في بعض مناقب الإمام سيّدنا موسى الكاظم بن الإمام سيّدنا جعفر الصّادق

الحمد لله الذي اصطفى آل بيت حبيبه سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أطيب العناصر. واختارهم من أكرم الأواصر. وطهّرهم تطهيرا يليق بنسبهم الشريف. ومقامهم العليّ المنيف. وخصّهم بشرف الأصول والفروع وصلاح الذّرّيّة. فسبحانه من إله جعل حبّهم فرضا على العباد. ورفع قدر مَنْ أحسن إليهم وخدمهم بالمحبّة والصّدق وخالص النّيّة. نحمده تعالى ونشكره على أن نظّمنا في سِلْك محبّيهِم المتمسِّكين من محبّتهم بأقوى سبب. الداخلين في عموم قَوْل الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: ((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)). حشرنا الله في زُمْرتهم. وأماتنا على محبّتِهم. آمين.

مَحَبَّةُ أهلِ البيت سِرٌّ مطهَّرُ * يُخَصُّ بها القلبُ المضيء المنوَّرُ

ويحظى بها مَنْ كمّل الله * وكان له مِنْ عالِمِ الغيب مظهرُ

ومَنِ مثل هذا البيت في الفخر والعلا * وجدُّهُمُ طهَ الأمين وحيْدرُ

فقل للذي أضحى غبيّا بشأنِهمْ * أتجهل قوما وَصْفُهم ليس يُحْصَرُ

وهم أَمْنُ أهلِ الأرض و السادة الأُولى * إذا ذُكِروا ما غيرُهُمْ قطّ يُذْكَرُ

فحبُّهُمُ يَحْمِي ويُنجِي من الرَّدَا * وبغضُهُمُ عن رحمة الله يُدْحِرُ

وحَسْبُك ربُّ العرش أثنى عليهِمُ * وهل فوق مَدْح الله عِزٌّ ومَفْخَرُ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. خصّ العِتْرة الطاهرة بالشّرف والسّيادة. وجعل نور النبوّة في كريم وجوههم شاهدًا على نَيْل السعادة. وأكرمهم بالفخر العظيم بنيل الشهادة. وجعلهم مِمَّن فاز بالحسنى وزيادة. وأشهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. الذي من كرامته على ربّه. وكمال عنايته وقُرْبِه. ما رُوِيَ عنه أنّه قال كما في الحديث المتواتر الذي أخرجه الطبراني في الجامع الصغير عن سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كلُّ سببٍ ونَسَبٍ منقطِعٌ يوم القيامة إلا سببي ونسبي. وكلُّ وَلَدِ آدَمَ فإنّ عَصَبَتَهم لأبيهم. ما خلا وَلَدِ فاطمة فأنا أبوهم وأنا عَصَبَتُهُمْ)).

قال لي قائلٌ رأيتُك تَهْوَى * آلَ طه ودائماً ترتجيهِمْ

كان حقّاً عليك أنْ تقضيَ العُمْـ*ـرَ مادحاً فيهم وفي مَنْ يليهم

قلتُ ماذا أقول والكَوْن طُرّاً * يستمِدّ العطاءَ من أيديهم

أَيُّ معنى للمدح منّي وقد جا * ء الكتابُ العزيز بالمدح فيهم

أنا لا أستطيعُ أمْدح قوما * كان جبريلُ خادِماً لأبيهم

ربّي ما لي وسيلةً غيرَ حُبِّي * آلَ طه وكلَّ مَنْ يقتفيهم

حُبُّهم مذهبي وروحُ فؤادي * وغرامي لِصَحْبِهِمْ وذويهِمْ

فأغثني بحقّهم يا إلهي * أنا ضَيْفٌ نزلتُ في ناديهم

واعفُ عمّا جنَيْتُ فضلا وإحسا * ناً فإنّي قد صِرْتُ مِنْ مادحيهم

يا إلهي وَأْذَنْ بِسُحْبِ صلاةٍ * تَتَوَالَى بِمَضْجَعٍ يَحْوِيهِمْ

إخواني: مَنْ أراد منكم تيسير أَمْرِه وتفريج كَرْبِه. فليكثِرْ من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. فالصلاة عليه في الذنوب شافعة. وفي قضاء الحاجات نافعة. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد.مَنْ جاء بالهدى ودين الحقّ وقواطع الحجج. وعلى آله العاطريّ النواسم والأرج. وصحابته الأجلّة السامين الرتب والدرج. صلاة تجعلها لنا عندك من أشرف الوسائل وأعظم الحجج. ونكون بها ممّن إذا غرق الناس نجا ومشى على الثّبج. ونتحصّن ببركتها من صولة الأعادي والحسّاد والرعاع والهمج. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لقد اقتضت حكمة الله جلّ جلاله اصطفاء وتشريف آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ورفْع منزلتهم، كما اقتضت حكمته جلّ جلاله اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران. قال سبحانه في سورة آل عمران: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). لقد أنزل سبحانه وتعالى آيات كثيرة في فضلهم رضي الله عنهم، يكفي منها قوله تعالى في سورة الشورى: ((قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)). وقال سبحانه في مَعْرَض الثّناء عليهم كما في سورة الأحزاب. تنبيها

للأُمّة وتذكيرا: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). فَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَةُ الْمُحْكَمَةُ بِلا الْتِبَاسٍ، فَضْلَ آلِ الْبَيْتِ وَأَنَّهُمْ مُطَهَّرُونَ مِنَ الأَرْجَاسِ. لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيد بأهل بيته رضي الله عنهم في كل نادٍ ومحفل، فهم محلّ وصيّته. إذْ قَرَنَهم بالقرآن. في كَوْن التمسُّك بهم يمنع الضلال. كما في الحديث الذي أخرج الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده والبيهقي وابن حبّان وابن خزيمة في صحيحيهما وابن كثير في تفسيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: ((قام رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مَكَّة والمَدينَةِ فحَمِدَ اللهَ وأثْنى عَليهِ ووَعَظَ وذَكَّرَ ثمّ قالَ: أمّا بَعدُ! ألا أيّها النّاسُ فإنّما أنا بَشَرٌ يُوشَكُ أنْ يأتيَ رَسولُ رَبّي فأُجيبُ، وأنا تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْن؛ أوَّلُهُما كِتابُ اللهِ فيهِ الهُدى وَالنُّورُ، فَخُذوا بِكِتابِ اللهِ وَاستَمْسِكوا بهِ. فَحَثَّ على كِتابِ اللهِ ورغَّبَ فيهِ ثُمّ قالَ: وأهْلُ بَيتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي)). وجاء في رواية الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَن النّبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنّه قال: ((إنّي أُوشَكُ أنْ أُدْعى فأُجيبُ، وإنيّ تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ: كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وعِتْرَتي. كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمدودٌ مِن السَّماءِ إلى الأرض. وَعِترَتي أهلُ بَيتي؛ وَإنّ اللّطيفَ الخَبيرَ أخْبَرني أنّهُما لَن يَفْتَرِقا حَتىّ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ؛ فانْظُروني بِمِ تَخْلُفوني فِيهِما)). وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله تعالى وعترتي))، فَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ الشَّرِيفَةُ؛ وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ الْمُنِيفَةُ: حُبَّ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَتَعْزِيرَهُمْ، وَمُوَالاَتَهُمْ وَالدُّعَاءَ لَهُمْ وَتَوْقِيرَهُمْ؛ كيف لا. وفيهم من دمائه صلى الله عليه وسلم دم، ومن روحه نبض. ومن نوره قبس. ومن شذاه عبق. ومن وجوده بقيّة. صلى الله عليه وسلم. فآلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم الْمَوْئِلُ الكريم. والمقام المبجَّل في الدين. فمودّتُهم ومحبّتُهم جزءٌ من شريعة المسلمين، فهي دين وملّة وقُرْبة. أيّها المسلمون. إنّ سيرة كلِّ إمام من أئمّة أهل البيت عِظَة وعِبْرة، وإنّنا اليوم على موعِد مع واحدٍ من هؤلاء الأئمّة الطاهرين، من آلَ بَيْتِ إمامِ المرْسَلينَ؛ صلَّى عَلَيْهِمْ وسَلَّمَ رَبُّ العالَمِينَ، الذي في مثل هذا الشهر. أعني في السابع من شهر صفر سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة. كانت ولادته بالأبواء قرية بين مكة والمدينة المنوّرة. وبها قبر أمّ سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولاتنا السيّدة آمنة بنت وهب رضي الله عنها. أنّه الإمام الذي صَفت نفسه

الطاهرة، وخلُصتْ سريرته، فكان أحد كواكب البيت النبوي الطاهر. يُضيء طريق الأجيال. ويُنوِّر ظلمات الدنيا بعطائه السيّال. تألّق نجمه في عنان السماء، وارتقى إلى مشارف العُلى، عِلْماً وحلماً، شجاعة وسماحة، فضلاً وكرماً. مضافاً إلى انقطاعه التّامّ إلى الله سبحانه وتعالى، فصار مهوًى للقلوب والأفئدة، ولذلك تسابقت الأقلام على مختلف انتماءاتها تُشيدُ بفضله. وتذكر مناقبه، وتبيّن علوَّ شأنه. إنّه الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين السّجّاد ابن الإمام السّبط سيّد شباب أهل الجنّة سيّدنا الحسين ابن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وابن مولاتنا سيّدة نساء العالمين سيّدتنا فاطمة الزهراء بنت سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أمّا والدة الإمام موسى الكاظم فإنّها أمّ ولد يقال لها حميدة البربرية. كانت من خيار النِّساء، وقد مدحها الإمام جعفر الصادق بكلمات تكشف عن عظمتها وسمُوّ قدرها فقال: حميدة مُصَفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب، وإنّها حميدةٌ في الدنيا، محمودة في الآخرة، أيّها المسلمون. لُقِّب الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه بالكاظم: لِمَا ظهر منه رضي الله عنه من كظْم الغيظ والحلم والصبر، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله. وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسّلين به. قال الإمام الشافعي رحمه الله: قبر موسى الكاظم التّرياق المجرَّب. يقصد به إجابة الدعاء عنده. وقال الحسن بن إبراهيم، أبو علي الخلاّل. شيخ الحنابلة من علماء القرن الثالث الهجري: ما همّني أمرٌ، فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به، إلا سهّلَ الله تعالى لي ما أُحِبُّ. وعلّق الإمام أحمد بن حنبل على سندٍ فيه الإمام علي الرِّضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قائلاً: لو قرأتَ هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جِنَّته. وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: كان موسى الكاظم يدعى العبد الصالح، من عباداته واجتهاده، روي أنّه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسجد سجدة في أوّل الليل، وسُمِع وهو يقول في سجوده: عَظُم الذنب عندي، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى، ويا أهل المغفرة، فجعل يردّدها حتى أصبح، وكان سخيّا كريما، وكان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه. فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثم يقسّمها بالمدينة. فَمَنْ جَاءتْه صُرَّةٌ، اسْتَغنَى. وكان أهله يقولون: عجبا

لمن جاءته صرّة موسى فشكا القِلّة. وأهدى إليه مرّة عبدٌ عصيدة، فاشتراه واشترى المزرعة التي يعمل هذا العبد فيها بألف دينار، وأعتقه ووهب له المزرعة. وكان كثيرا ما يدعو فيقول: اللهم إنّي أسألك الراحة عند الموت. والعفو عند الحساب. وقال ابن حجر الهيثمي في كتابه الصواعق المحرقة: «موسى الكاظم: وهو وارثه أبيه أيْ جعفر الصادق. علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سُمّيَ الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم. هذا وقد أجمع أهل هذا الفنّ على جلالة الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق وعِظم منزلته. أيّها المسلمون. ومناقبه رضي الله عنه كثيرة. منها ما قاله الإمام أبو حنيفة النعمان. قال: دخلت المدينة المنوّرة. فأتيتُ جعفر الصادق فسلّمتُ عليه وخرجت من عنده. فرأيت ابنه موسى الكاظم في دهليزٍ قاعداً في مكتب له وهو صبي صغير السّنّ. فقلت له: يا غلام، أين يُحْدِث الغريب عندكم إذا أراد ذلك؟ أيْ يقضي حاجته. فنظر إليَّ ثمّ قال: يا شيخ اجتنب شطوط الأنهار، ومسقط الثمار، وفيىء النزّال، أيْ أين بجلس الناس. وأفنية الدور، والطرق النافذة، والمساجد، وارفع وضع بعد ذلك حيث شئت. قال: فلمّا سمعتُ هذا القول منه، نَبُل في عيني وعظُم في قلبي، فقلت له: جُعِلْت فداك، ممّن المعصية؟ فنظر إليَّ نظراً ازدراني به. ثمّ قال: إجلس حتى أخبرك، فجلست بين يديه. فقال: إنَّ المعصية لا بدَّ من أن تكون من العبد أو من خالقه أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجّه النهي، وله حقّ الثواب، وعليه العقاب، ووجبت له الجنّة والنار. قال أبو حنيفة: فلمّا سمعت ذلك، قلت:((ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))، وهذه ما يسمّيها العلماء مسألة الجبر والإختيار. يقول صاحب جوهرة التوحيد:

وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفَا * بِهِ وَلكِنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فَاعْرِفَا

فَلَيْسَ مَجْبُورًا وَلاَ اخْتِيَارًا * وَلَيْسَ كَلاًّ يَفْعَلُ اخْتِيَارًا

فَإِنْ يُثِبْنَا فَبِمَحْضِ الْفَضْلِ * وَإِن يُعَذِّبْ فَبِمَحْض الْعَدْلِ

ومن مناقبه رضي الله عنه. ما يحكى أنّ هارون الرشيد سأله يوما فقال: كيف قلتم: نحن ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم بنو علي وإنّما ينسب الرجل إلى جدّه لأبيه دون جدّه لأمّه؟ فقال الكاظم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ((وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّاءَ وَيَحْيَى وَعِيسَى)). وليس لعيسى أب وإنّما أُلْحِق بذرية الأنبياء من قِبَل أمّه، وكذلك أُلْحِقنا بذرية النبي صلى الله عليه وسلم من قِبَل أمّنا فاطمة، وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين قال الله عزّ وجلّ: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ))، ولم يَدْعُ صلى الله عليه وسلم عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وهم الأبناء. ومن مناقبه ما رُوي أنّه لمّا دخل هارون الرشيد المدينة المنوّرة وزار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن عمّ، مفتخِراً بذلك على غيره. فتقدّم الإمام موسى الكاظم وقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أَبَهْ. فتغيّر وجه الرشيد وتبيّن فيه الغضب. وقال: بهذا يفتخر المرء. ومنها ما جاء في الأخبار. أنّه كان رجل من الأنصار اسمه نفيع. وحضر باب هارون الرشيد وحضر معه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وحضر الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه على حمار له، فتلّقاه الحاجب بالبِشْر والإكرام، وأعظمه مَن كان هناك، وعجّل له الإذن، فقال نفيع لعبد العزيز: ما رأيتُ أعجز من هؤلاء القوم، يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير، أَمَا لئن خرج لأسوءنّه، قال له عبد العزيز: لا تفعل، فإنّ هؤلاء أهل بيت قلّ مَن تعرّض لهم في خطاب إلاّ وسَمَّوْهُ في الجواب سَمَّةً يبقى عارها عليه مدى الدهر. قال: وخرج موسى الكاظم فقام إليه نفيع الأَنصاري فأخذ بلجام حماره، ثمّ قال: مَن أنت؟ فقال: يا هذا، إن كنت تريد النسب. فأنا ابن محمد حبيب الله بن اسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، وإن كنت تريد البلد. فهو الذي فرض الله عزّ وجلّ على المسلمين وعليك إن كنت منهم الحجّ إليه، وإن كنت تريد المفاخرة. فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفاءً لهم حتّى قالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، وإن كنت تريد الصّيت والإسم. فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوات المفروضة بقول: اللهم صلّ على سيّدنا محمد وآل سيّدنا محمد. فنحن آل محمد، خلّ عن الحمار. فخلّى عنه ويده ترعد، وانصرف بخزي، فقال له عبد

العزيز: ألم أقل لك؟! أيّها المسلمون. وله رضي الله عنه كرامات كثيرة شهيرة. منها ما رواه حسام بن حاتم الأصم قال: قال لي شقيق البلخي: خرجت حاجًّا سنة ستّ وأربعين ومائة، فنزلت بالقادسية، فبينما أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم، إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة نحيف فوق ثيابه ثوب صوف، مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان، وقد جلس منفردًا فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية، ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كَلّاً عليهم في طريقهم، واللهِ لأمضينّ إليه ولأوبخنّه، فدنوت منه فلمّا رءاني مقبلا نحوه قال: يا شقيق ((اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)). ثم تركني وولّى، فقلت في نفسي: إنّ هذا لأمر عجيب. تكلّم بما في خاطري، ونطق باسمي، هذا عبد صالح لألحقنّه وأسألنّه الدعاء، وأتحلّله بما ظننت فيه، فغاب عنّي ولم أره. فلمّا نزلنا وادي فضّة فإذا هو قائم يصلي. فقلت: هذا صاحبي امض إليه واستحلّه، فصبرت حتى فرغ من صلاته، فالتفت إليّ وقال: ياشقيق أُتل ((وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)). ثم قام ومضى وتركني. فقلت: هذا الفتى من الأبدال قد تكلّم على سرّي مرّتين، فلمّا نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر، وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء، فسقطت من يده في البئر، فرمق إلى السماء بطرفه، وسمعته يقول: إلهي وسيّدي مالي سواك فلا تعدمنيها. فو الله لقد رأيت الماء ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه، فمدّ يده فأخذها فتوضأ منها وصلّى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيديه ويجعل في الركوة ويحركها ويشرب، فأقبلت نحوه وسلمت عليه فردّ عليّ السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك. فقال: يا شقيق لم تزل نِعَم الله عليّ ظاهرة وباطنة. فأحسن ظنّك بربّك، ثم ناولني الركوة فشربت منها. فإذا فيها سَوِيق بسكر، فواللهِ ما شربت قطّ ألذّ منه ولا أطيب، فشربت ورويت حتى شبعت، فأقمت أيّامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا، ثم لم أره حتى نزلنا بمكة، فرأيته ليلة إلى جَنْب قبّة الشراب نصف الليل، وهو قائم يصلّي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، ثم قام إلى حاشية المطاف، فركع ركعتي الفجر هناك ثم صلّى الصبح مع الناس، ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس، ثم صلّى خلف المقام، ثم خرج يريد الذهاب. فخرجت خلفه أريد السلام عليه، وإذا بجماعة أحاطوا به يمينًا وشمالا ومن خلفه ومن أمامه وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه فقلت لأحدهم: مَن هذا الفتى يا سيّدي؟ فقال: هذا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي

بن أبي طالب رضي الله عنهم. فقلت: لا يكون هذا إلا لمثل هذا. ثمّ إنّي انصرفت. ومن كراماته رضي الله عنه توبة بِشْر الحافي وعودته من اللهو والعربدة إلى الزهد والعبادة. حُكي أنّه كان في بغداد في زمن الإمام موسى الكاظم. كان هناك رجل ثريّ واسمه بِشْر وفي كل يوم يقيم في بيته حفلات الغناء والرقص إلى ساعات متأخّرة من الليل. وفي ذات يوم مرّ الإمام موسى بن جعفر في الزقاق الذي كان يسكن فيه ذلك الرجل الثري. فخرجت خادمة من بيت الرجل الثري لترمي القمامة. فسمع الإمام صوت الغناء والطرب من البيت. فسأل الامام الخادمة قائلاً: سيّدك حرٌّ أَمْ عبْد؟. فقالت له: بل هو حرّ. فقال لها: صدقتِ. لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية. وترك اللهو والطرب. ولاستحي من سيّده. بعدها ذهب الإمام في طريقه. وركظت الخادمة إلى بيت سيّدها وهي مضطربة. فسألها سيّدها بِشْر: ما بالك؟ لماذا أنتِ هكذا مضطربة؟ فقصّت عليه ماجرى من حديث مع الرجل الذي لم تعرفة. فانتبه بِشْر. وعرف بأنّه الإمام موسى الكاظم. فقام بطرد جميع الحظور الموجودين في داره. وخرج حافيا يركض في أزقّة بغداد لكي يلحق بالإمام موسى بن جعفر ويتوب على يديه. وفعلاً منذ ذلك اليوم أصبح بِشْر من الزاهدين والعابدين ولُقِّب ببشر الحافي. أيّها المسلمون. تزوّج الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه زوجات عديدة. وأولدهنّ الكثير من الأولاد، وكان رضي الله عنه أكثر الأئمّة ذرية، حتى أختلف في عدد أولاده، والمشهور أنّهم كانوا سبعة وثلاثين ولداً، منهم ثمانية عشر ذكوراً، وتسع عشرة إناث. وأوّلهم وأعلاهم قدراً وأفضلهم وأنبههم وأعلمهم، وأجمعهم فضلاً، هو الإمام علي الرضا رضي الله عنه، قضى الإمام الكاظم رضي الله عنه فترة من حياته في ظلمات السجون. يُنقل من سجن إلى سجن، فقد سجنه محمد المهدي العباسي، ثم أطلقه وسجنه هارون الرشيد في البصرة عند عيسى بن جعفر، ثم نقله إلى سجن الفضل بن الربيع في بغداد، ثم نقله إلى سجن آخر عند الفضل بن يحيى، وآخر سجن نقل إليه في بغداد وهو سجن السندي بن شاهك. وكان أشدّ السجون عذاباً وظلمة، وكان لا يُعرف الليل فيه من النهار. لقد تحمّل سيّدنا الإمام الكاظم رضي الله عنه من ملوك زمانه ومن الساعين إليهم في حقّه ومن الحسّاد والفسّاق، أذًى كثيراً ومصائب عظيمة، وكان السندي بن شاهك شديد النّصب والعداوة لآل الرسول صلى الله عليه وسلم. إلى أن قام بسمّ مولانا الإمام الكاظم رضي الله عنه، فقدّم إليه عشر حبّاتٍ من الرطب المسموم، أجبره على أكلِها، فتناولها الإمام وتمرّض من ذلك ثلاثة أيام، إستشهد بعدها

مظلوماً في السجن المظلم تحت القيود والأغلال يوم الجمعة في الخامس والعشرين من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين بعد المائة من الهجرة الشريفة. وقد أخرجوا جنازته المقدّسة بالذّلّ والهوان، ووضعوها على جسر الرصافة ببغداد، حيث بقيت ثلاثة أيام، والمنادي ينادي هذا إمام الخوارج، إلى أن علم بذلك سليمان عمّ الرشيد، فأمر بحملها مكرّمة معظّمة، وغيّر النداء بقوله: ألا فمَن أراد يحضر جنازة الطّيّب ابن الطيب والطاهر بن الطاهر فليحضر جنازة موسى بن جعفر. ثم غُسّل وكُفّن بأحسن كفن ثمين، وأمر بتشييع الجنازة، ودفن رضي الله عنه في الجانب الغربي من بغداد، في المقبرة المعروفة بمقابر قريش جانب الكرخ من الكاظمية، من باب التين، وهو الموضع الذي يقوم فيه اليوم ضريحه ومزاره، وله مقام ومزار عظيم. يؤمّه الزوّار من كل حدبٍ وصوب. ومن مختلف المذاهب الإسلاميّة، يزار ويتبرّك به. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: قبر موسى الكاظم التّرياق المجرَّب. أيْ في إجابة الدعاء عنده. والتوسّل به. فسلام عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيّاً. ورحم الله الإمام البوصيري حين قال في همزيّته:

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ * الْمَدْحُ لِي فِيكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ

أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُـ*ـحْتُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ

سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمْ * سَوَّدَتْهُ الْبَيْضَاءُ والصَّفْرَاءُ

اللهمّ إنّا نُشْهِدُك. ونشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم. ونحبّ أهل بيته الطّيّبين الطاهرين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. أن توفّقنا لصالح الأعمال والأقوال المرضية. وتحفّنا باللطف يا مَنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه. وحقّقنا بأسرار أهل البيت واحشرنا في زمرتهم العلية. واجعلنا من المخلصين لهم إلى بلوغ الأجل منتهاه. وأمدّنا بأمدادهم واجعل عيشتنا هنيّة. واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة وأنلنا شفاعة حبيبك الدّرّة المنتقاه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

13- شفاءُ غليلِ المحبِّ الهايم بالرَّوْض البهيّ الباسِم في بعض مناقب الإمام سيِّدِنا عليّ الرِّضَا بن مولانا الإمام موسى الكاظم

الحمد لله الذي ما شاء صنع، ومَنْ شاء أعطى ومَن شاء منع، ومَن شاء خفض ومَن شاء رفع. يخلُق ما يشاء ويختَار. ويَصطفِي للشَّرف من شاءَ مِنَ الأخيَار، شرَّف رسولَه سيّدَنا محمَّدًا صلى الله عليه وسلم على كلِّ البريَّة، وجعل ذرِّيّتَه أشرفَ ذرّيّة، نحمده تعالى ونشكره أن ألهمنا بالتّقرّب إليه بمحبَّة رسولِه صلى الله عليه وسلم وعِترتِه الطّاهرة الزّكيَّة، فسبحانه من إله خصّ آل البيت بخصال جدّهم المصطفى العدنان. وأتمّ عليهم فضله ومنحهم الرّضا والرّضوان. وجعلهم نجوما يهتدي بها مَن ضلّ فى الوديان. اللهم ارزقنا رفقتهم وصحبتهم ومعيّتهم فى الدارين يا رحيم يا رحمان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. عمّت رحمته لخلقه وخليقته. وخصّ مَن شاء بمحبّته وولايته. فهم خاصّة عباده، وغرسُ بلاده، يصرف بهم البلايا، ويخصّهم بالخيرات والعطايا، فهم القائمون بإظهار دينه، والمتمسّكون بسنّة نبيّه. صلى الله عليه وسلم. وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. الذي طهرت بماء قدس العناية فروعه وأصوله. فهم عرائس تجلّي الكريم في حضرة الجمال. والآمنون مع مَن أحبّهم من شدائد الخزيّ والنَّكال. المشار إليهم في أحسن المقال: ((قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)). فكان ودادهم من أهمّ القُرَب وسببا لنيل النوال.

أمناءُ دينِ الله مَن في بيتهِمْ * نزل الكتابُ ووحيُه لم يكذِبِ

أولاءِ مَن أوْصى الإلهُ بحبّهِمْ * ليمِيزَ بين مصدِّقٍ ومكذِّبِ

آلُ النبيّ ومَن بهمْ عُرِف الهدَى * وأمانُ قلبِ الخائفِ المترقِّبِ

من لم يصلِّ على النبيّ وآله * يشقى ويسعدُ مَن يصلي على النبي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمد. أفضلِ مَن مدحته الألسن وكتبته الأقلام. وعلى آله مصابيح الظلام. وصحابته الماحيّين بسيوفهم عبدة الأوثان والأصنام. صلاة تنوّر بها بصائرنا بنور الفتح والإلهام. وتزيل بها عن قلوبنا في محبّته ومحبّة آله ظلام الشكوك والأوهام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. استقرّت لآل البيت النبويّ الطاهر في نفوس المؤمنين مكانة رفيعة، لقربهم من النبي صلى الله عليه وسلم، واتّصالهم بنسبه،

ولنصرتهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأشدّ الأزمات منذ بدء الدّعوة، فحفظ لهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. وأوصى بهم أمّته خيرا، كما في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده والبيهقي وابن حبّان وابن خزيمة في صحيحيهما وابن كثير في تفسيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: ((قام رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مَكَّة والمَدينَةِ فحَمِدَ اللهَ وأثْنى عَليهِ ووَعَظَ وذَكَّرَ ثمّ قالَ: أمّا بَعدُ! ألا أيّها النّاسُ فإنَّما أنا بَشَرٌ يُوشَكُ أنْ يأتيَ رَسولُ رَبّي فأُجيبُ، وأنا تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْن؛ أوَّلُهُما كِتابُ اللهِ فيهِ الهُدى وَالنُّورُ، فَخُذوا بِكِتابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكوا بهِ. فَحَثَّ على كِتابِ اللهِ ورغَّبَ فيهِ ثُمّ قالَ: وأهْلُ بَيتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بَيتي)). وجاء في رواية الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَن النّبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنّه قال: ((إنّي أُوشَكُ أنْ أُدْعى فأُجيبُ، وإنيّ تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ: كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وعِتْرَتي. كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمدودٌ مِن السَّماءِ إلى الأرض. وَعِترَتي أهلُ بَيتي؛ وَإنّ اللّطيفَ الخَبيرَ أخْبَرني أنَّهُما لَن يَفْتَرِقا حَتىّ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ؛ فانْظُروني بِم تَخْلُفوني فِيهِما)). وروى الترمذي عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهم قال: رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: ((يا أيّها الناس. إنّي قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتابَ الله وعترتي أهل بيتي)). فهم سادة البشر. الذين خصّهم الله تعالى بفضله. فجعلهم محلاً للإقتداء. وصيّر قلوبهم مصابيح الهدى. المطهَّرين من رِقّ الأغيار. وشوائب الأكدار. مَن بدت من قلوبهم درر المعاني. فجُعِلت قلائد التحقيق لأهل المباني. واختارهم في سابق الإقتدار. أنّهم آل نبيّه المختار. عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. ما تعاقب الليل والنهار. فقد أخرج الحكيم الترمذي، والطبراني، وابن مردوَيْه، وأبو نُعَيْم، والبيهقي معًا في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ((إنّ الله تعالى قسّم الخَلْق قسمَيْن فجعلني في خيرهما قِسْمًا؛ فذلك قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ). (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ). فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمَيْن أثلاثًا فجعلني في خيرها ثُلُثًا فذلك قوله تعالى: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ). فأنا من السابقين وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل

فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ). وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتًا فجعلني في خيرها بيتًا فذلك قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). أنا وأهل بيتي مطهَّرون من الذنوب)). ولقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله عزّ وجلّ في حقّ آل البيت الكرام. رضوان الله عليهم. لتبيّن فضيلتهم ومكانتهم وعلوّ شأنهم. ومن الآيات المتّفق عليها آية التطهير وآية المباهلة، وأكّد سبحانه على أهميّة الولاء والحبّ لأهل البيت رضوان الله عليهم وأوجبه على المسلمين، كما جاء في آية المودّة، وثمّة مظاهر متعدّدة من فضائلهم ومناقبهم التي اختصّوا بها تدلّ عليها الآيات الكثيرة النازلة في حقّهم، قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)). روى الهيثمي في تفسير هذه الآية: إنّها من الآيات التي نزلت في آل البيت. أيْ أنّهم هم حبْل الله الذي أوجب الله الإعتصام به. وأخرج الثعلبي عن إبّان بن ثعلب عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قال: نحن حبل الله الذي قال: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)). وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ولمّا رأيتُ الناس قد ذهبتْ بهمْ * مذاهبُهُمْ في أبحر الغيّ والجهلِ

ركبتُ على اسم الله في سُفُن النجاة * وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسْلِ

وأمسكتُ حبل الله وهو ولاؤهُمْ * كما قد أمرنا بالتّمسّك بالحبلِ

أيّها المسلمون. في هذه الجمعة المباركة إنّنا على موعد مع إمام من أئمّة أهل البيت النبوي الطاهر. نشأ في بيت الرسالة، وارتضع من معين الوحي، وتربّى في أحضان الإمامة؛ فكان قمّةً شامخة، لا يُقاس به عظيمٌ ولا يرقى إليه راقٍ. صار مدرسة تفيض على الوجود بأنواع العطاء. وتغذّي البشرية ألواناً من القيم والفضائل والمكارم. استطاع بحكمته البالغة وبفضل عناية الباري سبحانه وتعالى أنْ يذيد عن الإسلام المحمدي الأصيل. فكان لا يكلّمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين له إلاّ قطعه وألزمه الحجّة، فذاع صيته. وانتشر خبره. ودانت له العلماء. ورضي به المخالف قبل الموافق. حتى سُمِّيَ بالرِّضَا. وأخذت الناس تقول: واللهِ إنّه أولى بالخلافة من المأمون العباسي بن هارون الرشيد. إنّه الإمام

سيّدنا علي الرّضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين السّجّاد ابن الإمام السّبط سيّد شباب أهل الجنّة سيّدنا الحسين ابن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وابن مولاتنا سيّدة نساء العالمين سيّدتنا فاطمة الزهراء بنت سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ورضي الله عن الإمام علي الرّضا وعن آبائه الطّيّبين الطاهرين الأكرمين. الذي في مثل هذا الشهر أعني يوم الإثنين لثلاث بقين من شهر صفر سنة ثلاث ومائتين من الهجرة، استشهد مسموما بطوس من أرض خراسان. وهي مدينة تاريخيّة أثريّة بإيران. تسمّى اليوم بمشهد الرّضا. ولد الإمام علي الرضا رضي الله عنه بالمدينة المنوّرة يوم الجمعة لإحدى عشر ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، وأمّه أمّ ولد. تُكنَّى أُمّ البنين. واسمها نجمة النُّوبية. أيْ من النُّوبة من السودان. وكانت أفضل النساء في عقلها ودينها. فلمّا ولدت للإمام موسى الكاظم إبنَه علي الرضا سمّاها الطاهرة. وكان رضي الله عنه أسود اللون معتدلا، لأنّ أمّه كانت سوداء، ويُروى أنّه دخل يومًا حمامًا. فبينما هو في مكانه من الحمام. إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه، وقال: صبّ على رأسي يا أسود. فصبّ على رأسه، فدخل مَنْ عَرَفَه فصاح: يا جندي هلكت أتستخدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل الجندي يقبّل رجليه ويقول: هلاّ عصيتني إذْ أمرتك يا مولاي! فقال: إنّها مَثوبة، وما أردتُ أن أعصيَك في ما أُثابُ عليه، ثمَّ قال:

ليس لي ذنبٌ ولا ذنبَ لمن * قال لي يا عبدُ أو يا أسودُ

إنَّما الذنبُ لمن ألبسني * ظلمةً وهو الذي لا يُحمدُ

أيّها المسلمون. نشأ الإمام علي الرّضا في ظلّ أبيه الامام موسى الكاظم. وتلقّى على يديه معارفه وعلومه. وأخلاقه وأدبه الّذي ورثه عن آبائه، فكان حريّاً به أن يكون الإمام والعالِم والمرشِد، يتولّى مدرسة أهل البيت. ويغذّيها بالعلم والمعرفة، ويحتلّ موقع القيادة والزعامة في نفوس المسلمين. عاش الإمام الرضا رضي الله عنه في عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية، وكثرت الترجمة لكتب اليونانيّين والرومانيّين وغيرهم، وازداد التّشكيك في الأصول والعقائد من قِبَل الملاحدة وأحبار اليهود، وبطارقة النصارى، ومجسِّمة أهل الحديث. وفي تلك الأزمنة أتيحت له رضي الله عنه فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم

ومشاربهم، فظهر برهانه وعلا شأنه. قال صاحب كتاب (نثر الدرر): سأل الفضل بن سهل عليّا الرضا بن موسى في مجلس المأمون فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبَرون؟ قال: الله تعالى أعدل من أن يُجبِر ثم يعذِّب، قال: فمطلَقون؟ قال: الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده ويَكِلْه إلى نفسه. وقد سأله رجل: يكلّف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال: هو أعدل من ذلك، قال: فيقدرون على كل ما يريدون؟ قال: هم أعجز من ذلك. وأورد صاحب كتاب (تاريخ نيسابور): أنّ عليّا الرضا بن موسى الكاظم لمّا دخل نيسابور كان في قبّة مستورة على بغلة شهباء. وقد شقّ بها السوق. فعرض له الإمامان الحافظان أبو زُرْعة وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقال: يا أيّها السيّد الجليل ابن السادة الأئمّة بحقّ ءابائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون، ورويت لنا حديثًا عن ءابائك عن جدّك نذكرك به، فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلّة، وأقرّ عيون الخلائق برؤية طلعته، وإذا له ذؤابتان معلَّقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باكٍ وصارخ ومتمرّغ في التراب، ومقبِّل حافر بغلته، وعلا الضجيج، فصاحت الأئمّة الأعلام: معاشر الناس أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم. وكان المستملي أبا زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي، فقال علي الرضا رضي الله عنه: حدّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء الامام الحسين عن أبيه علي المرتضى قال: حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: حدّثني جبريل عليه السلام قال: حدّثني ربّ العزّة سبحانه وتعالى قال: كلمة لا إله إلا الله حِصْني فمَن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي. ثم أرخى الستر على المظلّة وسار، قال: فعُدَّ أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفًا. قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه. وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه: اتّصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره فرئي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بتلفّظي بلا إله إلا الله وتصديقي أنّ محمدًا رسول الله. صلى الله عليه وسلم أورده المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير. وقد اشتهر هذا الحديث باسم حديث سلسلة الذهب، ورُوِي أنّه لمّا دخل على الإمام علي الرّضا بنيسابور قوم من الصوفية فقالوا: إنّ أمير المؤمنين يقصدون المأمون العباسي بن

هارون الرشيد. نظر فيما ولاّه الله تعالى من الأمور ثم نظر فرءاكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس. ثم نظر في أهل البيت فرءاك أولى الناس بالناس من كل واحد منهم. والناس تحتاج إلى من يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ويشيّع الجنائز. قال: وكان علي الرضا متّكئا فاستوى جالسا ثم قال: كان يوسف بن يعقوب نبيّا فلبس أقبيّة الديباج المزرّرة بالذهب. والقباطي المنسوجة بالذهب. وجلس على متّكآت ءال فرعون. وحكم وأمر ونهى. وإنّما يراد من الإمام القسط والعدل. إذا قال صدق. وإذا حكم عدل. وإذا وعد أنجز، إنّ الله لم يحرّم ملبوسا ولا مطعوما. وتلا قوله تعالى: ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)). وروى الحاكم النيسابوري رحمه الله تعالى في تاريخه: أنَّ عليّ الرضى بن موسى الكاظم كان يقعدُ يُفتي في الرّوضة الشريفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن نيّف وعشرين سنة. شابٌّ مُلتحِفٌ بمَطرَفِ خَزّ. فيسألهُ الناس ومشايخ العلماء في المسجد متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليه بأجمعهم، وبعثوا إليه المسائل فيجيب عنها. فسُئِلَ رضي الله عنه عن القدر فقال: قال الله عز مِن قائل: ((إنَّ المُجرمينَ في ضلالٍ وسُعُرٍ يومَ يُسحَبونَ في النارِ على وُجوههم ذُوقوا مَسَّ سقر إنَّا كُلَّ شيءٍ خلقناهُ بقدر)). ثم قال الرضا: كان أبي يذكر عن ءابائه أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يقول: إنّ الله خلق كل شيء بقدرٍ حتى العجز والكيسَ وإليه المشيئةُ وبه الحول والقوّة. أيّها المسلمون. عاصر الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه وعن آبائه ثلاثة من حكّام بني العباس وهم: هارون الرشيد، وولداه الأمين والمأمون الذي استشهد الإمام في حكومته. كان الرشيد قد بايع لابنه محمد الأمين بن زبيدة و بعده لولده الثاني عبد الله المأمون وبعدهما لأخيهما المؤتمن. وجعل أمر عزله وإبقائه بيد المأمون. وكتب بذلك صحيفة وأودعها في جوف الكعبة. وقسّم البلاد بين الأمين والمأمون. فجعل شرقيّها للمأمون. وأمره بسكنى مَرَوْ. وغربيّها للأمين. وأمره بسكنى بغداد. فكان المأمون في حياة أبيه في مَرَوْ. ثم إنّ المأمون بعد موت أبيه في خراسان خلع أخاه الأمين. واستقلّ بالسلطنة وحده. وجرى حُكْمه في شرق الارض وغربها، كتب إلى الإمام الرضا يستقدمه من المدينة المنوّرة إلى خراسان، فامتنع واعتلّ بعلل كثيرة، فما زال المأمون يكاتبه ويسأله حتى عَلِم الإمام الرضا أنّه لا يكفّ عنه فأجابه مكرَها، فبعث المأمون رجاء بن أبي الضحّاك وياسر الخادم إلى المدينة ليشخصا إليه بالإمام الرضا وجماعة من

آل أبي طالب. وذلك في سنة مائتين من الهجرة. روى المسعودي في إثبات الوصية: أنّ المأمون استقبل الإمام الرضا وأعظمه وأكرمه وأظهر فضله وإجلاله، ثم أخبره: إنّي أريد أن أخلع نفسي من الخلافة وأقلّدك إيّاها فما رأيك في ذلك؟ فأنكر الإمام الرضا هذا الأمر وقال له: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد، وجرت في ذلك مخاطبات كثيرة. حتى قَبِل ولاية العهد، وقال له الإمام الرضا: بشرط. إنّي أجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على أنّني لا آمر، ولا أنهي، ولا أفتي، ولا أقضي، ولا أولي، ولا أعزل، ولا أغيّر شيئا مما هو قائم. فأجابه المأمون إلى ذلك كله. فخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى الرضا، وأنه قد ولاّه عهده، وأمرهم بلبس الخضرة التي هي شعار العلويّين، بدل السوّاد الذين هو شعار العباسيّين. وكانت البيعة لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ثم إنّ المأمون زوّجه ابنته أمّ حبيبة في أوّل سنة اثنتين ومائتين. وسمّى للجَوَاد ابن الإمام الرضا ابنته أمّ الفضل، وأمر فضُرِبت له الدراهم والدنانير وطُبِع عليها اسم الإمام الرّضا، وأمر أن يخطب له على المنابر. وكتب إلى الآفاق بذلك. وخُطِب للإمام الرضا في كل بلد بولاية العهد. واختلف المؤرّخون في سبب موت الإمام الرضا. فقيل إنّه مات مسموما كما روى هرثمة ابن أعين من أنّه مات مسموما بالعنب والرمان اللذيْن قُدِّما له. وروى أبو الفرج في (مقاتل الطالبيّين) عن أبي الصلت أنّه دخل على الإمام الرضا فقال: يا أبا الصلت قد فعلوها. أيْ سقوني السّمّ، وقد شاع ذلك واشتهر. قُبِضَ رضي الله عنه بطوس من أرض خراسان يوم الإثنين لثلاث بقين من شهر صفر سنة ثلاث ومائتين من الهجرة، وهي مدينة تاريخيّة أثريّة بإيران. تسمّى اليوم بمشهد الرّضا. وهو يردِّد كلام الله وينطق بآخر كلمة في حياته: ((قُلْ لَو كُنتُم فِي بُيوتِكُم لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَليهمُ القَتلُ إِلَى مَضَاجِعِهِم)). ودُفِن في قبر ملاصق لقبر هارون الرشيد، وقبر الإمام الرضا الآن مزار مهيب يتقاطر المسلمون على زيارته والتبرّك به من جميع أقطار العالم. فسلام الله عليه يوم وُلِد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيّا. لم يترك الإمام علي الرضا ولدا إلا ابنه الإمام أبي جعفر محمد الجَوَاد رضي الله عنهما. وكان سنّه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهرًا. ومن لطيف ما نُقِل عن أبي نوّاس أنّه كان ينشد الشعر في كل جليل وطفيف. ولم يمدح الإمام الرضا، ولمّا عوتب على ذلك مِن قِبَل بعض أصحابه حيث قال له: ما رأيتُ أوقح منك، ما تركتَ خمرا ولا طردا ولا معنى إلا قلت فيه شيئا، وهذا علي بن موسى الرضا في

عصرك لم تقل فيه شيئا! فقال أبو نوّاس: واللهِ ما تركتُ ذلك إلا إعظاما له، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعة هذه الأبيات:

قيل لي أنت أحسن الناس طرّا * في فنون من الكلام النبيهِ

لك من جِيد القريض مديح * يثمر الدّرّ في يدي مجتنيهِ

فعلامَ تركت مدح ابن موسى * والخصال التي تجمّعن فيه

قلتُ لا أستطيع مدح إمام * كان جبريل خادما لأبيه

وقال فيه أيضا وقد رآه خرج من عند المأمون على بغلة فارهة. فدنا منه وسلّم عليه وقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلتُ فيك أبياتا أحبّ أن تسمعها منّي. فقال له الرضا: قل، فأنشأ أبو نوّاس يقول:

مطهّرون نقيّات ثيابُهُمُ * تجري الصلاة عليهم أينما ذُكِرُوا

من لم يكن علويّا حين تنسبه * فما له في قديم الدهر مفتخَرُ

الله لمّا برا خلقًا فأتقنه * صفّاكُمُ واصطفاكم أيّها البشرُ

فأنتُمُ الملأ الأعلى وعندكُمُ * علم الكتاب وما جاءت به السُّوَرُ

قال: قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد. ما معك يا غلام من فاضل نفقاتنا؟ قال: ثلثمائة دينار، قال: ادفعها إليه، ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال: لعلّه يستقلّها سق يا غلام إليه البغلة. اللهم انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولاتخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

ملحق خير: مناظرة الإمام علي الرضا مع العلماء في مجلس المأمون

ومنها أيضا: أنّه رضي الله عنه حضر مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية من

سورة فاطر: ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)). فقالت العلماء: أراد الله الأمّة كلّها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الإمام الرّضا رضي الله عنه: لا أقول كما قالوا ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عَنَى العترة دون الأمّة؟. فقال الإمام الرضا: لو أراد الأمّة لكانت بأجمعها في الجنّة، لقول الله: ((فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)). ثم جعلهم كلهم في الجنّة. فقال عزّ وجلّ: ((جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا)). فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. ثم قال الإمام الرضا: هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: ((وإنيّ تاركٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ: كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وعِتْرَتي. كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمدودٌ مِن السَّماءِ إلى الأرض. وَعِترَتي أهلُ بَيتي؛ وَإنّ اللّطيفَ الخَبيرَ أخْبَرني أنَّهُما لَن يَفْتَرِقا حَتىّ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ؛ فانْظُروني بِم تَخْلُفوني فِيهِما)). قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أو غير الآل؟ فقال الرضا: هم الآل. فقالت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر عنه أنّه قال: أمّتي آلي. وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمّته. فقال الرضا: أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد؟ قالوا: نعم. قال: فتحرم على الأمّة؟ قالوا: لا. قال: هذا فرق بين الآل وبين الأمّة. ويحكم أين يُذْهَب بكم. أصرِفتم عن الذكر صفحا أم أنتم قوم مسرفون؟! أَمَا علمتم أنّما وقعت الرواية في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟! قالوا: مَن أين قلتَ يا أبا الحسن؟ قال: من قول الله: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)). فصارت وراثة النّبوّة والكتاب في المهتدين دون الفاسقين، أمّا علمتم أنّ نوحا سأل ربّه؟ ((فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)). وذلك أنّ الله وعده أن ينجيَه وأهله، فقال له ربّه تبارك وتعالى: ((إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)). فقال المأمون: فهل فضّل الله العترة على سائر الناس؟ فقال الرضا: إنّ الله العزيز الجبّار فضّل العترة على سائر الناس في محكم كتابه. قال المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ قال الرضا: في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ

بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). وقال الله في موضع آخر: ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)). ثم ردّ المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)). يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحُسِدوا عليهما بقوله: ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)). يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين والملك ههنا الطاعة لهم. قالت العلماء: هل فسّر الله تعالى الإصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا: فسّر الإصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعا. فأوّل ذلك قول الله: ((وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)). وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عزّ وجلّ بذلك الآل فهذه واحدة. والآية الثانية في الإصطفاء قول الله: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). وهذا الفضل الذي لا يجحده معاند لأنّه فضل بيّن. والآية الثالثة حين ميّز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيّه في آية المباهلة فقال: ((قُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)). فأبرز النبي صلى الله عليه وسلم عليّا والحسن والحسين وفاطمة فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنى قوله: وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ؟ قالت العلماء: عنى به نفسه. قال أبوالحسن الرضا: غلطتم، إنّما عنى به عليّا. ومما يدلّ على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: لينتهينّ بنو وليعة وهم حي من كِنْدة. أو لأبعثنّ إليهم رجلا كنفسي. يعني عليّا. فهذه خصوصيّة لا يتقدّمها أحد. وفضل لا يختلف فيه بشر. و شرف لا يسبقه إليه خلق، إذ جعل نفس عليّ كنفسه صلى الله عليه وسم فهذه الثالثة. وأمّا الرابعة: فإخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة حين تكلّم الناس في ذلك، وتكلّم العباس، فقال: يا رسول الله تركتَ عليّا وأخرجتنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا تركته وأخرجتكم. ولكنّ الله تركه وأخرجكم. وفي هذا بيان قوله لعليّ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى. قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟ قال الإمام الرضا: أوجدكم في ذلك قرآنا أقرؤه عليكم، قالوا: هات. قال: قول الله عزّ وجلّ: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً)). ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى وفيها أيضا منزلة عليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: إنّ هذا المسجد لا يحلّ لِجُنُب ولا لحائض إلا لمحمد

وآل محمد. فقالت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال الرضا: ومَن ينكر لنا ذلك. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمَن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها. ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتّقدّم والإصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند. ولله عزّ وجلّ الحمد على ذلك. فهذه الرابعة. وأمّا الخامسة: فقول الله عزّ وجلّ: ((وآتِ ذا القُربى حَقَّهُ)). خصوصيّة خصّهم الله العزيز الجبّار بها. واصطفاهم على الأمّة. فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ادعوا لي فاطمة فدعوها له. فقال: يا فاطمة. قالت: لبّيك يا رسول الله. فقال: إنّ فَدَك لم يوجَف عليها بخيل ولا ركاب وهي لي خاصّة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لمّا أمرني الله به. فخذيها لك ولولدك. فهذه الخامسة. وأمّا السادسة: فقول الله عزّ وجلّ: ((قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)). فهذه خصوصيّة للنبي صلى الله عليه وسلم دون الأنبياء. وخصوصيّة للآل دون غيرهم. وذلك أنّ الله حكى عن الأنبياء في ذِكْر نوح عليه السلام: ((وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)). وحكى عن هود عليه السلام قال: ((لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ)). وقال لنبيّه صلى الله عليه وسلم: ((قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)). ولم يفرض الله مودّتهم إلا وقد علم أنّهم لا يرتدّون عن الدين أبدا. ولا يرجعون إلى ضلالة أبدا. وأخرى أنْ يكون الرجل وادًّا للرجل فيكون بعض أهل بيته عدوّا له. فلا يسلم قلبه. فأحبّ الله أن لا يكون في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين شيء. إذ فرض عليهم مودّة ذي القربي، فمَن أخذ بها وأحبّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. وأحبّ أهل بيته لم يستطع رسول الله أن يبغضه. ومَن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وسلم فعلى رسول الله أن يبغضه، لأنّه قد ترك فريضة من فرائض الله. وأيّ فضيلة وأيّ شرف يتقدّم هذا. ثم قال الرضا: حدّثني أبي، عن جدّي، عن آبائه، عن الحسين بن علي قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنّ لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك وفيمَن يأتيك من الوفود. وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها بارّا مأجورا، أعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج. فأنزل الله عزّ وجلّ عليه الروح الأمين فقال: يا محمد ((قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)). لا تؤذوا قرابتي من

بعدي، فخرجوا. فقال أناس منهم: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثّنا على قرابته من بعده. إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه. وكان ذلك من قولهم عظيما. فأنزل الله هذه الآية: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)). فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل من حدث؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله، لقد تكلّم بعضنا كلاما عظيما فكرهناه، فتلا عليهم رسول الله فبكوا واشتدّ بكاؤهم، فأنزل الله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)). فهذه السادسة. وأمّا السابعة فيقول الله: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)). لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. وهل بينكم معاشر الناس! في هذا اختلاف؟ قالوا: لا. فقال المأمون: هذا ما لا اختلاف فيه أصلا وعليه الإجماع. فهل عندك في الآل شيء؟ أوضح مِن هذا في القرآن؟ قال الإمام الرضا: أخبروني عن قول الله: ((يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)). فمن عنى بقوله: يس؟ قال العلماء: يس محمد ليس فيه شكّ. قال الرضا: أعطى الله محمدا وآل محمد من ذلك فضلا لم يبلغ أحد كنه وصْفه لمن عقله. وذلك أنّ الله لم يسلِّم على أحد إلا على الأنبياء صلوات الله عليهم. فقال تبارك وتعالى: ((سلام على نوح في العالمين)). وقال: ((سلام على موسى وهارون)). ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى وهارون، وقال عزّ وجلّ: ((سلام على آل يس)). يعني آل محمد. فقال المأمون: لقد علمتُ أنّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه. فهذه السابعة. وأمّا الثامنة فقول الله عزّ وجلّ: ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى)). فقرن سهم ذي القربى مع سهمه وسهم رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا فصْل بين الآل والأمّة، لأنّ الله جعلهم في حيّز وجعل الناس كلهم في حيّز دون ذلك. ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه، وابتدأ بنفسه ثم ثنّى برسوله ثم بذي القربى في كل من الفيء والغنيمة وغير ذلك ممّا رضيه عز وجل لنفسه ورضيه لهم فقال وقوله الحق: ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى)). فهذا توكيد مؤكَّد وأمر دائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وأمّا قوله: ((وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)). فإن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من المغانم ولم يكن له نصيب وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب في المغنم ولا يحلّ له أخذه وسهم ذي القربى إلى يوم القيامة قائم فيهم للغني والفقير، لأنّه لا أحد أغنى من الله ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم فجعل لنفسه منها سهما ولرسوله صلى الله عليه وسلم سهما، فما رضي لنفسه ولرسوله رضيه لهم وكذلك الفيء ما رضيه لنفسه ولنبيه صلى الله عليه وسلم رضيه لذي القربى كما جاز لهم في الغنيمة فبدأ بنفسه، ثم برسوله صلى الله عليه وسلم، ثم بهم وقَرَن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وسلم. وكذلك في الطاعة قال عز وجل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)). فبدأ بنفسه، ثم برسوله صلى الله عليه وسلم ثم بأهل بيته. وكذلك آية الولاية: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)). فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته. كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقرونا بأسهمهم في الغنيمة والفيء. فتبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلمّا جاءت قصّة الصدقة نزّه نفسه عزّ ذِكْره ونزّه رسوله صلى الله عليه وسلم ونزّه أهل بيته عنها فقال: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)). فهل تجد في شيء من ذلك أنّه جعل لنفسه سهما، أو لرسوله صلى الله عليه وسلم أو لذي القربى. لأنّه لمّا نزّههم عن الصدقة نزّه نفسه ونزّه رسوله ونزّه أهل بيته. لا بل حرّمها عليهم، لأنّ الصدقة محرَّمة على محمد وأهل بيته وهي أوساخ الناس لا تحلّ لهم لأنّهم طُهِّروا من كل دنس ووسخ، فلمّا طهَّرهم واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه. وأمّا التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله في محكم كتابه: ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)). فقال العلماء: إنّما عنى بذلك اليهود والنصارى. قال الرضا: وهل يجوز ذلك؟ إذا يدعونا إلى دينهم ويقولون: إنّهم أفضل من دين الاسلام. فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح يخالف ما قالوا يا أبا الحسن؟ قال: نعم. الذكر رسول الله ونحن أهله. وذلك بيّن في كتاب الله بقوله في سورة الطلاق: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ)). فالذكر رسول الله ونحن أهله. فهذه التاسعة. وأمّا العاشرة فقول الله عز وجل في آية التحريم: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ

الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً)). أخبروني هل تصلح ابنتي أو ابنة إبني أو ما تناسل من صلبي لرسول الله أن يتزوّجها لو كان حيّا؟ قالوا: لا. قال: فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوّجها؟ قالوا: بلى. قال: فقال: ففي هذا بيان أنّا من آله ولستم من آله. ولو كنتم من آله لحرمت عليه بناتكم كما حرمت عليه بناتي، لأنّا من آله وأنتم من أمّته، فهذا فرق بين الآل والأمّة، لأنّ الآل منه والأمّة إذا لم تكن الآل فليست منه. فهذه العاشرة. وأما الحادية عشر فقوله في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل: ((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَاءكُمْ بِٱلْبَيّنَٰتِ مِن رَّبّكُمْ)). وكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه. وكذلك خُصِّصنا نحن إذ كنّا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بولادتنا منه وعمّمنا الناس بدينه، فهذا فرق ما بين الآل والأمّة. فهذه الحادية عشر. وأمّا الثانية عشر فقوله: ((وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)). فخصّنا بهذه الخصوصيّة إذ أمرنا مع أمره، ثم خصّنا دون الأمّة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء إلى باب علي وفاطمة بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرّات فيقول: الصلاة يرحمكم الله. وما أكرم الله أحدا من ذراري الأنبياء بهذه الكرامة التي أكرمنا الله بها وخصّنا من جميع أهل بيته. فهذا فرق ما بين الآل والأمّة. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد نبيّه وآله. اهـ

14- الإمام الحسين رضي الله عنه

الحمد لله الذي جعل لبعض الأيام مزيدا من الفضل والحرمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يخلق ما يشاء ويختار، ويصطفي للشرف من شاء من الأخيار، وأشهد أن سيّدنا محمّدًا عبده ورسوله، شرّفه ربّه على كلّ البريّة، وجعل ذريّته أشرف ذريّة. صلّى الله وسلّم وبارك عليه. وعلى آله وأصحابه. والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون إنَّ العاشِرَ مِنَ المحرَّمِ، أيْ يومَ عاشوراءَ، مشهورٌ عندَ الأواخِرِ والأوائِلِ، مَليءٌ بالخيراتِ والفضائلِ.

والحوادثِ والعِبَرِ. ففي يومِ عاشوراءَ تابَ اللهُ تعالى على سيّدِنا ءادمَ عليه السلامُ، وفيه نجَّى اللهُ سيّدَنا نوحًا عليهِ السلامُ وأَنزلَهُ مِنَ السفينةِ مَحْفُوفًا بالنصرِ، وفيه أنقذَ اللهُ تعالى سيّدَنا إبراهيمَ عليهِ السلامُ منَ النُّمرودِ، وفيه ردَّ اللهُ سيّدَنا يوسفَ على سيّدِنا يعقوبَ عليهما السلامُ، وفيه أظهرَ اللهُ سيّدَنا موسى عليهِ السلامُ على فِرعونَ الطاغيةِ الظالمِ، وفلَقَ اللهُ لسيّدِنا موسى ولِبَنِي إسرائيلَ البحرَ، وفيهِ أُخرجَ سيّدُنا يونُسُ عليهِ السلامُ مِنْ بَطْنِ الحوتِ. وكُشِفَ ضُرُّ سيّدِنا أيوبَ عليهِ السلامُ، وفي يومِ عاشوراءَ. يوم الجمعة. سَنَةِ إحدى وسِتّينَ منَ الهجرةِ، كانتِ حادثة كربلاء. الفاجِعةُ التي ألمّتْ بالمسلمينَ. باستشهاد سِبْطِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وابن بِنْتِهِ السيّدة فاطمةَ الزهراء رضيَ اللهُ عنها، أبي عبدِ الله الإمام الحسينِ بن سيّدنا علي رضي الله عنهما. على أيدِي فِئَةٍ ظالمةٍ باغية. أيّها المسلمون لابدّ لنا أن نستخلص العبر والدروس، من هذه الحادثة. وإنّ من أهمّ هذه الدّروس. عظمة النبيّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. وذلك أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أيّده الله تعالى بمعجزات. والتي منها الإخبار بالمغيّبات. فقد كان صلّى الله عليه وسلّم يعلم بأنّ إبنه وحبيبه سيّدنا الحسين رضي الله عنه سوف يقتل على يد مسلمين، فعن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالسًا ذات يوم في بيتي؛ قال: "لا يدخل عليّ أحد". فانتظرت، فدخل الحسين، فسمعت نشيج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبكي، فاطّلعت فإذا حسين في حجره والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل. فقال: "إنّ جبريل عليه السّلام كان معنا في البيت؛ قال: أفتحبّه؟ قلت: أما في الدنيا فنعم. قال: إنّ أمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء"، فتناول جبريل من تربتها، فأراها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم)). فلمّا أحيط بالحسين رضي الله عنه حين قتل؛ قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء. فقال: صدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أرض كرب وبلاء. رواه الطبراني. ورحم الله الشيخ البوصيري إذ يقول في همزيته في رثاء السبطين الحسن والحسين لاضي الله عنهما:

وَبِرَيْحَانَتَيْنِ طِيبُهُمَا مِنْـــ*ـــكَ الذِي أُودِعَتْهُمَا الزَّهْرَاءُ

كُنْتَ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آ * وَتْ مِنَ الْخَطِّ نُقْطَتَيْهَا الْيَاءُ

مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِينِيَ الطَّـ*ـــفُّ مُصَابَيْهِمَا وَلاَ كَرْبَلاَءُ

مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرْءُو * سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرُّؤَسَاءُ

أَبْدَلُوا الْوِدَّ وَالْحَفِيظَةَ فِي الْقُرْ * بَى وَأَبْدَتْ ضِبَابَهَا النَّافِقَاءُ

وَقَسَتْ مِنْهُمُ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ * بَكَتِ الأَرْضُ فَقْدَهُمْ وَالسَّمَاءُ

فَابْكِهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّ قَلِيلاً * فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابِ الْبُكَاءُ

كُلَّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكَرْبِي * مِنْهُمُ كَرْبَلاَ وَعَاشُورَاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي * لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمُ التَّأْسَاءُ

غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللـ*ـهِ وَتَفْوِيضِيَ الأُمُورَ بَرَاءُ

رُبَّ يَوْمٍ بِكَرْبَلاَءَ مُسِيءٍ * خَفَّفَتْ بَعْضَ رُزْئِهِ الزَّوْرَاءُ

وَالأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ * مِنْهُمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ الْـ*مَدْحُ لِي فِيكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ

أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحـ***ـتُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ

سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمْ * سَوَّدَتْهُ الْبَيْضَاءُ والصَّفْرَاءُ

ومن المغيّبات التي أخبر بها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. تنازل سيّدنا الحسن رضي الله عنه عن الخلافة إلى سيّدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، حقنًا لدماء المسلمين. وجمعًا لكلمتهم. فعن أَبِي بَكْرَةَ: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم كَانَ يُصَلِّي فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ عَلَى ظَهْرِهِ وَعَلَى عُنُقِهِ فَيَرْفَعُ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم رَفْعًا رَفِيقًا لِئَلَّا يُصْرَعَ. قَالَ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ. فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَهُ. قَالَ إِنَّهُ رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا. وَإِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَعَسَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)). رواه أحمد. أيّها المسلمون لقد عاش سيّدنا الحسين رضي الله عنه طفولته وصدر شبابه في المدينة المنوّرة، وتربّى وترعرع في بيت النبوّة. الذي قال الله عنه (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). روى ابن ماجة والترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسينا، حسين سبط من الأسباط)). وقال صلى

الله عليه وسلم: ((الحسن والحسين سيدَا شباب أهل الجنة)). أدرك سيّدنا الحسين رضي الله عنه من حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم ستّ سنين، وصحبه إلى أن توفي وهو راض عنه، فكان الأصحاب رضي الله عنهم يكرمونه إكرامًا للنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم. ويحبّونه محبّةً للنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم. كيف لا، وقد كان أشبهَ النّاس بالحبيب صلَّى الله عليه وسلَّم؟! فقد كان مُحَيَّاه يذكِّر الأصحابَ بالنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم. رَوَى التِّرْمِذِيّ وَابْن حِبَّان مِنْ طَرِيق هَانِئ بْن هَانِئ عَنْ عَلِيّ قَالَ:"الْحَسَن أَشْبَهَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم مَا بَيْن الرَّأْس إِلَى الصَّدْر, وَالْحُسَيْن أَشْبَهَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم مَا كَانَ أَسْفَل مِنْ ذَلِكَ". فكان سيّدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وهو ابن الستّين عامًا يعطف ويحنو على مولانا الحسين الشيءَ الكثير؛ كان إذا رآه يُقْبِل عليه ويبشُّ له، كان رضي الله عنه يقول للناس: "ارقُبُوا محمّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم في آل بيته". وقد فرض له ولأخيه مولانا الحسن رضي الله عنه من بيت المال فريضة كفريضة أهل بدر، مع صغر سنّهما. محبّةً وإكرامًا للسِّبْطَين الأمجدين. ثم حذى حذوه سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى خلافته. فرتّب لهما مثل ما رتّبه سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه، روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبّ الحسن والحسين ويقدّمهما على ولده، وقد قسّم يوما مالا، فأعطى كلّ واحد منهما عشرة آلاف، وأعطى ولده عبد الله ألف درهم، فعاتبه إبنه وقال له: قد علمت سبقي في الإسلام وهجرتي وأنت تفضّل عليّ هذين الغلامين، فقال ويحك يا عبد الله، إئتني بجدّ مثل جدّهما، وأب مثل أبيهما، وجدّة مثل جدّتهما، وخال مثل خالهما، وخالة مثل خالاتهما، وعمّ مثل عمّهما، وعمّة مثل عمّتهما. جدّهما رسول لله صلّى الله عليه وسلّم، وأبوهما علي، وأمّهما فاطمة الزهراء، وجدّتهما خديجة، وخالهما إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وخالاتهما زينب ورقيّة وأمّ كلثوم، وعمّهما جعفر بن أبي طالب، وعمّتهما أمّ هانئ بنت أبي طالب. ولمّا فتح المسلمون بلاد الفرس، وجِيء ببنت يَزْدَجِرْد مِلِك الفرس إلى سيّدنا عمر رضي الله عنه وكانت من أجمل النّساء، فلم يستأثرها سيّدنا عمر لنفسه ولا لذريّته وأقاربه، وإنّما أهداها إلى أحبّ الناس إليه، أهداها لسيّدنا الحسين رضي الله عنه فتزوَّجها وأنجبت له سيّدنا عليّ زين العابدين، وهو الوحيد الذي بقي من نسل الإمام الحسين رضي الله عنهما. ومنه تفرّعت السلالة الحسينية الشريفة الطاهرة. ثمّ جاء سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فحفظ لسيّدنا الحسين فضله ومكانته، وعاش سيّدنا

الحسين رضي الله عنه حياةَ الإكرام أيضًا في زمن سيّدنا معاوية رضي الله عنه؛ فكان يبعث للسبطين الأمجدين من العطاء الشيءَ الكثير، وكان لسيّدنا الحسين شرفُ المشاركة مع الجيش الذي بعثَه سيّدنا معاوية لفتْح القسطنطينية، الذين قال عنهم النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: "أوَّل جيشٍ من أمّتي يغزون مدينة قيصر مغفورٌ لهم"؛ رواه البخاري في صحيحه. كما شارك السبطان الكريمان الحسن والحسين في فتح شمال إفريقيا. حيث كانا رضوان الله عليهما في الجيش الذي أرسله سيّدنا عثمان بن عفان في سنة 26 هـ مددا لعبد الله بن أبي السرح. واليه على مصر بعد أن عزل عمرو بن العاص. وتقابل المدد مع سيّدنا عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة، وفي سنة ثلاثين للهجرة شهدا فتح طبرستان مع سعيد بن العاص. وكذلك كان السبطان الكريمان أوّل المدافعين عن سيّدنا عثمان حين حصره الثوّار في داره ومنعوه الماء. وكانا مع أبيهما في غزواته. وشهدا معه حرب الجمل وصفين وقتال الخوارج. أيّها المسلمون إنّا نستخلص من ذكرى استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه أنّ محبّة آل البيت النبوي الطاهر فرض من فروض الإسلام. وقربة نتقرّب بها إلى الله تعالى. وإذا نظرنا إلى تكريم الله لهم. نجد غرائب وعجائب، فقد قال تعالى لنبيّنا عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام: ((قل لا أسألكم عليه أجرا إلاّ المودّة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إنّ الله غفور شكورا)). أي قل يارسولي لأمّتك : لا أنتظر منكم أجرا على ما علّمتكم وهديتكم إليه من الإسلام. ومن شريعة الله عزّ وجلّ. ولكنّي أنتظر منكم أن تودّوني في أهل بيتي وقرابتي. فلا تتباعدوا عنهم. وتبرّكوا بهم. واجعلوهم أهل مودّتكم، وقد سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يا رسول الله من هم آل بيتك الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ فقال: الحسن والحسين وفاطمة وعلى. أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم. ويقول الإمام الشافعي رضي الله عنه في حبّ ساداتنا آل البيت:

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُ * فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي القُرْآنِ أَنْزَلَهُ

كَفَاكُمُ مِنْ عَظِيمِ القَدْرِ أَنَّكُمُ * مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لاَ صَلاَةَ لَهُ

اللهمّ إنّا نشهدك يا الله. ونشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم. ونحبّ أهل بيته الطاهرين الطيّبين. عليّا وفاطمة والحسن والحسين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. يا ربّ العالمين أن تصلح لنا ديننا. وتزيّن بالتقوى ظاهرنا

وباطننا. وتطهّر من الحقد والحسد ضمائرنا وسرائرنا. وتكفينا ما أهمّنا من أمر دنيانا وآخرتنا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.اهـ

فهرس الجزء الثّالث

الموضوع	الصفحة
السيرة النّبويّة:	03
أزواج الرسول ﷺ:	05
01- نُزهة المُحبّين وراحة المشتاقين في رياض بعض فضائل وخصائص أُمّ المؤمنين سيّدتنا ومولاتنا خديجة زوج رسول ربّ العالمين سيّدنا ومولانا محمد الصّادق الأمين صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أهل الصلاح والدين صلاة نكون بها في محبّتهم من أهل الرسوخ والتمكين	06
02- النزهة البهيجة في رياض سيرة الرسول والإستمتاع بقصّة زواجه من السيّدة خديجة الطاهرة أمّ البتول	16
03- مذاكرة المحبّين الصّادقين عن فَضْل السيّدة عائشة أمّ المؤمنين وعلوّ مكانتها في نَشْر علوم الدّين	23
04- تعطير المحافل بذكر بعض ما للسيّدة عائشة رضي الله عنها من الفضائل	32
05- أفضل القول بتبيين النّقول لأهل العقول في فضائل وخصائص السيّدة عائشة زوج الرسول	37
06- السيّدة عائشة رضي الله عنها	42
07- تعريف المحبّين بسيرة أمِّ المؤمنين السيّدة زَيْنب بنت خُزَيْمَة الملقَّبة بأمّ المساكين	46
08- حُسن المذاكرة في قصص مؤثّرة من حياة أمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة المرأة العاقلة الصابرة	50
09- الهمّة في أخذ الحكمة من بعض مناقب أمّ المؤمنين السيّدة أمّ	57

سلمة	
10- النّورُ السَّنيّ المضيء من سيرة أمّ المؤمنين زَوْجِ النبيّ السيّدة صَفِيَّة بِنْت حُيَيّ عليها رضى الله العليّ	62
أولاد الرسول ﷺ:	70
01- عِطّر النسمات من شذى سيرة السيّدة زينب بنت رسول الله سيّد المخلوقات عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات	71
02- تذكير أهل الإيمان بسيرة السيّدة رقية بنت سيّد ولد عدنان وزوج الخليفة الراشد سيّدنا عثمان بن عفان	77
03- جَنَى الجَنّتَيْن في سيرة السيّدة أمّ كلثوم بنت سيّد الكَونيْن وزَوْج الخليفة الراشد سيّدنا عثمان بن عفان ذي النُّورَيْن	81
04- الشَّهْد الْمُصَفَّى مِنْ أزهار مناقب بَضْعَةِ نبيِّنا المصطفى سيّدتنا ومَوْلاتنا فاطمة الزهراء أُمّ الشّرفاء عليها من اللهِ السّلامُ والرّضى تعظيما لها وشَرَفا	86
05- سيرةُ مَوْلاتِنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها	99
06- تبسيط الكلام لإرشاد العوام إلى معرفة أبناء وبنات سيّد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام	103
أهل بيت الرسول ﷺ:	111
01- مواهب الرّبّ بنيل الأرب في كشف بعض مناقب سيّدة الأمّهات مولاتنا آمنة بنت وَهْب	112
02- الشّرف الأعْلى لمن حَوَت فخرا وفَضْلا سيّدة الأمّهات عقلا ونَقْلا السّيّدة آمنة بنت وهب الفُضْلى لحَمْلها بالنّور البَهِيّ الأَجْلى صاحب القدر المُعَلَّى سيّدنا ومولانا محمد أَطْيب العالمين فَرْعا وأَصْلا مَنْ عليه الله صلَّى وعلى آله وأصحابه الأَجِلاَّ صلاةً نكون بها لِخِدمته أَهْلاً	117
03- فَوْحُ المِسْك الذّكِي من النّسب الزّكي على العاشقين لسماع سيرة سِبْط النّبي صاحب القَدْر الجلي سيّدنا الحسن بن مولانا الإمام علي سلامٌ عليه مِنَ الله العلِي	131
04- قُرّةُ العَيْن في إزالةِ الرَّيْن عن بعضِ مناقبِ ريحانةِ وسِبْطِ سيِّدِ الثَّقَلَيْن سيِّدِنا ومولانا الإمامِ الحُسَيْن سلام الله عليه بِلاَ مَيْن	148
05- سيرة سيّدنا الحسن بن الإمام علي رضي الله عنهما	159
06- القول المختصر عن استشهاد سيّدنا الحسين سبط خير البشر في يوم عاشوراء الأغر	164
07- القولُ المنتخَب في مناقب سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلِّب	170

08- قُرّةُ العَيْن في معرفة بعضِ مناقبِ ومولانا الإمامِ الحُسَيْن	177
09- إستنشاقُ أطيبِ الرّياحين من أشرف البساتين في بعض مناقب الإمام السّجّاد سيّدنا علي زَيْن العابِدِين سلام الله عليه أبد الآبدين	181
10- الرَّوْضُ الزّاهِر والعِطْرُ الفاخِر المستَخْلَصُ مِنْ شَذَى سيرة الزّكيّ الطاهر والعَلَمِ الباهر مولانا الإمام سيّدنا محمد الباقر	197
11- نزهةُ الْمُحِبِّ العاشِق في حدائق المعاني والحقائق للإستمتاع لبعض مناقِبِ الإمام مولانا جعفر الصّادق	204
12- تحفة اللّبيب الحاذِق بالرَّوْض الأنيق الفائق في بعض مناقب الإمام سيّدنا موسى الكاظم بن الإمام سيّدنا جعفر الصّادق	212
13- شفاءُ غليلِ المحبِّ الهايم بالرَّوْض البهيّ الباسِم في بعض مناقب الإمام سيِّدِنا عليّ الرِّضَا بن مولانا الإمام موسى الكاظم	221
ملحق خير: مناظرة الإمام علي الرضا مع العلماء في مجلس المأمون	228
14- الإمام الحسين رضي الله عنه	234